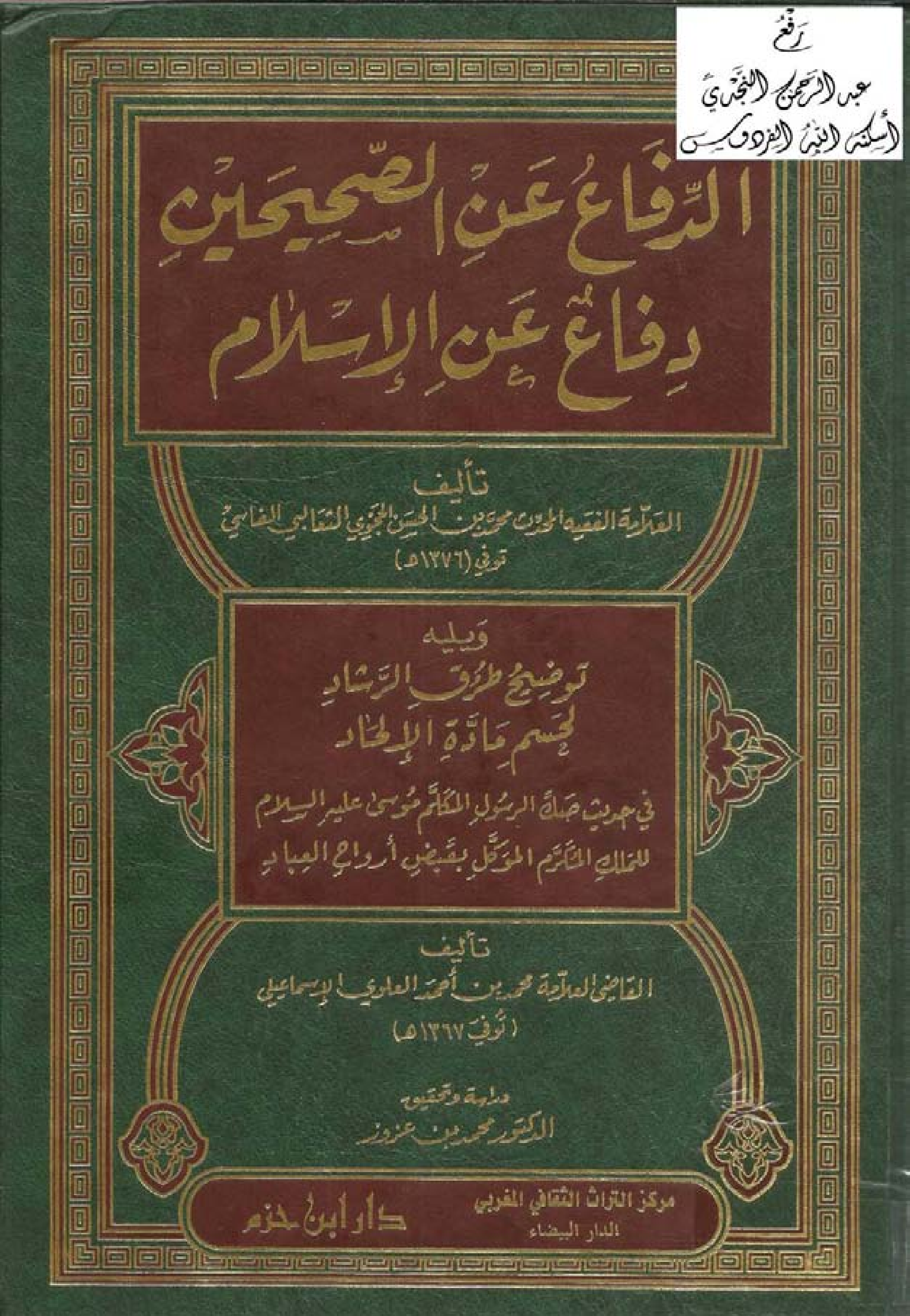

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
الدفاع عن الصحيحين
دفاع عن الإسلام
تأليف
العلامة الفقيه المحدث محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي
توفي (١٣٧٦هـ)
ويليه
توضيح طرق الرشاد
لحسم مادة الإلحاد
في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام
للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد
تأليف
القاضي العلامة محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي
(توفي ١٣٦٧هـ)
دراسة وتحقيق
الدكتور محمد بن عزوز
مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء
دار ابن حزم

الدفاع عن الصحيحين
دفاع عن الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الدِّفَاعُ عَنِ الصَّحِيحَيْنِ
دِفَاعٌ عَنِ الإِسْلامِ

تأليف

العلامة الفقيه المحدث محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي
(توفي ١٣٧٦هـ)

وَيليه

توضيح طرق الرشاد
لحسم مادة الإلحاد

في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام
للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد

تأليف

القاضي العلامة محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي
(توفي ١٣٦٧هـ)

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد بن عزوز

دار ابن حزم

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء

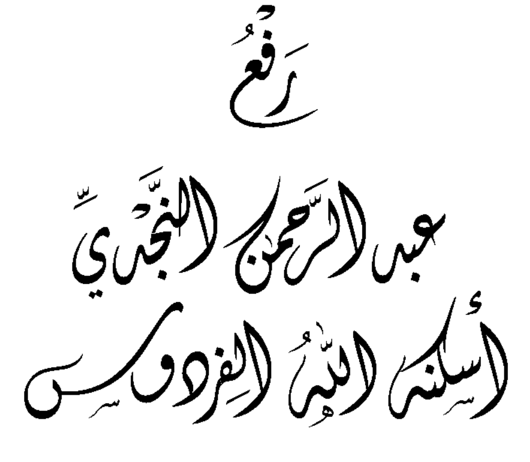
الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

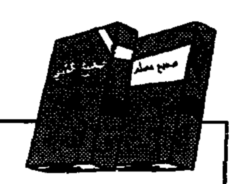


صورة العلامة محمد بن الحسن الحَجْوي الثعالبي الفاسي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

يقول محمد بن الحسن الحجوي:

ولا ينبغي لمسلم أن يتجرأ على البخاري ومسلم بالطعن والتكذيب في أحد أحاديثهما بحجج واهية ظهرت له قبل التثبت، إذ من المعلوم إجماع الأمة على تلقي أحاديثهما بالقبول. وقد احتاج إليهما جميع المذاهب الأربعة، وعليهما أسست معاهد الفقه والدين، وهل نتوصل إلى سنّة نبينا المبيّنة للقرآن إلا بهما، والسنن الأربعة والموطأ ومسند أحمد وأمثالهما، والعمدة كل العمدة على الصحيحين.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله، والصلاة على سيدنا محمد عبده ورسوله ونبيِّه، وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان، حُماة شريعته، ورواة سنَّته، الذَّابِّين عنها تحريف المحرفين وانتحال المبطلين وكذب الكاذبين.

أما بعد، فقد مُنِي المسلمون في هذه الأيام بضعف الثقافة الدينية الصحيحة. إلى جانب انتشار المذاهب الفكرية الهدَّامة، وَوُجِد من يتجرأ على أمهات كتب الحديث الشريف التي وقع الإجماع على قَبولها وخصوصاً صحيحي البخاري ومسلم، وذلك بالطعن والتكذيب في أحاديثهما بحجج واهية، وذلك حين قَلَّ في الأمة العلماء الربَّانِيُّون العدول، وخَفَّت مجالسُ العلم، فازداد الجهل بسنَّة رسول الله ﷺ انتشاراً، وسَهُل على الناس قَبول كل ما يسمعون، أو يُلقى إليهم من تشكيك أو طعن على أحاديث البخاري ومسلم. في المجالس أو الصحف أو المجلات...

فأصبح حالُنا اليوم كما قال الحافظ الذهبي: (على عِلم الحديث وعلمائه ليَبك من كان باكياً، فقد عاد الإسلام المحض غريباً كما بدأ، فليسع امرؤ في فكاك رقبته من النار، فلا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٣/٣٢٣.

قال الإمام الذهبي هذا الكلام، وكان في عصره من أعلام الحديث وحفاظه ونقاده من أمثال: المزِّي والبرزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن عبدالهادي المقدسي، وشرف الدين الدمياطي المصري وابن سيِّد الناس المغربي. فماذا عساه أن يقول لو أنه بُعِث في زماننا هذا، الذي ندر أن تجد فيه مَن يُعنى بالحديث أو يدريه، ويحفظ أسانيده ومتونه، ويميّز بين صحيحه وسقيمه.

وهذا بلاءٌ عظيم، وشرٌ مستطير، يهدم جانباً كبيراً من الدين، ويُعين على انتشار تلك الآراء والأفكار المنحرفة، ويُروج لقبولها واستيلائها على كثير من المنتسبين إلى الإسلام.

وإن كتاب (الدفاع عن الصحيحين دفاع عن الإسلام) من خير ما أُلِّف في هذا العصر في الرد على خصوم السُّنة النبوية، جادت به يَراعة العلامة محمد بن الحسن الحجوي الذي كان عموداً من عُمُد الإسلام، وفخراً من مفاخر الأنام، وحسنة من حسنات الليالي والأيام، وناصراً من أنصار السنّة المطهرة وراداً على المبتدعين. يقول في حقِّه محدّث حلب الشهباء العلامة المحدّث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ (العلامة الفقيه المالكي المحدّث البارع المحقّق).

وعُرف العلامة الحجوي باستقلال شخصيته، ونصاعة علمه ويقظة غيرته على الشريعة وأحكامها، وتمكنه من العلم الصافي النمير، وبُعده عن المداهنة والمهادنة للمبتدعين والطاعنين في حديث سيّد المرسلين وشدة حرصه على إيقاظ العقول وسلامتها من التأثر بالركود العقلي الذي شمل جمهرة المتعلمين وطلبة العلم.

أسباب تأليف الكتاب:

يظهر لنا سبب تأليف الكتاب من خلال ما ذكره الحجوي عقب كلامه على الحديث الأول والثاني من كتابه (الدفاع عن الصحيحين) فقال: (فليس لنا أن نسكت حين نسمع في مجلس مولانا أيّده الله، أن الحديث في صحيحي البخاري ومسلم، يقال فيه مكذوب، وأن الملاحدة وضعوه، وأهل

الأهواء والبدع صنعوه. ويقول هذا جهراً مُشَافِهاً به أمير المؤمنين، ويكذب ويطعن في رجال الصحيح، وعموم الأمة يُستقى بهم الغَمام...).

ويقول في رَدِّه على أحد المحاضرين في هذه الدروس:

(ولما لَجَّ في عِنَاده أشار أمير المؤمنين لبقية أهل المجلس بالكلام. فقام من لم تأخذه حمية الحِزبية أو الملَق وقالوا بصوت واحد: (**اللهم إن هذا منكر**).

وهذا يدل على أن الحجوي ألّف الكتاب ردًّا على من طعن في أحاديث الصحيحين في المجالس السلطانية التي كانت في عهد الملك محمد الخامس رحمه الله تعالى الذي كان ناصراً للكتاب والسنّة محارباً للبدع، عالماً فقيهاً يحب العلماء ويقربهم إليه، ويشجعهم على التعليم والإصلاح، وكان يَزُورهم ويَصِلُهم، ويبالغ في إكرامهم والبرور بهم[1]، وخاصة أئمتهم أعضاء مجالسه الحديثية. كما كان رحمه الله تعالى يواظب على عقد هذه المجالس واستمراريتها. وكانت تعقد في شهر رمضان المعظم، وكان يتولى إدارة هذه المجالس بين يديه وتحت رئاسته الشرفية والعلمية وزير العدل، وغالباً ما كان الشيخ أبا شعيب الدكالي ـ رحمه الله تعالى ـ.

وأعيان العلماء الذين كانوا رسميِّين دائمين في هذه المجالس الحديثية:

ـ العلامة أبو شعيب الدكالي.

ـ والعلامة محمد بن الحسن الحجوي.

ـ والعلامة محمد بن العربي العلوي.

ـ والعلامة محمد المدني بن الحُسْني[2].

وكانت هذه الدروس تعرف مناقشات ومناظرات بين علماء هذه المجالس. مما جعل محمد بن الحسن الحجوي يؤلف كتاباً هاماً جمع فيه

---

(١) من ذلك ما ذكره العلامة عبدالله الجراري في (أعلام الفكر المعاصر) ٢/٢٧١: عند ترجمته للحافظ أبي شُعيب الدكالي أن السلطان محمد الخامس قدَّس الله روحه كان يُجله ويحترمه لحد أن شرفه بعيادته في مرضه. وما فتئ يسأل عن صحته الغالية بين الفينة والفينة..).

(٢) لمزيد من التوسع انظر كتاب (المجالس السلطانية في عهد الدولة العلوية الشريفة) ط، وزارة الأوقاف، المغرب.

ما كان يدور فيه من الانتقادات التي كانت بينه وبين الحافظ أبي شعيب الدكالي سماه: (الأمالي الحديثية).

وقد ادعى بعض المحاضرين المشاركين في هذه الدروس عام **١٣٦٢**هـ أثناء شرحهم لأحاديث وردت في الصحيحين، أنها أحاديث موضوعة، وأن المبتدعة نسبوها إلى الإمامين البخاري ومسلم.

وقد تصدّى لهم العلامة الحجوي بالرد عليهم في هذا الكتاب قاصداً بذلك الدفاع عن الصحيحين. فقال: (فيا أهل العلم الصحيح، هذا ما حملني على كتب هذه الأوراق والله يعلم أن ليس القصد منها إلا سد هذه الذريعة على المسلمين فإنها تُثير فِتنةً على الأمة في دينها، وتُضعِفُ كَفَّتها في مِلَّتِها ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ).

ونلمس من خلال قراءتنا لكتابه (الدفاع عن الصحيحين دفاع عن الإسلام) غيرته القوية على الحديث الشريف. وفي ذلك يقول:

(وإذا ساء ظن المسلمين بالصحابة ورجال البخاري ومسلم وأئمة الدين نقلة الشرع المطهَّر، واتهموهم وكَذَّبُوا الكتب الصحيحة التي وقع الإجماع على قَبُولها وهي الحجة التي بين أيدينا وأيدي المسلمين في عموم الأرض أو دخلهم التشكيك فيها، صارت ديانَتُنا إلى ما صارت إليه ديانة اليهود والنصارى المطعون في كتبهم، وصرنا نطعن ديننا بيدنا، وليس لذلك من فائدة سوى شفاء صدورهم، وصاروا يقولون لنا نحن وإيَّاكم في الهَوَى سَوَا).

وقال أيضاً: (وإذا قيل في حديث إنه مخرج في الصحيحين طأطأ الناس رؤوسهم إجلالاً، وانقطع نزاعهم اعترافاً بالحق، ولم يبقَ تردد في الصحة، ولم نقف على أحد منهم تجرأ وقال في حديث الصحيحين أنه مكذوب).

وقد شارك علماء المغرب العلامة الحجوي في الرد على هؤلاء الطاعنين في أحاديث الصحيحين، منهم العلامة القاضي الفقيه المحدّث محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي (ت١٣٦٧هـ)، وقد أشار إليه ونوَّه به

العلامة الحجوي في كتابه (الدفاع عن الصحيحين، دفاع عن الإسلام) عند كلامه على الحديث الخامس: يقول العلامة الحجوي منتقداً على الطاعن في هذا الحديث: (ويبلغنا عن هذا الشيخ أنه انتقد غير هذه الأحاديث في دروسه بالرباط ومراكش فمنها:

أن ملك الموت جاء موسى ليقبض روحه فصَكَّه، فرجع إلى الله سبحانه، وقال يا رب: إنك أرسلتني إلى رجل لا يريد الموت، فقال له الحق سبحانه: ارجع إليه، فقل له: فليجعل يده على جلد ثور فكل شعرة بسنة).

وقد حلف على هذا الحديث بالطلاق الثلاث أن النبي ﷺ لم يقله، وأنه مكذوب عليه... ولما سمع ذلك قاضي مكناس سيدي محمد بن أحمد العلوي ألّف فيه كتاباً طبعه بالرباط، يرد عليه، فيما بلغني عنه).

وبعد بحث وتقصٍّ عن هذا الكتاب الذي ألّفه العلامة القاضي محمد بن أحمد العلوي، وفقني الله تعالى في العثور على نسخة وحيدة نادرة تحتفظ بها الخزانة الصبيحية بمدينة سلا ـ وساعدني على تصويرها الأخ الفاضل عبدالسلام الطاهري ـ جزاه الله خيراً.

واسم الكتاب هو: (تَوضيحُ طُرُقِ الرَّشَادِ لحَسْم مَادَّة الإِلحَادِ في حديث صَكِّ الرَّسُولِ المكلَّم مُوسى عليه السلام للمَلَكَ المكَرَّم المُوَكَّلِ بقبض أرواح العباد) وقد طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط سنة **١٣٦٢**هـ موافق **١٩٤٣**م، وقد جاء ردُّ العلامة القاضي محمد بن أحمد العلوي ردًّا علمياً مقنعاً، وقد توسع في شرحه لهذا الحديث توسعاً كبيراً لا أعلم أن أحداً من شرّاح الحديث قد استوفى الكلام عليه ـ تخريجاً وشرحاً ـ مثله، رحمه الله تعالى.

وقد أراد من هذا الشرح المطوَّل الدفاع عن حديث مذكور في الصحيحين وغيرهما من مصنفات الحديث. ولسَدِّ باب الفتنة على الأمة، يقول في كتابه (توضيح طرق الرشاد):

(... ولا شك أن تكذيب الصحابي أو بعض الرواة الثقات عنه،

وخصوصاً في الصحيحين هو عَيْن الفتح لباب مُتَّسعة لهدم أُسُسِ الدِّين، ولإبطال نُصوص الشَّريعة المحمولة على كاهل أحفظ الصحابة أبي هريرة ولإبطال خاصية الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول في التعويل عليهما في شرائع دينها. . . والحالة أن الساعي في فتح أبواب هذه المفاسد التي تعم الأمة وتهدم أسس دينها غير معتمد على برهان من الله ورسوله فيما يُحَاوله، وإنما يعتمد أوهاماً، وخيالات نشأت عن اختلال في الإدراك وفسادٍ في التصور).

وهذا يدل على أن علماء المغرب ـ ولله الحمد ـ كانوا لا يسكتون حين يسمعون من يتجرأ على الطعن في السُّنة النبوية ـ زادها الله عُلُوًّا وشرفاً ـ وخصوصاً أحاديث الصحيحين، بل يَردُّون عليهم بالحجة والبرهان. يقولْ علامة المغرب محمد علال الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (دفاع عن الشريعة)[1]: «ومن لطف الله بدينه وشريعته أن قيّض لهما في كل عصر من يقومون بحمايتهما والذب عن حماهما وحفظ مراسمهما. . . فالانحراف عن الدين، وقيام الطوائف المختلفة لا يضر الإسلام نفسه في شيء، وإنما يضر المنحرفين والمخالفين، فالذكر محفوظ، وأهله لا بد أن يوجدوا، ولا بد أن يقوموا بمهمة التجديد، ونفي الانحراف والانتحال، واستبعاد التأويلات الجاهلة.

وقد وقع فعلاً كل هذا في مختلف العصور السابقة فقيّض الله للأمة من يصلح أمرها، ويوقظ بالها، ويهديها إلى البعث الصحيح، والإحياء النافع، ناهيك بأحمد بن حنبل وما لاقاه في سبيل الدفاع عن العقيدة والشريعة، وناهيك بالباقلاني والأشعري وابن القيم وابن تيمية والشاطبي وابن حزم وعياض وابن العربي والطرطوشي وابن الحاج وغيرهم من عشرات الآلاف من رجال الإسلام الذين قامت على أكتافهم العصور المسلمة الماضية).

---

(١) ص: ٦٢.

وهذا ما دفعني إلى العناية بهذين الكتابين، وإشاعتهما بين الناس وقد اعتمدت في تحقيقي لكتاب (الدفاع عن الصحيحين، دفاع عن الإسلام) على نسخة مبيَّضة تامة بخط المؤلف، تحتفظ بها الخزانة العامة بالرباط برقم ٣١٤ح، وكتبت في دفتر مدرسي، وتقع في ١٥ ورقة.

كما قمت بدراسة مُوسعة في التعريف بالعلامة الحجوي مبيّناً مكانته في علم الحديث رواية ودراية. فالعلامة الحجوي يُعرف عند الباحثين والدارسين بأنه فقيه أصولي أو عالم مصلح تربوي. ولم أجد من عرَّف به كمحدِّث وراوية مُسند له أسانيده المتصلة من طريق شيوخه إلى رسول الله ﷺ.

وقد رأيت من المناسب أن أضم إليه كتاب (توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد) للعلامة القاضي محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي لمناسبته لموضوع الدفاع عن الصحيحين. وعرفت به من خلال ترجمته لنفسه في فهرسة شيوخه.

إن إشاعة مثل هذه الكتب التي تُدافع عن الحديث الشريف بين أيدي المثقفين وطلاب العلم: تزيد في تفتحهم العلمي، وينقي ثقافتهم الدينية من الشوائب والأفكار الفاسدة.

وهذا واجب ديني هام، أرجو أن أكون قد قمت بجانب منه بخدمة هذين الكتابين الجليلين لعالمين كبيرين جزاهما الله خيراً ورضي عنهما بما قاما به من نشر السنة النبوية والذبِّ عنها.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾[1].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

كتبه

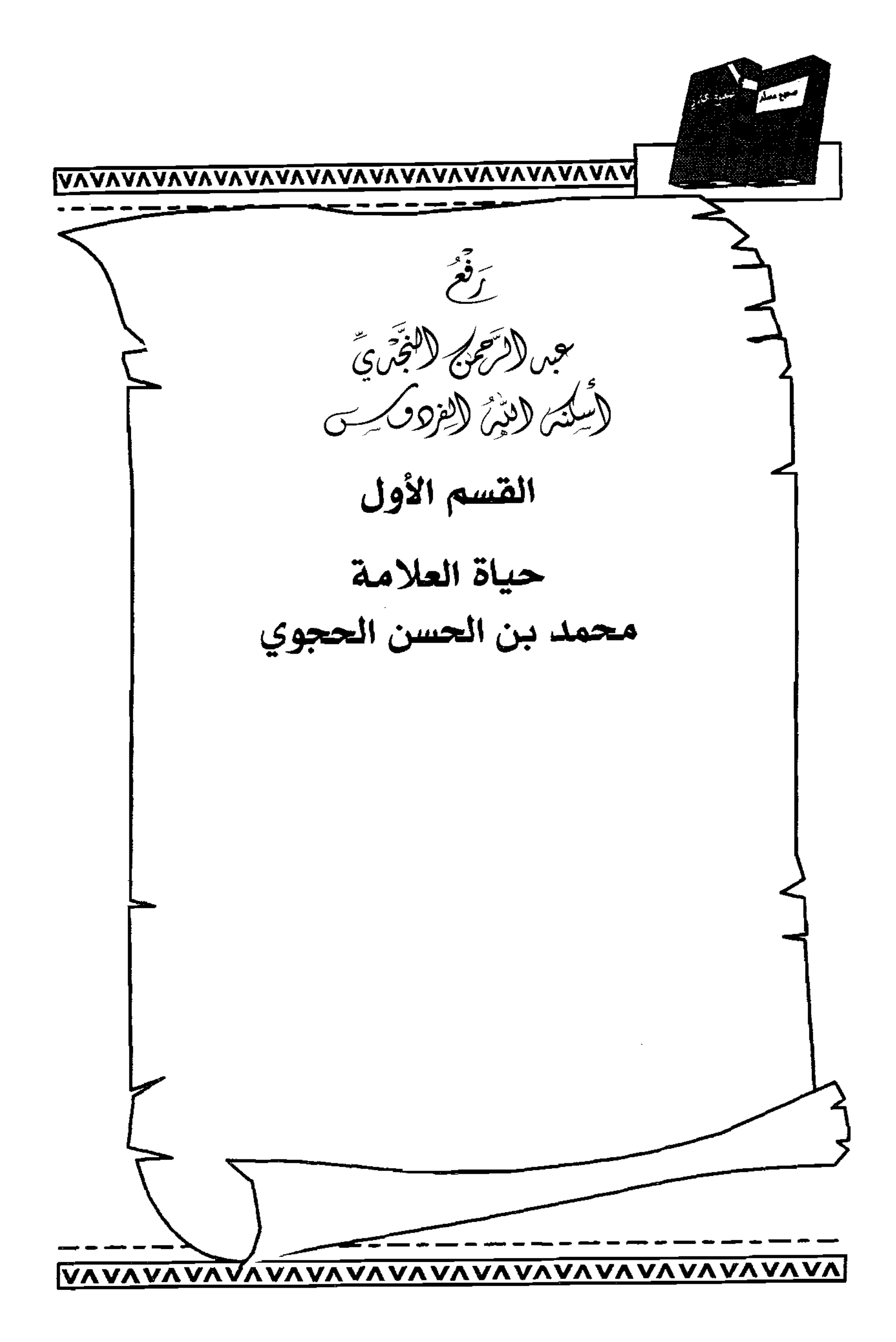
محمد بن عزوز

مدينة سلا في ٢٦ من شهر

رمضان المعظم ١٤٢٣هـ

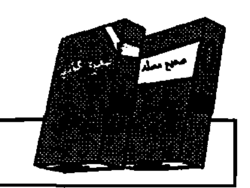
---

(١) سورة الأحزاب: ٤.



القسم الأول

حياة العلامة
محمد بن الحسن الحجوي



المبحث الأول

ترجمة المؤلف

ترجم محمد بن الحسن الحجوي لنفسه في كتابه (الفكر السامي) فقال[1]:

«أُترجم نفسي اقتداءً بالنبي ﷺ إذ يقول: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب**»[2].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وبسيدنا يوسف إذ يقول: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]

---

(١) ج ٣٧٦/٢ وما بعدها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب غزوة حنين: «جاء رجل إلى البراء، فقال: أكنتم ولَّيتم يومَ حنين؟ يا أبا عُمارة! فقال: أشهدُ على نبي الله ﷺ ما ولَّى، ولكنه انطلقَ أخِفَّاءُ من الناس، وحُسَّرٌ إلى هذا الحيِّ من هوازن، وهم قومٌ رُماة، فرَمَوهُم بِرِشْقٍ من نَبْلٍ، كأنها رِجْل من جَرَاد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بنُ الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا، واستنصر، وهو يقول:

أنا النبيُّ لا كَذِب أنا ابنُ عبدِالمطَّلب

اللَّهُمَّ نزِّل نصرَك».

قال البراء: كُنَّا والله، إذا احمرَّ البأس نتَّقي به، وإن الشجاع منَّا للذي يُحاذي به - يعني النبي ﷺ - ج١٤٠١/٤ حديث رقم ١١٧٦ وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل والنسائي وابن ماجة. (انظر صحيح الجامع الصغير ٣٠٤/١).

ويقول: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩] وبسيدنا عيسى حيث قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ١٥].

وقد ترجم نفسه ولي الدين ابن خلدون إمام التاريخ، ولسان الدين ابن الخطيب إمام الأدب وغيرهما.

نعم أعتذر بما اعتذر به ابن الإمام[١] في (سِمْط الجُمَان) والحِجَاري[٢] في كتاب (المسهب) وابن القَطَّاع[٣] في (الدُّرة الخطيرة) وأبو الحسن بن سعيد[٤] في كتاب (المُغرب) وغيرهم.

---

(١) هو عثمان بن علي بن عثمان، أبو عمرو بن الإمام، سكن إشبيلية، روى ببلده عن أبي بكر محمد بن إبراهيم العامري، وبقرطبة عن أبوي بكر: ابن العربي وابن المرخي، وأبوي عبدالله: جعفر حفيد مكي وابن أبي الخصال. وكان من جلّة الأدباء وعلية الكتّاب والشعراء، وصنّف كتاباً حسناً في كُتّاب أهل عصره وشعرائهم على منحى (المطمح) و(قلائد العقيان) وسماه: (سِمط الجُمان وسِقط الأذهان) دلَّ به على حسن إنشائه وجودة انتقائه وتوفي بعد (٥٥٠هـ) انظر ترجمته في الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول ١٣٥.

(٢) هو عبدالله بن إبراهيم الكندي الحِجَاري أبو محمد، مؤرخ أندلسي، نسبته إلى واد الحجارة، له (المسهب في أخبار المغرب) و(الحديقة) في البديع. توفي عام ٥٨٤هـ (كشف الظنون) ٦٤٥ (هدية العارفين) ٤٥٧/١ (الأعلام للزركلي) ١٨٧/٤.

(٣) هو علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطاع، عالم بالأدب واللغة من أبناء الأغالبة السعديين أصحاب المغرب، ولد في صقلية، ولما احتلها الفرنج انتقل إلى مصر، فأقام يعلم ولد الأفضل الجمالي، وتوفي بالقاهرة عام (٥١٥هـ) له تصانيف: (كتاب الأفعال) في اللغة، (أبنية الأسماء)، (الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة) أي صقلية، و(لمح الملح) جمع فيه طائفة من شعر الأندلسيين، و(العروض البارع) و(الشافي في القوافي) و(فرائد الشذور وقلائد النحور) ترجمته في: (وفيات الأعيان ٣٣٩/١) (إنباه الرواة ٢٣٦/٢).

(٤) علي بن موسى بن حمد بن عبدالملك بن سعيد، العنسي المدلجي، أبو الحسن، نور الدين، من ذرية عمار بن ياسر، مؤرخ أندلسي، من الشعراء، العلماء بالأدب. ولد بقلعة يحصب، قرب غرناطة ونشأ واشتهر بغرناطة، وقام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام. وتوفي بتونس وقيل في دمشق، من تآليفه (المشرق في حلي المشرق) و(المغرب في حلى المغرب) و(الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة=

وليت المغاربة كان لهم ولوع بالتاريخ وبالأخص تاريخ الرجال[1]

= السابعة) و(الأدب الغض) و(ريحانة الأدب) و(المقتطف من أزاهر الطرف) و(الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد) و(ديوان شعره) و(النفحة المسكية في الرحلة المكية) وغير ذلك من المؤلفات. توفي سنة ٦٨٥هـ.

ترجمته في (نفح الطيب ٤٥٣/١) و(بغية الوعاة: ٣٥٧) و(فوات الوفيات ٨٩/٢) و(الأعلام ١٧٩/٥).

(١) وهو ما قاله أيضاً العلامة محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت١٠٥٢هـ) منذ ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف القرن في كتابه (مرآة المحاسن) ص٢ عن جماعة من العلماء «وسموا المغاربة بالإهمال. وبدفنهم فضلاءهم في قبري تراب وإخمال، فكم فيهم من فاضل نبيه طوى ذكره عدم التنبيه، فصار اسمه مهجوراً، كأن لم يكن شيئاً مذكوراً).

وقد شعر بصدق هذا العتاب وإدراك دواعيه سائر الذين قدّر لهم أن يتحدثوا عن المغرب، وهكذا قرأنا لأبي علي اليوسي في محاضراته ص٥٩ بعد نصف قرن ترديداً لكلام شيخه محمد العربي الفاسي مضيفاً إلى ذلك: (أن الاعتناء بالأخبار والوقائع والمساند ضعيف جداً في المغاربة إذ غلب عليهم الاعتناء بالدراية دون الرواية).

ثم قرأنا لحافظ المغرب محمد بن جعفر الكتاني في (سلوة الأنفاس) ص٣ (أنه لقلة اعتناء أهل هذا المغرب بالتاريخ ضاع أكثرهم وخفي على كثير من الناس جمهورهم ومعظمهم).

وقد عزز صاحب السلوة هذه الفكرة بنقول عن سيدي عبدالسلام القادري في تقييده حول التعريف بابن أبي زرع. وبكلام صاحب كتاب (التنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه).

وفي القرن الرابع عشر الهجري قال العلامة عبدالله الجِرَارِي في كتابه القيم: (من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين: الرباط وسلا) ٢٨٩/٢: عند ترجمته ـ للعلامة الجيلاني السوداني ـ (إن قلة الاهتمام بالرجال وفقدان العناية بتسجيل حياتهم ـ لمما يغلب على كُتَّابنا المغاربة ومؤرخيهم ـ يموت العالم أو الأديب ولا من يحتفل بتدوين حياته، وتخليد تراثه الأدبي، إذ بمجرد إقباره يصبح في خبر كان. ومن وراء هذه الظاهرة السيئة ضاع رجال ورجال كانوا أمثلة حية في جبين الدهر، رجال لو شملتهم العناية لكان لتراثهم الثقافي وإنتاجهم العلمي ما يود قراء اليوم ومثقفو العصر تسجيله بسواد العيون).

لكن المزيد من المرارة التي كان يشعر بها أولئك العلماء في ذلك التاريخ قد خفت وطأتها على عهدنا فيما نظن، فلو أتيح لهم أن يطلعوا على ما نشر لحد الآن عن تاريخ المغرب وبأيد مغربية لكان عتابهم أخف وألطف. فلقد اكتشفت بالفعل عيون جديدة أروت إلى حد ما ظمأ المتعطشين، وظهرت منذ فجر هذا القرن وثائق تاريخية=

فأكتفي بأمانتهم واعتنائهم كما سأورده من هذه الترجمة المخجلة التي أقصد بها إظهار حقيقة من حياتي ربما لا يعرفها غيري كما أعرفها أنا، وإني لأشعر بعبء ذلك على كاهلي، ولكنني لا أجد منه بدًّا، فليتنبه إخواننا إلى الاعتناء بتراجم الرجال وإظهارهم مظاهرهم، فالأمة برجالها، والسهام بنصالها، وليترجم الناس لأنفسهم بأنفسهم ما دامت الأفكار معرضة عن هذه الواجبة حتى لا تضيع حقائق من حياتهم ربما تتطلب فلا توجد، وكم ضاعت من حقائق بإهمال هذا الفن لم يُجْد الأسف عليها شيئاً، فليكن في عملي هذا تشجيع للناس على ترجمة أنفسهم، وتنشيط على الاعتناء بهذا الفن المهمل الذي يضيق المقام عن تعداد فوائده التي منها أن الأمم لا تعتبر في مقام الحياة إلا بقدر ما فيها من الرجال وما يحسنون.

١ ـ في ذكر نسبه:

هو محمد بن الحسن بن العربي بن محمد بن أبي يعزى بن عبدالسلام بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري الزينبي الجزائري.

ونسبة الثعالبي إلى الثعالبة بوطن الجزائر قبيلة شهيرة به من عرب معقل، والجعفري إلى جعفر بن أبي طالب الطيار شهيد مؤته، وينسب أيضاً زينبي نسبة إلى زينب بنت علي بن أبي طالب، وفاطمة البتول زوجة عبدالله بن جعفر رضي الله عنهم.

وقد بسط القول في هذا النسب الأطهر العلامة أحمد بن خالد الناصري في كتابه (طالع المشتري في النسب الجعفري)[1].

يقول العلامة محمد بن الحسن الحجوي: (وإلى قبيلة الثعالبة

= جعلت تبعة المؤرخين المغاربة أقل مما كان يتصور، وقد تأكد فعلاً أنهم كانوا يعتنون ويهتمون برجالهم وأنهم أصحاب (دراية ورواية). ولقد خلف من هذا الفن عدد كبير ذكر منه صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى ما يناهز (١٥٠) فهرسة ـ كذا أوردها محمد المنوني رحمه الله في كتابه (المصادر العربية لتاريخ المغرب).

(١) مطبوع بفاس.

المذكورين ينتسب قبيلنا من حجاوة. قال الناصري المذكور: والثعالبة جعافرة صرحاء في النسب المذكور)[1].

٢ ـ مولده ونشأته:

وقد ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ تاريخ مولده فقال: (وجدت بخط سيدي الوالد رحمه الله في مقيدته: ولد لي سيدي محمد حفظه الله من الزوجة الصالحة بنت الأمين السيد الحسين بن عبدالكبير كُنون يوم رابع رمضان المعظم عند النداء لصلاة الجمعة سنة **١٢٩١** إحدى وتسعين ومائتين وألف هجرية، جعله الله من علمائه العاملين، وأوليائه الصالحين) وذلك موافق **٢٢** سبتمبر **١٨٧٤**[2].

ومحل ولادتي بالدار التي أسسها سيدي الجد رحمه الله بجرنيز قُرب الحرم الإدريسي.

ويقول أيضاً: (ومسقط رأسي فاس، بها قرأت وتعلمت، وبأدب أهلها تأدبت)[3].

ثم ذكر أثر عناية والده به، وفضلَ توجيهه له، وأثر عناية والدته وجَدَّته من قِبَل أبيه بتربيته وتهذيبه فقال:

أ ـ عناية جدّته ووالدته بتربيته:

«ربيت في حجر سيدي الوالد والوالدة الصالحة القانتة، وكان لهما الاعتناء التام بتربيتي وتهذيبي، وإصلاح شؤوني إذ كنت أول مولود لهما، واستعانت الأم في ذلك بجدتي من قبل الأب فكانت تحوطني، وتحنو علي أكثر من الأم بكثير، وما كانت تقدر على مفارقتي لا ليلاً ولا نهاراً، هذه السيدة الجليلة القدر كانت على جانب عظيم من التبتل والعبادة، صوّامة،

---

(١) الفكر السامي ٢/٢٦٠.

(٢) المرجع نفسه ٢/٣٧١.

(٣) المرجع نفسه ٢/٣٧٧.

محافظة على أوقات الصلاة، حافظة للسانها وجوارحها عن الخروج عن عبادة الله تعالى، مكبّة على طاعته، مشفقة على الضعفاء والمساكين وذوي العاهات، مواسية من يستحق المواساة، فكانت أفعالها وأخلاقها كلها دروساً عملية علمية تهذيبية ينتفع بها من نفعه الله من العائلة كلها، أتلقاها عنها والفكر فارغ من غيرها، فكانت كنقش في حجر. وطالما رغبتني بأنواع ما يرغب به الصبيان في القيام باكراً، وإسباغ الوضوء للصلاة، والنظافة وحفظ الثياب، والاعتناء بكتاب الله، والمحافظة على أوقات المكتب، وحب المساكين، ورحمة الضعيف، وهجر كل ما ليس يستحسن في الدين، وبث روح النشاط في الحفظ والتعليم، فهي التي غرست في قلبي عشق العلم، والهيام بحفظ القرآن العظيم، واعتياد الصلاة، والارتياض على الديانة بحالها ومقالها لما كانت عليه من صالح الأحوال، ومتانة الدين، من علم واعتقاد متين.

فمرآة أخلاقها وأعمالها في الحقيقة أول مدرسة ثقفت عواطفي، ونفثت في أفكاري روح الدين والفضيلة، فلم أشعر إلا وأنا عاشق مغرم بالجد والنشاط، تارك لسفاسف الصبيان متعود على حفظ الوقت ألا يذهب إلا في ذلك، شيق إلى كل تعلم وتهذيب، لا أجد لذلك ألماً ولا نصباً، بل نشاطاً وداعية، امتزجت باللحم والدم.

لذلك كان حفظي للقرآن والمتون قبل أقراني بكثير وبدون كبير عناء، بل في الختمة الأولى حفظت الكتاب العزيز تقريباً، وما زدت الثانية إلا لزيادة الضبط وحفظ الرسم عن نشاط ومحبة داخلية في الضمير المتشوق بالأمل المنساق بعاطفة حب المعالي، وحب أداء الواجب الذي لأجله خلقت حسب ما تلهمني إليه عاطفتي لا بإلزام خارجي.

على أن هذه التربية الجدية المحضة قد أثرت على جسمي بضعف ونحول، وساعد ذلك التأثير عدم وجود نظام في المكتب، وعدم وجود لوازم الصحة والرياضة هنالك، ولا أوقات للراحة، بل عمل متصل ممل.

أذكر هذه الحلقة من حياتي، ويعلم ما أقصده من ذكرها كل من له

إلمام بفن التراجم هذه هي الحلقة التي يغفلها كثير من الباحثين والمؤلفين منا، فتضيع بإهمالها أهم أطوار حياة الرجال، ويتعذر تعليل كثير من أحوالهم يأتون في عملهم هذا بالنتيجة، ويتركون المقدمات لأن حياة الإنسان كلها إنما هي نتيجة ذلك الطور القصير طور الطفولية ومرآة ينطبع فيها كل حين أثر تربيته الأولى والمدرسة الأولى.

إن تأثير هذه التربية الأولى على حياتي هي التي أوضحت لي أن تربية الأمهات لها دخل كبير في تهيئة الرجال النافعين.

وإعداد الأمم للنهوض لذلك أرى وجوب تعليمهن وتهذيبهن تعليماً يليق بديننا، ويزين مستقبل أولادنا ويصيرهن عضواً نافعاً في هيأتنا الاجتماعية، فلا غنى لنا عن إعانتهن في تربية رجال المستقبل الذين عليهم مدار حياة البلاد، وتعليمهن فن التربية، ونظام البيت، وقواعد الصحة والدين، وحفظ القرآن أو بعضه والحساب والجغرافيا والتاريخ والعربية والأدب الحقيقي لا الخيالي ونحو ذلك مما يعينهن على مهمتهن، ويضيء لهن الطريق.

كما أن للرياضة دخلاً كبيراً في تربية الأجسام وتقويتها، وتنظيم الكتاتب، وجعلها موافقة لقواعد الصحة أمر ضروري لحياة الأمة.

هذه هي حياتي مع جَدَّتي جازاها الله عني بأفضل ما يُجازي به المحسنين، وجازى والدتي التي كانت معينة لها في مهمتها، موافقة على كل أفكارها وأعمالها، معترفة في ذلك بفضلها.

ب ـ عناية والده بتربيته وتعليمه:

ويتجلى لنا عناية والده به من خلال ما كتبه الحجوي في ترجمة والده فقال:

[أبو محمد الحسن بن العربي الحجوي. . سيدي ووالدي وعُمدتي، وأول شيخ أخذت عنه أول مسألة فقهية، وغذاني بمعارفه، وأسبغ علي برد مطارفه. كما أخذت عنه السير والتاريخ كثيراً وغيرها، وبأدبته تأدبت،

وتحت شعاع نوره أدلجت، فلو لم أذكر ترجمته، لكان من إضاعة الحقوق، القريب من العقوق، لكني أختصر وعلى بعض ما علمت سعد أقتصر، وإلا فلا سبيل أن أوفيه حقه، ولا أذكر إلا ما تيقنت صدقه.

نشأ في ظلال والده مترددا بين مصادر العلم وموارده، من نعمة يتفيؤ وارفها، إلى طهارة يسحب مطارفها، وأبوه كجدوده قطب بلده الذي عليه مدارها، ومقام حجها واعتمارها، فسلك للعلم الحزون والسهول، وبزّ في حداثته الكهول إلى أن تحلى بكل كمال، وبلغ ما تقصر عنه الرجال، من علم وفضل وتقوى، ومكارم طابق سرها النجوى، ونفس زكية سهلة، تريك كامل السراوة لأول وهلة، ما شئت من أخلاق محمدية زلال، وخلال آمنة من الاختلال، يتمنى رقتها النسيم، وسماحة متلقاة دعواها بالتسليم، شهير الإيثار، بعيد عن جمع الاستكثار، محب للمساكين، وآل البيت الطيبين، والعلماء العاملين، مع صحبة الصالحين، وعبادة المخلصين، وإنابة المخبتين، سليم الباطن، مغض عن الأعراض الموجبة للضغائن، متفق على فضله من القاطن والظاعن، صادق اللهجة، دائم البِشر، واسع الصدر، ثاقب الفكر، وإنه لحسنة من حسنات الدهر، متواصل الأحزان على أحوال المسلمين المتأخرة في هذه الأزمان، ناصح لكل من اجتمع به منهم، دال على الخير، متمسك بأثر السلف الصالح عملاً واعتقاداً لا ينام من الليل إلا قليلاً، ولكمال سيرته، وصفاء سريرته، ومطابقة سره لعلانيته، رزق فراسة صادقة ينظر فيها بنور الله، ودعاء مستجاباً شأن كل أوّاه يعرف ذلك من أحواله كثيرون ممن كانوا ينتابون مجالسه التي لا تؤبن فيها الحرم، ويعدونه له كشفاً صادقاً كنار على عَلَم، ولو شئت لذكرت من ذلك قضايا عجيبة كثيرة، لكني أكتفي بعلم كثيرين بها، وهم أحياء لغاية كتب هذه الأحرف كي لا يقال: مادح أبيه مادح نفسه.

قرأ القرآن على شيخ المقرئين بتازة الذي له الفضل على كل من يمسك القلم بها، الأستاذ السيد علال بن كيران، والفقه وغيره على مفتيها بو حجار، والمقدم الشاهد والرجل الصالح سيدي الحسن بن حنيني وغيرهم من أعلام تازة، ثم لما حدثت بعض الفتن بمسقط رأسه ومنبت غرسه،

انتقل والده بجميع العائلة الكريمة لفاس في حدود الثمانين من القرن الماضي عائداً لمقر أسلافه الكرام التي نقلوا منها على عهد الدولة الإسماعيلية العلوية، وهناك لازم الفقيه الكبير الحاج محمد بن المدني كنون، والشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، ثم أخذ عن سيدي محمد بن قاسم القادري الحديث والسير، وعن غيره من أقرانه، كان آية في الحفظ والاستحضار حكى لي قاضي تازة السيد محمد الخصاصي نزيل طنجة الآن. قال: كان أبوك يحضر مجلس وعظي، فكان يعيد لي كل ما يسمع مني عن ظاهر قلب بالحرف.

وفي المدة التي خاض فيها التجارة وعرف لغتين الإسبانية والإنكليزية، وتشرف بالرحلة الحجازية أول ما لبس من الحجازيَّة، ولقي مشرقاً ومغرباً رجالاً عارفين، فاغترف من بحرهم المعين، وتلقى راية الاختصاص باليمن، ولقد ظهر فضله، وكمل نبله، واستحصل في كل كمال رتبة قصوى، وله في السير والتاريخ اليد البيضاء، وفي علوم الاقتصاد والاجتماع مكانة عليا يعرفها أهلها.

ولقد كان أكبر من الزمان وبنيه، وعدم روضه من يجتنيه، درة مغفلة، وخزانة على اللطائف مقفلة، أنظاره في السياسة بعيدة، وأفكاره ذات سهام سديدة، عرضت عليه وظائف مهمة فأبى، ورآها بالنسبة لحرية لسانه كالهبا، ولاستقلال فكره النضيج وحرية ضميره البهيج، كان أكره شيء إليه التوصل إلى الدنيا الخسيسة بالدين الشريف. فكان يؤثر في تكسبه التجارة بعدما قضى من الطلب أوطاره، اقتدى بآبائه في الأخذ بالحظين والإرث بالسهمين فكان محظوظاً شاكراً ملحوظاً بعين المهابة والتجلة، مقصوداً للملهوفين، محبوباً من أهل الدنيا والدين، وقلبه مع مولاه باطناً، وفي الأسباب ظاهراً، تحلّى من الإنصاف بما يحمد به الإنصاف، حتى كان يظهر لمجالسة الأمية، ويخفض لأهل العلم جناح التواضع حتى يظفر بكل أمنية.

ومن فوائده المبسوطة على أطراف موائده، ذاكرته يوماً فيما يقوله بعض المالكية في حكم التجارة بأرض الحرب حيث كان هو يتجر في

أوربا. فقال لي: لا تكن جامداً على قول الفروعيين، فإن التجارة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١] كانت بالشام وهي أرض حرب إذ ذاك، وأقرهم عليها القرآن، والنبي ﷺ، وقد اتجر عليه السلام بها قبل البعثة بنفسه الكريمة وهو معصوم من المحرم ومن كل ما يقدح في العدالة قبل البعثة وبعدها، على أن أوربا لم تبق دار حرب، بل هي الآن دار سلام منذ سلم المغرب أسطوله وعقد معها المعاهدات، وتحقق أمن المسلم فيها على دينه وماله وعرضه، وقد أَذِن الإمام في التجارة بها، وأطال رحمه الله بأدلة لصراحة حكم الجواز باذلة، وهكذا كانت أجوبته طيّب الله ثراه.

ولد نعمه الله بتازة سنة **١٢٥٩**هـ حسبما أخبرني به، وفي سنة **١٣٢٠**هـ ترك الاشتغال بالدنيا عن اختيار، وطلقها حال إقبالها بالبتات إلى الممات، وانزوى في بيته، وأقبل على مولاه بكليته من مطالعة إلى تلاوة إلى ذكر إلى مجاهدة ومشاهدة نحو تسع سنين[١].

وقال عنه أيضاً: «أما سيدي الوالد، فهو أول من ألقى دروساً في العقائد السنية السلفية طبق القرآن الكريم، وفي الفقه والتاريخ والسير والشمائل، وهذا الفن هو الذي كان أغلب عليه، وهو أدخل في تهذيب الأولاد من كل ما سواه، ولا تحسن تربية أولاد المسلمين دونه، وقد نبهني للابتعاد عن خلط المعتقدات بالأوهام، ودرّبني على التفرقة بين ما هو يقيني يعتقد بدلائله ولا يقبل التقليد في شيء من مقدماته، وبين ما هو مظنون يجتهد فيه استدلالاً واستنتاجاً، ويقابل فيه فكر المخالف بالاحترام والاعتذار وما هو موهوم يطرح، ولا يفسد به جوهر العقل النقي، وكان يحذرني من تغلب العواطف على المصالح، ويحضني على مقاومة الحقائق للخيال، وعلى أن يكون العقل والدين سلطاناً حاكماً على الخيال والعواطف، كما كان يحضني على حفظ القرآن، وأشعار العرب، وأمثالها، والأحاديث الصحاح، والوقائع التاريخية واستنتاج العبر منها، وتطبيقها على الأحوال

---

(١) الفكر السامي ٢/٣١٤ ـ ٣١٧.

الوقتية، فكان نعم الأستاذ النافع، والله يحسن إليه بما أحسن لأوليائه المخلصين. لذا وذاك كنت أرى نفسي مطبوعاً على حب العلم والاشتغال به. بل الهُيام المفرط فيه، راغباً عما يعوق عنه[1].

توفي رحمه الله تعالى في **٢١** ربيع النبوي عام **١٣٢٨**هـ، وسبحان من حجب الفضائل بالتراب، والنجوم بالسحاب، وجعل الحياة كلمع السراب.

ومضجعه المنور بزاوية الصقليين بباب عجيسة.

٣ ـ دراسته بالمكتب:

ويقول العلامة محمد بن الحسن الحجوي عن دراسته الأولية:

(وكنت لما بلغت سبع سنين أو نحوها أدخلني ـ والده ـ لمكتب خصوصي ومعي أخوان صغيران، وبعض أبناء وبنات أحبائه الصغار أيضاً، فكنا نتلقى القرآن العظيم على الفقيه الزاهد البارع في علوم اللسان سيدي محمد بن عمر السودي حفيد الشيخ التاودي الشهير، وتلميذ كنون الكبير، فقرأت عليه إلى (يٓس) وعليه أتقنت الكتابة والقراءة والتجويد والرسم، ودروس الأخلاق، وبعض الحساب، ومبادىء الدين، وأقرأني بعض متون في العقائد والنحو. ثم انتقلنا لمكتب عمومي بزقاق البغل، فأكملت حفظ القرآن العظيم على الأستاذ الصالح الناصح ذي الدين المتين الواضح، سيدي محمد بن الفقيه الورياجلي المقرىء الشهير الذي تخرج به كثير من أعيان فاس وأعلامها والأستاذ ذو مناقب جمة، ومقام عظيم يكفي أن أقول في بعض ما رأيت منها، إني أقسم بالله: لقد جلست بين يديه سنين ملازماً له في الجل من الغلس إلى المساء إلا الأوقات الضرورية ما رأيته إلا في عبادة وطاعة، ولقد أحسن إلي تعليماً وتهذيباً، وبين يديه أكملت حفظ كتاب الله، وكثير من بقية المتون، ودربني على قواعد الإعراب، وفهم غريب القرآن، وعلّمني كثيراً من ضروريات العبادة، وألقح فكري بالتفكير، وعرّفني عملاً

(١) الفكر السامي ٣٧٩/٢ ـ ٣٨٠.

وتخلقاً مقدار ما تساويه مكارم الأخلاق معززاً لما كنت ألقنه في البيت، والله يثيبه بأفضل وأعظم مثوبة.

٤ ـ دراسته بجامع القرويين بفاس:

وفي هذه الوَقْدةِ من التفتح والهُيَام بالعلم والشغف به دخل الحجوي جامع القرويين، وهو أقدم جامعة إسلامية في بلاد الإسلام، فتلقى العلوم التي تدرس فيها.

يقول العلامة الحجوي: «وفي سنة ١٣٠٧هـ دخلت القرويين لتلقي دروس العربية والدين وغيرهما الثانوية والعالية على جلة الشيوخ الذين أحرزوا قصب السباق، وطارت شهرتهم في الآفاق»[١].

ويحدثنا الحجوي عن مكانة جامع القرويين، ودور أساتذته البارعين في تكوين كبار علماء المغرب بل وانتفع من دروس أساتذة القرويين عموم المجتمع الفاسي من تاجر وصانع... فيقول: (لا ريب أن انتشار العرفان في الأمة حتى ينال حظه منها التاجر والصانع وغيرهما عنوان ذكاء الأمة ورقي فكرها وحسن حال مجتمعها، ومن المعلوم أن عوام فاس أحسن فكراً وأجود تصوراً وأتم ذكاء من بعض علماء بقية المغرب لوجود نبراس عظيم يستضيئون به وهو معهد القرويين الذي طما بحر معارفه فتدفق على منتدياتها ودورها وبساتينها فقلما تجد مجتمعاً لا يوجد فيه عالم يجتمعون عليه ويقتبسون من معلوماته.

وغير خفي عن أحد أن منتديات أوربا هي السبب الأكبر في رقي أفكار أهلها. وبالمنتديات يبتدىء الرقي الفكري في كل الأمم قبل المدارس بل هي بذرة المدارس، وبالمسامرات والمحاضرات التي تكون بتلك المنتديات زخرت أوربا بالعلوم وعمّت الحركة العلمية سائر الطبقات. وما تم سلطان الجهل على العلم في بلاد الإسلام إلا بانقطاع الوصلة بين طبقات

---

(١) الفكر السامي ٣٨١/٢.

الأمة فلا يلتقي جاهل بعالم إلا في قارعة الطريق، وطرق المدن المغربية ضيقة تضيق عن إمكان المفاهمة فلا تتحاك الأنظار.

ومن لطائف فاس وجود منتديات طبيعية ففنادق التجار وحوانيت الأسواق على ضيقها يتكون من كل خطة منها فندق أو سوق يجمع النابه والخامل والمتفقه والجاهل فيستفيد هذا من هذا ويقتبس الغافل من الذكي والجاهل من العالم، والقاطن ممن له رحلة استفاد منها علماً وفكراً.

لذلك تجد طائفة التجار بالأخص، لها معرفة بالجغرافية والسياسة والتاريخ وغيرها بسبب رحلتهم إلى أوربا والشرق وأميريكا وغيرها تفيدهم عقلاً وقانوناً في التفكير.

بل تجد منزل كل تاجر نابه منتدى من منتديات الأدب والسياسة فتجد فيه جرائد ومجلات الشرق والغرب وكل كتاب حدث في الاجتماع أو الاقتصاد أو غيرهما. وقلّ من الأعيان من لا تجد في بيته مكتبة ولو صغيرة.

ولقد كان سيدي الوالد قدس الله روحه يحضني على المجالسة والاجتماع بطائفة، من هؤلاء الأذكياء ذوي التفكير الدنيوي والأدب، عاشرهم وعرف نزاهتهم ونباهتهم فكان يقول لي: لا تكن قاصراً على الوسط الذي أنت منه ـ أعني طلبة المعهد القروي ـ بل خالط كل الطبقات: صوفية وفقراء وتجاراً وغيرهم ممن في مخالطتهم اقتباس فائدة)[1].

ولذلك قيل في أهل فاس: (إن العلم ينبع من صدور أهلها كما ينبع الماء من حيطانها) وقيل: (ولد العلم بالمدينة، ورُبّي بمكة، وطحن بمصر، وغربل بفاس)[2] وهذا بفضل هذا الجامع العتيق.

وبلغ عدد شيوخ العلامة الحجوي الذين لقيهم وروى عنهم واستفاد منهم وتخرج بهم (٤٥) شيخاً[3]. ثم ذكر شيوخه الذين أجازوه بعد أولئك

(١) مختصر العروة الوثقى: ١٩ ـ ٢٠.
(٢) زهر الآس في بيوتات أهل فاس ٥/١.
(٣) انظر تراجمهم في (مختصر العروة الوثقى: ١٤٣).

الذين لقيهم وأخذ عنهم، فارتقى بهم العدد حتى بلغوا جميعاً (٩٥) شيخاً. وقد ترجم لهؤلاء الشيوخ المجيزين أيضاً بتراجم حسنة بتوسط في بعضها وبطول في بعضها، حتى غدت ترجمته لهم مرجعاً أولياً لصلته بهم وتلقيه عنهم، وكل من هؤلاء الشيوخ الأجلّة كان إلى جانب تميُّزه ببعض العلوم مشاركاً مشاركة طيبة في جملة علوم أخرى.

فتلقى عن هؤلاء الأجلة وغيرهم في ذلك الجامع العتيق: علوم القرآن، والتفسير والحديث الشريف وعلومه، والفقه والفرائض والأصول، والتجويد، والقراءات، والتوحيد، والأدب، وعلوم البلاغة، واللغة، والاشتقاق، ونقد الشعر، والعروض والمنطق والتاريخ، والسير، والفلسفة، والجغرافية، والميقات، والتصوف، والحساب، والجبر، وغيرها.

وظلَّ ينهل ويَعُلُّ من معين هؤلاء الشيوخ وعلومهم نحو عشر سنين مع الجد التام، والانقطاع الكامل للطلب.

وقد ذكر لنا الحجوي أسماء شيوخه الذين لازمهم وتأثر بهم في جامع القرويين فقال: (والذين لازمت دروسهم مدة التعاطي لزوم الظل للشاخص إلى أن فرقنا الحمام أو خروجي من القرويين هم:

٥ ـ شيوخه الذين لازمهم بالقرويين:

١ ـ الحسن بن العربي الحجوي.

٢ ـ محمد بن التهامي الوزاني.

٣ ـ محمد بن عبدالسلام كنون.

٤ ـ محمد القادري.

٥ ـ أحمد بن الخياط.

٦ ـ أحمد بن سودة.

٧ ـ عبدالسلام الهواري.

٨ ـ الكامل الأمراني.

٩ ـ أحمد بن الجيلاني.

١٠ ـ جعفر بن إدريس الكتاني.

ثم قال: ولازمت كثيراً غيرهم. ولكن لا كملازمتهم. وإليك تراجمهم مختصرة من خلال (الفكر السامي) وفهرس شيوخه (مختصر العروة الوثقى) مرتبين حسب تقدم الوفيات.

١ ـ والده: الحسن بن العربي الحجوي (تقدمت ترجمته)

٢ ـ أبو عبدالله محمد بن التهامي الوزاني (ت١٣١١هـ)

ترجم له تلميذه محمد بن الحسن الحجوي في كتابه (الفكر السامي)[(١)] فقال: (محمد بن التهامي الوزاني أصلاً[(٢)] الفاسي داراً، صدر الصدور الجلة، وعلم أعلام الملة، ركن العلم المحجوج، وبرهانه غير المحجوج، الفارس المجلي في كل ميدان، والمشار إليه بكل بنان، جهبذ راض العلوم الصعاب، وسلك السهول والشعاب، فتملك نواصيها بأوثق الأسباب، ولثقوب ذهنه الرحيب، فلا يرمي إلا بالسهم المصيب، خدم الرجال ذوي الكمال، وركض في كل مجال، فأحرز المعالي بالعوالي، وأصبح تاج الرؤوس، المفدى بالنفوس، برز على غيره في علوم كالنحو والبيان والفقه وتوجيه القراءات، فكان فيها لا سيما النحو إذا وطئت أقدام فحوله الثرى، جاوز الثريا، يملي تحقيقات دروسه من غير احتياج لكتاب، ويشرح متن الألفية أولها بآخرها، ويملي من حفظه قواعدها وشواهدها، ثم شارك في بقية العلوم الإسلامية نقلية وعقلية مع ما أوتي من سهولة التعبير عما في الضمير، ولم يكن له في ذلك نظير، فكانت العويصات لديه ضروريات، فلا يقوم الطالب من درسه إلا محصلاً، وبرع في تحصيل قواعد الفنون بشواهدها من كتاب وسنّة، متعمق في استنتاج دقائقها العلمية،

---

(١) ج ٣٠٥/٢.

(٢) في مختصر العروة الوثقى ص٢٣ (يُنسب شيخنا هذا إلى وَزَّان بلد عائلته وليس من شرفائها اليملحيين).

تارك لكثرة الأبحاث الفارغة اللفظية، جمّاع للنوادر، مطلع ماهر، يمازج درسه الزاهر، بفكاهات تمازح الأفكار، وتذهب بالسآمة، وتصقل الأنظار، إلى لطف أخلاق وهيبة الاستقامة، فكثر النفع به في الأصقاع المغربية حواضر وبوادي، وعمرت بمآثره النوادي، فملأت تلاميذه الكراسي والمنابر، وله الفضل على جميع أصحاب المحابر.

ولقد كان بطلاً لا ترد شباه نقده، ولا تحل مبرمات عقده، بحر زخّار نقّاد نَظّار، إن قيل في غيره فضة، فهو النضار، درسه أعظم درس أدركنا، وأمتع ما رأينا.

لازمت دروسه نحو خمس سنين، وكرعت من بحوره الزاخرة باليمين، عربية وفقهاً وبياناً وفرائض وحساباً وتوحيداً، ومنطقاً وحديثاً وغيرها. وأول يوم جلست بين يديه كساني نوره، فوجدت من نفسي إدراكاً وتحصيلاً لم أجده قبله، فكان ذلك اليوم من أسعد أيامي انتقلت فيه من طور إلى طور، كأني كنت حيواناً فصرت إنساناً، أو كنت نائماً، فأصبحت يقظاناً، وأمسيت نشيطاً جذلاناً، اتخذته عهدتي، وأعددته عدتي والله يجازيه خيراً.

أما قدمه في الورع والزهد والتبتل والعبادة، ففي المكانة التي ما وراءها وراء، ولم أره مدة ملازمتي له إلا ناشراً للعلم، أو تالياً لكتاب الله بحرف أبي عمرو البصري، أو ذاكراً يقوم الليل تهجداً، وفي النهار تراه في نشر العلم ومطاردة الجهل مجاهداً.

تولى قضاء الصويرة، فكان مثال العدل والعفة والاستقامة مع دؤوب على نشر العلم، ولشغفه به، لم يلبث بها إلا قليلاً، واستعفى فأعفي، فرجع لفاس طاهراً، وللعلم ناشراً، وله فتاو قليلة، وكان من أهل الشورى في الأحكام، فلم تحفظ له في ذلك فلتة، بل الذكر الجميل، والفخر الجزيل.

وقد خرج من الدنيا فقيراً في بيت بالكراء مع تجمل ظاهره، وإظهار النعمة عليه، ولعكوفه على ثلاثة دروس يومية فأكثر، قلت نفثات أقلامه، ومع ذلك، فله مؤلفات لا تخلو من فائدة كتأليفه في إيمان المقلد وغيره.

وبالجملة تدارك الله به هيكل العلم الذي كان قد انهار بموت العلامة كنون السابق، فكان خير خلف له في اجتهاده في نشره، وبث روح الحياة في أهله، وعنه أخذ، وعن بناني كلا السابق وغيرهما.

وتوفي بضعف أصابه من كثرة اجتهاده في ليلة ١٢ شعبان وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ برواية البصري سنة ١٣١١هـ، عن نحو (٦٠) سنة.

ولم نرَ مثل جنازته، ورثاه تلاميذه وأقرانه بقصائد عديدة، وكان المصاب به جليلاً، ودفن بالقباب خارج باب الفتح رحمه الله، ولم يعقب ذكراً، ولكن عقبه في العلم لا ينقطع.

٣ ـ أبو العباس أحمد بن الطالب السودي (ت١٣٢١هـ)

ذكره العلامة محمد بن الحسن الحجوي في (مختصر العروة الوثقى)[(١)] فقال: «شيخ مجلس السلطان مولانا الحسن في البخاري، وشيخ مشايخ وقته، قاضي مكناس الزيتون»[(٢)].

هذا الشيخ الوقور الذي أدركته وهو أكبر مشايخ فاس والمغرب، وحين أبطلوا مجلس الحديث على عهد وزارة أحمد بن موسى أيام المولى عبدالعزيز، تصدى لدرسه بفاس فحضرت دروسه فرويت عنه البخاري ثم الشمائل بتمامها، قرأ عليه غيري وهو يسمع وكانت دروس رواية ودراية معاً، لكن إنما كان يقرر أول حديث في درسه يكتب تقارير نفيسة دالة على علو كعبه وبراعة معلوماته ويمليها عليّ من كراسته، كما كان يفعل في المجلس الملوكي فيأتي فيها بالعجب العجاب وفيها ما لا يوجد في كتاب، وقد راجعته في مواضع كثيرة وفاوضته وقيدت عنه، وكان عظيم الإنصاف أبعد الناس عن الاعتساف.

وله كناشة عند ولده أخينا في الله وصفينا سيدي العابد خطيب الحرم

---

(١) ص٢٩.

(٢) إتحاف أعلام الناس ٤٥٦/١.

الإدريسي ذكر فيها ما له من رواية وإجازة عن مغاربة ومشارقة. وكتب على ظهر أول ورقة من القسطلاني بعض أسانيده بالمغاربة وعلى مثلها من (فتح الباري) سنده بالمشارقة).

وقال عنه في (الفكر السامي)[1] (. . . شهاب العلم، وقبس التحصيل والفهم، زعيم الفئة، ويتيمة عقد هذه المئة، بقية السلف، وزينة الخلف، شيخ الجماعة بالمغرب، وشيخ أملاكه والبدر في أفلاكه، بحر العلوم العقلية والنقلية الزاخر، وفلكها الدائر، وشمسها التي أخفت النجوم الزواهر إلى المجد الأثيل الباذخ المؤسس على أساس العلم السانح، إذ بيت بني سودة بيت علم أصيل، ومجد أثيل، حملوا المحابر، فملوا على المنابر، ومع ذلك، فالشيخ عصامي، لا يتكل على مجد عظامي، لذلك حاز قصب السبق على الأقران، وجلى في الميدان، فكان في التحقيقات البدر المنير إذا ادلهم مشكل، أو ناب معضل، إلى كرم نفس، وإصابة حدس، ورقة طبع دونه النسيم، وخلق كريم يسلي الكليم، حليته الإنصاف شأن الأشراف مع فصاحة سحبانية، وكف حاتمية، وذهن وقّاد، وقلم سيّال نقّاد، كثير المطالعة، واسع الاطلاع، معتنٍ بجمع الفوائد والشوارد، وقيد الأوابد، وقفت على جملة من كتبه، فلا تجد واحداً منها إلا وعليه خطه وملاحظاته القيِّمة، جاعلاً لها فهارس مقربة، فهو شيخ النحارير النظار في عصره، ولم ندرك في بيتهم من يساويه، ولا في حلبته من يساميه، وكان مع ترؤسه مجالس الملك الحديثية قاضي مكناس مدة طويلة إلى أن توفي قاضياً، أخذت عنه بفاس صحيح البخاري، وشمائل الترمذي، ولازمت درسه فيهما إلى الختم رواية ودراية. وله سند عال بينته في الفهرس، فكان يأتي بالعجائب البينات، ويصير معضلات العلم بحسن ذوقه، وثاقب فهمه، وحسن أسلوبه في التعبير من الواضحات.

كان كثير التقييد يكتب درسه، ويمليه محرراً من كراسته، تفرد بهذا العمل لكبر سنه، ونحولة جسمه، لكن فكره الوقّاد لم يتقمص معه في

---

(١) ج ٣٠٩/٢.

قميص شيخوخته، بل بقي في عنفوان الشباب يفحم الشباب، ويأتي بفصل الخطاب، راجعته في مسائل كتابة وشفاهاً، فكان مثال التحقيق والإنصاف، بعيداً عن جبروت الولاية والاعتساف، وله عدة تواليف فقهية وحديثية، منها حاشيته على البخاري، لو طبعت لكان لها طيران حثيث، ولد سنة **١٢٤١**هـ وتوفي **١٠** رجب (**١٣٢١**هـ).

٤ ـ أبو سالم عبدالله الكامل الأمراني الحسني (ت١٣٢١هـ)

يقول محمد بن الحسن الحجوي في ترجمته[١]:

(أجل عالم رأيته في بيت الأمرانيين، فقه محرر، وعلم بمكارم الأخلاق مؤزر، فكان العلَم الأشهر، ذا نزاهة وتقوى وتمسك بالحبل الأقوى، ولما توفي شيخنا الوزاني السابق طلبت منه أن يقوم مقامه في إلقاء دروسه فأسعف في درس مختصر خليل، فكان يلقي هذا الدرس بما يقرب مما كان لسلفه تحريراً وتحقيقاً، واجتمع عليه كثير من طلبته وجرى مجلياً في حلبته وفي وقته وجرى في سرد الزرقاني وبناني والخرشي على سنته وبدا لنا عجب من مقدرته، فقرأت عليه جملة كافية غير قليلة. وكنت أجالسه في منزلي تارة أو في منزله وأراجعه وأفاوضه، وكان منصفاً، وبالوداعة متصفاً، وقد استفدت منه كثيراً ولازمته زمناً ليس يسيراً.

شيوخه الفقيه كنون الكبير والمهدي بن الحاج وقاسم القادري والد شيخنا ومحمد بن عبدالرحمٰن العلوي القاضي، وأحمد بناني كلا.

وأثنى عليه في كتابه (الفكر السامي)[٢] فقال: (بيت المجد الصميم، والفضل العميم، رضع ثدي المعارف على الشيخ كنون الكبير وطبقته، فكان من الناجحين في حلبته، إلى أخلاق عالية، ونفس في المكرمات سامية، وتحقيقات للمسائل العلمية بادية، حضرت دروسه الفقهية، فكانت آية الآيات تتضاءل لديه المعضلات مع مشاركة واسعة، وتقوى الله لذلك نافعة، للأدب

(١) مختصر العروة الوثقى: ٤٩.

(٢) ج ٣١١/٢.

والتواضع فيه انطباع يجذب الطباع مع رحب باع، وحسن اطلاع، وتحرير عميق يشنف الأسماع، ينثر في درسه الجواهر التي تزري بالزواهر، جلس للدرس بعد وفاة الشيخ الوزاني السابق، فركض في الميدان وجلى، وكان النهار إذا تجلى، فلم ينشب أن اقتطفته المنون كهلاً سنة ١٣٢١هـ).

٥ ـ أبو محمد جعفر بن إدريس الكتاني الحسني (ت١٣٢٣هـ)

يقول عنه محمد بن الحسن الحجوي[(١)]: (شيخنا الإمام الفقيه العلامة الورع الناسك الواعظ الدال على الله بحاله ومقاله، النزيه في أحواله كان ناشراً للعلم متحرياً في دينه، متقشفاً في عيشه عاكفاً على نفع الخلق، صارماً في قول الحق من أهل الشورى، المتفق على نزاهته وفضله، أخذ عن شيوخ أشار لهم في كتابه (الشرب المحتضر في بعض أهل القرن الثالث عشر) وله فتاو وتآليف كشرح خطبة شرح ميارة على المرشد المعين وغيره، وقد كان من القوم الذين إذا رؤوا ذكر الله وبالجملة كان من خيرة من أدركنا نزاهة وديناً عصمه الله من فتنة الدنيا وزخرفها، فأنعم الله عليه بأنجال علماء جلّة كسيدي محمد الذي رحل إلى المشرق أخينا في الله ونعم الأخ وشهرته كافية عن إطرائه، وأخيه مولاي أحمد وسيدي عبدالعزيز وسيدي عبدالرحمٰن كلهم من خيار علماء وقتهم).

وقال أيضاً: (الشيخ الوقور، وكان من الذين إذا رؤوا ذكر الله، من أفضل وأنزه من رأيته من جلّة أشياخي الذين افتخر بالانتساب إليهم لعلمه وفقهه وتثبته وورعه وزهده الحقيقي، وطهارة ذيله مع ما كان يباشره في مجلس الشورى من الأحكام وفصل الدعاوي الهامة وحل مشكلاتها ونصرة الحق من غير تناول أجر، ولا شيء ابتغاء مرضاة الله على قلة ذات يده.

له عدة شيوخ يروي عنهم سماعاً كابن عبدالرحمٰن الحجرتي ومحمد بن حمدون بن الحاج، والحاج الداودي وابن سعد وطبقاتهم، وأجازه الشيخ علي بن ظاهر الوتري المدني حين رحل لفاس عام ١٢٩٧هـ وتدبج معه.

---

(١) الفكر السامي ٣٠٨/٢.

وقد أبان الشيخ جعفر في فهرسته (إعلام الأئمة الأعلام وأسانيدها) ما له من المرويات وأسانيدها وهو مطبوع بفاس. وساق فيه أسانيده وتواليفه وبالأخص أسانيد ظاهر الوتري المذكور[1].

٦ ـ أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالسلام كنون المستاري الفاسي (١٣٢٦هـ)

من بيت بني كنون الشهير بفاس، وتقدم هذا السيد تحفة الدهر التي يقل لها الكفاء علماً وبراعة. رواية ودراية، وتقوى واستقامة، وسمتاً وهداية، نشأته سحبت من العفاف ذيلاً، وغضت الطرف حتى عَنَّ الطيف ليلاً، شابٌ نشأ في عبادة والإكباب على العلم، والتكفي بما خلفه أسلافه ذوو المجادة، فلم يزل خدن الصيانة، صلب الديانة في عفاف واستكانة، حافظاً لناموس العلم عالي الهمة، مترفعاً عن كل ما لا يليق بذوي الأقدار، حتى يظنه الظان متكبراً معجباً، فإذا فاتحه الكلام، أدهشه ما يجده من تواضع، ومكارم أخلاق، فأيقن أنه فيلسوف حكيم، عرف أهل زمانه ففرّ بدينه، وأقبل على ما يبقى، وأشاح عما يفنى، وقنع بالكفاف، ونظر إلى الدنيا نظر استخفاف، عكف على العلوم، وأعطى كليته إليها، ولم ترض همته إلا باقتنائها والغوص على جواهرها وانتقائها، ومع حداثة سنه حصل على ما عجز عنه الشيوخ أو وسم بمقام الرسوخ، وأعانه صفاء مرآة فكره التي ما كدرها اهتمام بمعيشة، ولا هم رياسة، أو خوض حمأة السياسة، فكان حافظاً واعية، ضابطاً متقناً، بارعاً في سائر العلوم الموجودة في زمنه، بحر لا تساجل لجته، وبرهان لا تراجع حجته، مستقيمة محجته، أمعن في العلوم كل الإمعان، وتمكن من صياصيها تمكن العوائد من طبع الإنسان تحسبه في كل فن واضعه، ولا ينزل عويص إلا كان فارعه، تجلت فيه المواهب الإلهية بأبهى مجاليها. فكنت إذا أردت الموازنة بين دروسه الحديثية والتفسيرية والتجويدية والفقهية إلخ: هل غلب عليه فن منها، فلا تجده إلا بارعاً في الكل سواء براعة فحوله العظام وأئمته الأعلام، وذلك ما

---

(١) مختصر العروة الوثقى: ٥٢.

لم أره في غيره، إذ كل من رأينا يغلب عليه فن من الفنون، وهذا لفضل ذكائه، وقوة عارضته واقتداره، لا تجد براعته في واحد منها تنقص عن سواه، فسبحان من هو على كل شيء قدير.

بلغ غاية الغاية في التحقيق، والفهم الدقيق، فكأنه ينظر للغيب من ستر رقيق، بل لا ستر بينه وبين المعارف إلا أن يلتفت إليها، فتتدلى له الأغصان بالقطائف، ولا يتجني إلا اللطائف، إلى فصاحة تترك سحبان لو رآه باهتاً، وقسا لاستحيائه ساكتاً، إذا مررت بدرسه ترى خطيباً بدون منبر، وبحراً يقذف أنفس الدرر، لم تحفظ عنه لحنة في دروسه الكثيرة في أنواع الفنون، فما كان ينتابها إلا المنتهون والنبهاء والمدرسون، لذلك أقول عن تحقيق: ما رأيت مثله، ولا رأى مثل نفسه فيما أظن حفظاً وإتقاناً لكل علم توجه إليه، وفصاحة وثبات جنان وطلاقة لسان، وتصرفاً في العلوم وورعاً واستكانة وعزوفاً عن بهرجة الحياة، هذا مع نحول جسمه، ولطافة شكله، وخفة روحه ومهابته، وحسن بزته، وعمارة الوقت بعد نشر العلم بالأذكار والعبادة، قد لازمته بعد موت الوزاني مدة طويلة إلى أن أقعده المرض لم أتمالك على التخلف عن دروسه ومجالسته ومذاكرته، فانتفعت به كثيراً، جزاه الله أحسن الجزاء فلا أحفظ أني رأيته إلا في عبادة.

كانت علوم اندرست أو ضعفت، فأحياها، ونفخ روحاً جديدة في طلابها، فابتهج محياها، درس علم التجويد بعدما درس، وأحيا قراءة التلخيص بمطول السعد بعدما بعد عهد هذه الديار بتهاطل تلك الأمطار، وذلك كله عطل بموته، وأحيا قراءة التفسير بالبيضاوي لكن القاصرين لم يرق ذلك في أعينهم، فزعموا أنه يتسبب عنه موت السلطان، فشغلوه بولاية قضاء أسفي، ويا أسفي على العلم قضى عليه الحسد، وأذهب الروح وترك الجسد، لكن لم يلبث إلا نحو سنة، ثم استعفى فأعفي مشوقاً إلى ما تعوّد من نشر العلم، طاهر الذيل، قائماً بحقوق العدل، فرجع لدروسه تاركاً التفسير في دروسه، ولإكباب المترجم على الدروس الكثيرة، وإقبال التلاميذ عليها بإلحاح حيث انتهج في الإلقاء نهج الحفاظ الكبار إملاء كالبحر في مده، وتصرف بديع في التحصيل والبيان، وتبليغ مع تفهيم بليغ، كل من

جلس في درسه لا يقدر على مفارقته، إلا أن يكون قاصراً عن فهمه، غير عاشق للعلم، ولا تطربه الفصاحة والبلاغة، لذلك لم يتيسر له تواليف مهمة تناسب علمه مع اقتطاف المنون له في زهرة الشباب ومع ذلك فله تواليف لا تخلو من أهمية كشرحه لخطبة المطول، وتأليفه في البسملة في الصلاة وغيرهما[1].

وذكر محمد بن الحسن الحجوي الكتب التي قرأها عليه فقال: (قد لازمت دروسه ملازمة شديدة مدة طويلة، فما قرأ شيئاً مدة طلبي إلا وحضرته من حديث وتفسير وأصول وفقه ونحو وبيان ومنطق ووضع وسير وغير ذلك، وسردت بين يديه النصف الأخير من المحلي على جمع الجوامع ومدحته بقصيدة عند ختمه مذكورة في غير هذا المحل، والنصف الأول من تلخيص المفتاح بالمطول، وحاشية السيد، وحضرت عليه سلكة أخرى قبل هذه، وانتفعت به كثيراً وعليه تعلمت فن التدريس وكانت له فيه غاية تلحق مع فصاحة وبلاغة وعبقرية واقتدار واستحضار لم يكن لأحد غيره ممن أدركنا، وكنت أتشوق لحضور دروسه بكل اهتمام لما له من سعة الفكر ونزيه النقد وثبات الجنان ودقة الفهم مع سعة الحفظ، وسرعة الخاطر، قد استوى لديه الضروري والعويص في التعبير عنهما، بيان سهل وأسلوب عذب مع ما لديه من التثبت والضبط والورع ومتانة الدين وكمال لين الجانب والتواضع والحرص على الإفادة والبعد عن الشبهات والإكباب على ما يعنيه من النفع والتعبد، وبهذا عُدَّ من أركان النهضة العلمية في عصره رحمه الله[2].

وقد بقي على حاله الموصوف إلى أن نزلت به سكتة ألزمته الفراش مدة، ثم وجد بعض الراحة غير تامة، فبقي بين اعتلال وإبلال إلى أن توفي سنة ١٣٢٦هـ، ودفن بضريح أبي غالب برأس القليعة من فاس، وانقرض عقبه من الذكور رحمه الله، إلا أن عقبه العلمي لا ينقطع، إذ جل من يشار

(١) الفكر السامي ٣١١/٢ ـ ٣١٣.

(٢) مختصر العروة الوثقى: ٣٧ ـ ٣٨.

إليهم في الوقت مستمدون منه، نعم بموته انطفأت تلك النهضة العلمية العربية. والله يعيدها لأحسن ما كانت.

٧ ـ أبو محمد عبدالسلام بن محمد بن الطاهر الهواري (ت١٣٢٨هـ)

من هوارة الوطا قرب فاس، فقيه نقّاد، مشارك نفّاع، من أساطين العلم الكبر، وأنجمه الدرر، أغر البيان، وبرهانه العيان، فخم مفخم في تدريسه المرتل ألذ من إيقاع المثاني في إلقائه الذي لا يمل، تكسوه جلالة عند الإلقاء لم تكن عند اللقاء. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، استقضي بقصر كتامة ثم الصويرة، ثم صار قاضي فاس.

أخذ عنه محمد بن الحسن الحجوي، حظاً من الفقه والبيان والحديث وغيره، وله حواش على شرح لامية الزقاق لابن سودة وشرح على الوثائق البنانية الكل مطبوع.

توفي رحمه الله في أواخر جمادى الثانية عام ١٣٢٨هـ[١].

٨ ـ أبو عبدالله محمد بن قاسم القادري الحسني الفاسي (ت١٣٣١هـ)

يقول عنه العلامة الحجوي في (مختصر العروة الوثقى)[٢] (هذا الطود العظيم من جلة أشياخي الأتقياء الأثبات المحققين الراسخين في العلم والدين، أخذت عنه كثيراً وانتفعت بملازمته ومراجعته وكان مسكني قريباً من مسكنه فكانت تسهل علي مراجعته لا سيما مع مشاركتي للشيخ الوالد في الأخذ عنه، فكان يأتي لدارنا فأجد فرصة للتوسع معه ومراجعته).

وقال في ترجمته في (الفكر السامي)[٣]: (الإمام النحرير النقّاد، والعلَم الذي تتضاءل له الأطواد، الفقيه الأصولي المعقولي المشارك في العلوم، وقد تسنم منها الذرى التي تقصر عنها الفهوم إذا أظلم ليل عويصه واحتلك، كان فكره شمساً تمحو ذلك الحلك، وهبه الله ذهناً متوقداً، وفكراً متيقظاً

(١) الفكر السامي ٢/٣١٤.

(٢) ص: ٤٧.

(٣) ج ٢/٣١٧.

مهما خطا لا يعرف الخطأ، إلى زهد وعفاف، ورضي بالكفاف بل طلّق الدنيا بالبتات، ووأدها وأد البنات، وقد عين لقضاء الصويرة فاحترم بحرم زرهون تاركاً الدنيا لمن رضي بالدون، واعتكف هناك على نشر العلم في بلد كان منه قفراً، فأصبح كروض هتون، إلى أن أعفي، فرجع لفاس متوجاً بتاج الزهد الصحيح، والعز الصريح، وبقي سائر عمره ثابتاً في ذلك المقام ما مال قط إلى الحطام، ولا احترف بحرفة أمثاله شهادة ولا فتيا إلى أن جاءه الحمام وقد تجرع من قلة ذات اليد مضاضة ولم تكن عليه فيه غضاضة، وربما سأل ذوي اليسار متعففاً شاكراً، ودأب طول عمره للعلم ناشراً، فكان أحد أساطين القرويين العظام الذين عمروها بالدروس والتآليف الجسام.

أما الثقة به، فكلمة إجماع فهماً وديناً من غير نزاع، لازمته مدة طويلة في دروسه المتنوعة فقهاً وأصولاً، وحديثاً وسيراً وتوحيداً وغيرها، وناولني بعض تواليفه الممتعة، وسمعت عليه مرتين إلا قليلاً حاشيته على شرح ابن كيران على توحيد المرشد البديعة، وله (رفع العتاب والملام عمن قال إن العمل بالضعيف حرام) وتآليف في إيمان المقلد، وآخر في السدل وغير ذلك، وقد ترك الدرس بعض أعوام من آخر عمره إلا قليلاً لضعف أصابه في جسمه).

وقال عنه العلامة المحدّث عبدالحي الكتاني: (هو شيخنا الدرّاكة المشارك الفهّامة البركة الماجد بن الأماجد أبو عبدالله محمد بن قاسم بن محمد بن عبدالحفيظ بن هاشم القادري الحسني الفاسي، جده هو محمد بن عبدالحفيظ السراوي عن الحافظ مرتضى والعربي بن المعطي (دلائل الخيرات) وعنه عبدالقادر الكوهن والطالب بن الحاج وإبراهيم بن محمد الصقلي، وحفيده المترجم كان من أعيان علماء فاس وأكثرهم تلماذاً وإقبالاً، كثير التنزل مع الطلبة لا يستنكف من مراجعتهم له وبحثهم معه، له مولد نبوي، وحاشية على شرح الأزهري على البردة في السير وهي مطبوعة في مجلد، وله فهرس مطبوع بفاس، ولكن ليس فيه إلا الرواية بالحضور والسماع فقط ولم يكن أجازه أحد لا والده ولا جده فضلاً عن غيرهما،

فلما اهتم بجمع الفهرس رأى من النقص ألا تكون له إجازة بالكتب الستة، فاستجاز بدلالتي شيخنا القاضي أبا العباس أحمد بن الطالب بن سودة وأنا كتبت له أسانيدها من طريقه حسب استخراجي فأثبتها فيها)[١].

وكانت وفاته سنة ١٣٣١هـ، فجأة رحمه الله ورضي عنه، ومدفنه بروضة الصقليين داخل باب عجيسة.

٩ ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن الخياط الزكاري الحسني الفاسي (١٣٤٣هـ)

يقول عنه العلامة الحجوي: (إمام أهل الورع والتقوى، والمشار إليه في المغرب بإتقان العلوم والفتوى، والعضو في الشورى، ومبرز ذوي المكانة الدينية العليا، أستاذ الفقهاء والمحدثين، وحامل لواء المفسرين والمحققين والصوفية والمدرسين والمؤلفين، شيخنا وقدوتنا فضاض المشكلات، وبدر المدلهمات، فارس الفقه المجلي، وجامع جوامع أصوله وإمامه المحلي، كشاف التفسير بالسنة، وإضاءة التوحيد في الدجنة، زيد الفرائض، ورافع الحجاب عن علم الحساب، وفائق التوثيق، وجنيد المتصوفين من غير ارتياب، ذو التواليف النافعة، والتلاميذ المالئة للأقطار الشاسعة، محظوظ في العلم بالسهمين درساً وتأليفاً على تعب كان يحصل له في الإلقاء، وطالما حضر شورى النوازل القضائية، فنال من العموم ثناءً منيفاً. ولقد فشت فتاويه في ديار المغرب، وكان فيها لسان الشريعة المعرب، وما حفظ عنه أنه تناول أجراً على فتوى أو حكم، أو لمز بما يصم، بل ورعه لا تقرب الشبهات حماه، واجتهاده لا يبلغ مرماه، إلى تواضع وخفض جناح، وأخلاق تتأرج منها البطاح.

له تصنيف مختصر في التوحيد، وآخر في القلم الفاسي المصطلح عليه عند الموثقين، وحواش على شرح المصطلح الحديثي، والكل مطبوع، وغير ذلك، وقد تناول شيئاً من التجارة في أول أمره، ثم تجرد على طريق

(١) فهرس الفهارس ٩٣٥/٢ ـ ٩٣٦.

الصوفية الدرقاوية، ثم رجع لنشر العلم والعكوف على نفع الخلق إلى الآن.

قرأ على شيوخ كبار كالشيخ محمد بن المدني كنون وهو عمدته وغيره ممن ذكرته في الفهرسة، وأخذ عنه عموم علماء المغرب المحققين مرحولاً إليه، مؤتمن جليل القدر، عظيم الخطر، قرأت عليه كثيراً من الفقه والحديث والتفسير والأصول والسير وغيرها، وانتفعت به، ولازمته أعواماً، وإنه لمن أهل الورع والدين المتين الذين أدركنا والحمد لله.

ولقد ذاكرته وراجعته في عدة مسائل، وقد أجازني إجازة عامة وخاصة شفاهياً، ثم أجازني ثانياً كتابةً، وأجاز فيها ولدي سيدي محمد وسيدي علي أصلح الله حالهم تجد نصها في الفهرسة، ولما نظمت المجلس العلمي بالقرويين، انتخب هو عضواً أول فيه، وخليفة الرئيس، وقد وازرني فيه بأفكاره الصائبة، ثم لما استعفيت من رياسته، رشح لها كما سبق لنا ذلك، ولا زال رئيسه إلى الآن، وبمثله تشرف المناصب العظام[1].

وذكر الحجوي مشيخة شيخه في (مختصر العروة الوثقى)[2] فقال: (لشيخنا ابن الخياط شيوخ ينيفون على الثلاثين سردهم في ثبته الذي أجاز به النقيب ابن زيدان، منهم: عبدالسلام بن الطايع بوغالب (ت١٢٩٠هـ) والحاج الداودي التلمساني (ت١٢٧١هـ) وأحمد المرنيسي (ت١٢٧٧هـ) والأستاذ الكبير محمد بن عبدالرحمٰن الحجراتي (ت١٢٧٥هـ) والمهدي بن الطالب السودي (ت١٢٩٤هـ) وأخوه الحاج عمر (ت١٣٨٥هـ) وعبدالملك الضرير، وجعفر الكتاني، ومولاي عبدالله البكراوي، وأحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي وقد شاركته في هؤلاء الثلاثة، كما شارك هو شيخه بناني في الضرير، وقد أدركت بناني كلا وصليت وراءه مراراً وسمعته يقرأ القرآن، ولكنه كان عجز عن الدرس، ورأيت الحاج صالحاً الشاذلي وكنون الكبير وأحمد بن الحاج المحشي قبل زمن الطلب ولم أسمع منهم.

توفي رحمه الله تعالى في ١٢ رمضان عام ١٣٤٣هـ.

---

(١) الفكر السامي ٢/٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٢) ص: ٤٤.

١٠ ـ أبو العباس أحمد بن الجيلاني الأمغاري الحسني الفاسي (١٣٥٢هـ)

يقول عنه تلميذه العلامة محمد بن الحسن الحجوي: (لا أدري كيف أقول في تعريفه وهو العلم، وفضله أظهر من أن يطويه القلم، إذ هو شيخ فقهاء الوقت الأعلام، والمحقق الضرغام، فارس معقول ومنقول، وأحد النظار الفحول، شهير في كل مصر، وبصير بحال أهل العصر، مشهور العلم والنزاهة، والكياسة والنباهة، فيلسوف الفقهاء، وشيخ النبلاء، وفقيه المتصوفين، وبقية العاملين والصالحين المتصفين المنصفين، ولسان المناطقة والمتكلمين، ثاقب الفهم واسع الفكر، بادي البِشر، مشارك في الفنون محققها، والمعقول والتصوف أغلب عليه ولا سيما علم المنطق، فإنه أعرف أهل المغرب به غير مدافع، قرأته عليه مرات، فكان في لسانه كالحديد في يد داود عليه السلام، كما لازمته في النحو والفقه والكلام وغيرها مدة طويلة وانتفعت به كثيراً جزي خيراً.

تولى عضوية الشورى من لدن الدولة السابقة، فكان مثال النزاهة، طاهر الذيل، ثم انتخب عضواً ثانياً في المجلس العلمي بالقرويين، فكان لي كالعضو الأول موازرة، ثم صار خليفة للرئيس السابق، فكان هو المتصرف في أكثر مدته، ثم تولى الرياسة بعده ولا زال شاغلاً لهذا المركز المهم في نظر الأمة المغربية، وإنه لحقيق به، إذ هو من أجلِّ الشيوخ فضلاً، وأكثرهم نفعاً، وللمكارم جمعاً، وفضل الشيخ كثير، وبحره كبير أنى يفي به قلم العاجز القصير.

أخذ عن الشيخ كنون الكبير وطبقته، وبعض تلاميذه كسيدي محمد بن التهامي الوزاني، وقد شاركته في كثير من شيوخه، وأجازني إجازة خاصة وعامة مشافهة[١].

وقال أيضاً: (ناولني تأليفاً له في صحة صلاة الجمعة في الطرق المتصلة بالمسجد ورحابه، وبيت القناديل والسطح بشرط عدم التعدد، أو

---

(١) الفكر السامي ٣٢٢/٢.

كونه آخر مسجد تقام فيه. وكانت قراءته تفهيمية تدقيقية ليست من نوع الإملاء، وكان له فكر واسع وقّاد وذهن نقّاد يلقبونه لأجله فيلسوف الفقهاء[1].

توفي رحمه الله تعالى بعدما وقع له فتور نحو سنة في ذهنه، ظهر يوم الخميس ٦ حجة الحرام عام **١٣٥٢**هـ.

٦ ـ وظائفه:

أ ـ تدريسه بالقرويين:

يقول العلامة محمد بن الحسن الحجوي[2]: (وفي سنة **١٣١٦**هـ كان ابتداء إلقائي للدروس بعد أن أذن لي بعض الشيوخ منهم، ومن غيرهم.

ولم تكن القرويين تعرف إذ ذاك امتحاناً وإنما كان يقوم مقامه إذن شيوخها الكبار لتلميذهم في التدريس، ثم تتوزع الشهرة والإقبال بقدر طول الباع.

فأصبحت في هذه السنة أعد في صف العلماء المدرسين، وبها ألفت أول تأليف كتبته أناملي تجد بيانه في الفهرس، وإني أعلم من نفسي أنه لم يكن معي من الذكاء والاقتدار ما يؤهلني لذلك، والمرء أعرف بنفسه، ولكن كان معي كد وجد، وانقطاع للطلب نادر مع طاعة تامة لوالدي وتعظيم شيوخي، وفي هذين الأمرين سر عجيب يكاد يلمس، ولا ينكره إلا من كان أطمس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والحمد لله رب العالمين).

ب ـ اشتغاله بالتجارة:

وفي سنة **١٣١٧**هـ، أخذت أتناول شيئاً من التجارة في غير أوقات الدروس تدريباً.

---

(١) مختصر العروة الوثقى: **٤٩**.

(٢) الفكر السامي ٢/٣٨٢.

ج ـ اشتغاله بالسياسة:

وفي السنة بعدها وظفت أول وظيف عدلاً في حوائر دار المخزن بمكناس أيام السلطان المولى عبدالعزيز بن الحسن، وفي سنة ١٣٢٠هـ رقيت منه إلى وظيف أمين ديوانة مدينة وجدة على الحدود المغربية الجزائرية، وفي هذه السنة قبل سفري إلى وظيفي الجديد تزوجت.

وفي هذه السنة بدأ انقلاب الأحوال بالمغرب بثورة أبي حمارة التي سببت فقر مالية المغرب والسلف الأوربي، ثم سقوط المالية بيد إدارة السلف، وفناء حُماة المغرب وأبطاله في الحروب الداخلية، وقد اختل النظام، وضاع الأمن، وفسدت الأخلاق، وضاعت الفضيلة والأمانة، وتكالبت الناس على الرياسات الوهمية وجمع الحطام، وتسلط على مناصب الدولة كل دخيل جاهل، فجرّ ذلك إلى تلاشي الدولة العزيزية، وتتابعت المحن، وأظلم جو المغرب، وفي أثناء ذلك وقعت معاهدة ٨ أبريل سنة ١٩٠٤ بين فرنسا والإنكليز، ثم مؤتمر الجزيرة الخضراء، باشر المؤتمر بيسير سقطت الدولة العزيزية، وقامت الدولة الحفيظية ثم وقع إثر ذلك الاحتلال، ثم إعلان الحماية سنة ١٣٣٩هـ وما استقر الأمن إلا سنة ١٣٣١هـ فما بعدها شيئاً فشيئاً هذه إحدى عشرة سنة رأى المغرب فيها من الأهوال والشدائد ما يشيب له الرضيع، وتندك له الجبال.

دخلت معترك الحياة، وقرعت باب السياسة والبلاد في هذه المشاكل، ويناسبني أن أتمثل هنا بقول عبدالحليم بن عبدالواحد:

عشقت صقلية يافعاً ... وكانت كبعض جنان الخلود
فما قدر الوصل حتى اكتهلـ ... ـت وصارت جهنم ذات الوقود

وهذا الزمن هو عنفوان العمر، وربيع الشباب كنت آمل أني أستريح فيه من عناء الطلب، وأجد فيه راحة وهدوءاً وفراغاً لنشر العلم، والتمتع بحياة هنية، لكنني صرت آسف على ما مضى وأشفق من المستقبل، ووافق ذلك انزواء سيدي الوالد للعبادة، وتركه للدنيا التي كان كافيني إياها، فلزمني القيام بشؤون كثيرة وعبء ثقيل ألهاني عن إعطاء كليتي لما كنت أتمناه من

نشر العلم مع أشغالي بوظائفي الهامة، ثم آل الأمر للطامة الكبرى علي، وهي فقدي له جعله الله فرطاً وذخراً.

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وقد كنت أشاهد بركة دعائه في كل حركاتي وسكناتي، وقد كنت أحرزت والحمد لله في طاعته وإرضائه مكاناً عظيماً، وقد فارقته ولسانه وجوارحه تدعو لي غير آسف في الدنيا إلا على فراقي، أعاد الله علي فضل دعائه، وتغمده في رحمته. ويرى المطلعون على ذلك أن ذلك من سر نجاحي في كل أعمالي، وسرعة تقدمي وارتقائي، وسبوغ نعم عظمى على العبد الفقير يعجز عن ذكرها فضلاً عن شكرها، وحديث أصحاب الغار في الصحيح يؤيد ذلك، والقرآن والسنّة طافحة به.

توليت **أمانة ديوانة وجدة** ولما ظهر للمخزن ثمرة أعمالي في ضبط أمر الديوانة حتى صار مدخولها ثلاثة أضعاف ما كان قبلي على ضعف النظام واختلال الأمن وتيقن بما هو مثبوت في الدفاتر الرسمية من نجاح الأعمال، حصلت له الثقة بي، فزاد لي على ذلك **وظيف مفتش الجيش** الذي كان مرابطاً هناك لصيانة وجدة من هجوم أبي حمارة، وشغله هناك عن رد وجهته عن فاس، وكان هو معظم الجيش المغربي إذ ذاك، وذلك سنة **١٣٢١**هـ، فكنت بهذه الصفة نائباً عن وزير المالية في أمور الجيش المالية، وعن وزير الحرب فيما يرجع إلى الأسلحة والذخائر الحربية وما إلى ذلك، وبمجرد استيلامي للوظيف أخذت في التفتيش والضبط وإسقاط كثير مما كان زائداً في قوائم الجيش باطلاً ولا حقيقة له مما كان من أسباب سقوط المغرب، ويسمى في اصطلاحهم (منفوخ) وحسمت مادة بيع الذخائر والأسلحة، وأحرزت خزنتها كلياً، فاقتصدت لخزينة الدولة ما ينيف عن خمسة عشر ألف بسيطة عزيزية يومية كانت تحمل على عاتقها، وتذهب في بطون لا تعرف الشبع هباءً منثوراً، وأهمية هذا القدر في ذلك الوقت لا تخفى، وقد انحسمت بعد ذلك مادة بيع الذخائر الحربية والسلاح للعدو، وتوفر للخزينة مال وافر مما كان يضيع فيها، كل ذلك مثبوت بالدفاتر الرسمية، وقد

قصدت بذلك إنقاذ الوطن المهدد، وإصلاح ما فسد، ولكن أبى الله إلا أن يقضي أمراً كان مفعولاً، وقد كافأني المخزن على هذه الأعمال بترقيتي إلى وظيف أعلى زيادة على ما قبله وهو **نائب الملك في الحدود**، وفي فصل دعاوى الإيالتين هناك، وكلفت بتنظيم جيش لحراسة الحدود المغربية، وأحق ما ينشد هنا:

وإن بقوم سودوك لحاجة إلى سيد لو يظفرون بسيّد

ثم أسندت إلى **سفارة عن المغرب بالجزائر** مع وظائفي المتقدمة، والكل متقارب العهد خلال سنة ١٣٢١هـ المذكورة، ووقعت مباشرته على أحسن ما كان يؤمل حتى وقع بلوغ المؤمل، وتحسنت العلائق بين الإيالتين، وجرت الأمور في مجاري التعادل والتوازن والحمد لله، ولا أظن أن ذلك من أجل ما يسمونه بالدهاء السياسي وإنما هي فيما أظن نفحات وعناية إلهية، ثم لم أجد لدي مسائل عويصة يصعب حلها، ولا مشكلات يعسر فكها من صفاء جو السياسة إذ ذاك بين الدولتين ومن حسن حظ المرء أن يكون خصمه عاقلاً، لكنني طرأت عليّ عوارض صحية لتراكم الأشغال مع اشتباك الأحوال السياسية بالعاصمة فجأة. وعزم المخزن على عقد مؤتمر الجزيرة، فاستعفيت سنة ١٣٢٣هـ، واستقدمني السلطان، فقدمت فاسا، وعرض علي أن أسمى عضواً في المؤتمر فاعتذرت، وليس كل عذر يبدو ولا كل داء يعالج.

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

تعكرت الأحوال، وأظلم جو السياسة، واختلط الحابل بالنابل، فانعزلت عن ذلك المعتزلة وألقيت السلاح من غير تحمل درك، وأقبلت على نشر العلم بفاس، وتحريك شيء من التجارة تكفيا بها عن كل وظيف إلى سنة ١٣٣٠هـ، وعرضت علي أثناء مدة الإعفاء وظائف مهمة، فأعرضت عنها اختياراً للسلامة.

إن السلامة من سلمى وجارتها أن لا تحل على حال بواديها

وفي سنة **١٣٣٠**هـ المذكورة سُمّيت **نائب الصدارة العظمى في وزارة العلوم والمعارف**. أول ما أحدث هذا الوظيف في المغرب أيام السلطان المولى عبدالحفيظ بن الحسن، فقبلته رجاء نفع علم، وفي مدتي انفتحت عدة مدارس ابتدائية بالمدن المغربية بعد خلوها منها، وباشرت إدخال العربية والدروس الدينية والقرآن العظيم لها، وبسبب ذلك حصل الإقبال على التعليم، وامتلأت المدارس شيئاً فشيئاً وانتشرت في عموم المملكة حتى البوادي، وذلك أيام السلطان المولى يوسف قدّس الله روحه، فكان ذلك أول ترقٍّ أدبي فكري ناله المغرب، ولا شك أنه سيعود بالرقي العظيم على الفقه الإسلامي بهذه الديار.

وفي سنة **١٣٣٢**هـ باشرت **تنظيم المجلس التحسيني لإصلاح التعليم بالقرويين** وهو المجلس العلمي الموجود الآن، وهي بذرة لا بد أن تنبت ولو بعد حين، أسست هذا المجلس، وألفت قوانينه التحسينية وما كان لفظ نظام أو تنظيم يعرف له المعنى المقصود هناك، ولا كان يوجد لعلماء ذلك المعهد مرتب أو ترتيب حتى فاجأتهم بذلك، فنفروا عنه، وبعد أن فهم المقصود أهل البصائر منهم بما بذلته معهم من النصح والبيان، جأر منه من كان متسنماً مقاماً يقضي عليه التنظيم بالنزول عنه، وقد قدمت الكلام على ذلك في هذا المجموع[1].

ثم استعفيت سنة **١٣٣٢**هـ، وأسقط هذا الوظيف من الوظائف، المخزنية مدة، وأعطيت **رتبة مستشار للحكومة المغربية** شرفاً، فرجعت من الرباط إلى فاس للإقبال على الدرس والتأليف، والتكفي بشيء من التجارة. وفي هذه السنة أشهرت الحرب العظمى بين دول أوربا فنال المغرب حظه من أهوالها الكبرى بما هو مبين في التواريخ، ثم تسببت عنها أهوال اقتصادية، وانقلابات وأزمات تغير بها وجه المغرب، وتبدلت أحواله. هذا ما يتعلق بالحياة السياسية.

(١) انظر بيان ذلك في الفكر السامي ١٩٤/٢ ـ ٢٠٠.

د ـ اشتغاله بالدروس العلمية:

أما الحياة العلمية والقلمية فنقول:

قد درست صحيح البخاري بالرباط، ومراكش لما كنت موظفاً، ثم بفاس، ولما بلغت كتاب التفسير قرأته مفصلاً، وكنت أملي فيه ملخصاً من جملة تفاسير كالطبري والرازي والبيضاوي، وروح المعاني، وأحكام ابن العربي والجصاص وغيرها بعدما تركوه مدة سنين من قبل. ورام بعض الولاة منعي منه بدعوى التطير بقراءته، وأنه يتسبب عنه موت السلطان كما فعلوا بشيخي كنون فيما سبق، فعصمني الله منهم وأكملته والحمد لله. وكان ختمه بالضريح الإدريسي سنة ١٣٣٨هـ. وألقيت منه درساً بتونس من أول سورة المؤمنين، ثم أعدته بفاس أيضاً لإيصال حلقاته، وقد اعتنت به الحكومة التونسية، فجمعته وطبعته على نفقتها.

كما أقرأت صحيح مسلم والموطأ ومختصر خليل إلى قرب الزكاة بفاس، والسير النبوية والتحفة لابن عاصم، ولامية الزقاق، وألفية ابن مالك، والمنطق، والكل بفاس.

وأقرأت (المرشد المعين) و(التحفة) و(الربع المجيب) برسالة المارديني قبل ذلك بوجدة مدة مقامي بها.

ثم رجعت سنة ١٣٣٩هـ **لوظيف نيابة الصدارة العظمى في وزارة العلوم والمعارف**، ولا زلت به إلى ساعة كتابة هذه الأحرف، أجمل الله الخلاص وسدّد بمنّه.

ومن أحسن ما أمكنني القيام به تفقد المدارس من حيث العلوم العربية والدينية من حين لآخر، وتتبع سيرها، وبث روح النهضة فيها، والميل إلى إحياء علومنا، والتشبع من العلوم العصرية وحث المعلمين والمتعلمين على حفظ النظام، وتوجيه كلية النظر نحو العلم والأخلاق ومكارم الدين، وأوصي من يقوم بالوظيف من بعدي بذلك، فإنه من خير الأعمال التي يتسنى بها التجديد المجيد والعلم قبس، وليجتهد كل واحد منا أن يعلّم واحداً والواحد يعلّم ألفاً، ومن البعض يكون الكل، والله المستعان.

ولا زلت على مباشرة ما يمكنني من الدروس بالرباط، فقد قرأت الفرائض الخليلية مرة بعد مرة، وجملة من البخاري بالرباط وسلا، وأعدت التفسير ثانياً بالجلالين، ثم بالبيضاوي إلى آل عمران وحظاً وافراً من الربع الرابع من المختصر الخليلي بالزرقاني وحواشيه و(بداية المجتهد) لابن رشد الحفيد. وختمت (جمع الجوامع) و(الشمائل) مراراً، وقاربت إتمام النصف من فروق القرافي كل ذلك في هذه المدة التي ابتعدت فيها عن مسقط الرأس، وكلما رجعت إليه في رخصة من الرخص، أو فرصة من الفرص، أعدت قراءة التفسير بجامعه الأعظم، وأسأل الله الإعانة والتوفيق وأن يتقبل بمحض فضله.

٧ ـ وصيته للشبيبة المغربية:

وإني لأرجو أن يكون في الشبيبة المغربية التي وقفت نفسي على ثقافتها، والأخذ بناصرها ونفعها من يقوم بنهضة مغربية صادقة حتى يناسب مستقبلهم ماضي أسلافهم، وتكون أيامهم عصراً ذهبياً للمغرب تحيي المجد الغابر، والفضل الداثر، وللتاريخ أدوار كأدوار الموشحات، فإذا جاء الإبان أعادها.

وأوصي الشبيبة بتوجيه وجهتهم نحو رقي البلاد من حيث الأخلاق الكاملة، وثقافة الأفكار بالعلوم النافعة، ونشر محاسن الدين الحنيف، والكشف عن أسراره، وإزالة غشاوة الجهل به عن العقول حتى يقف الناس على معنى الدين الحنيف، وينبذوا كل الأوهام التي خلطت به من أعدائه، فكل نهضة لا تؤسس على مبادىء الدين الصحيح والأخلاق الفاضلة تكون خلواً من الفضيلة، وخطراً عاماً على البلاد، ولولا مكارم الدين ما كان الإنسان في هذه الدنيا إلا وبالاً على نفسه كما أنه وبال على بقية أنواع الحيوان. فلولا الدين، لكانت الشهوة التي سلطته على الحيوان والجماد والنبات هي عينها تسلط بعضها على بعض، فالفضل كل الفضل في عمارة الكون ورقي النوع البشري هو للدين وللمبعوثين به، ولولا الأديان والرسل عليهم السلام، ما وصل البشر لهذا الرقي الذي هو عليه، ولما كان إلا

وحشاً ضارياً مفسداً شريراً في الأغلب من أفراده، ولم تزل الترقيات العصرية، والاكتشافات الفنية معجزة دالة على صحة الأديان وصدق المرسلين، فقد انكشف لنا بها سر حرمة الخمر والخنزير، وسر غسل الإناء سبعاً من ولوغ الكلب، وأسرار حرمة الزنى، وإباحة تعدد الزوجات وغير ذلك، وها نحن نرى أميركا تشدد في حرمة تعاطي الخمر بنحو ما كان عند مسلمي الصدر الأول إلى غير ذلك والحياة بدون زمام الدين فساد وخراب وشواهد أثر ذلك منذ نشأت الدنيا إلى الآن، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

فعليهم بإنهاض قومهم ووطنهم اقتصادياً بإرشاد إلى استخراج كنوزه العظيمة التي اختلطت بأرضه ومائه، وبث روح جديدة في التجارة والزراعة والصنائع وكافة أنواع الاقتصاد، حاربوا الفقر بالاقتصاد والاختصار من العوائد التي تستنزف الأموال، وباستنتاج الخيرات من الأرض والمياه، وبإحياء الصناعات الوطنية، والنهوض بها إلى مستوى الرقي الجديد، فبالاقتصاد أصبح العالم مستعمرة إسرائيلية.

واستعينوا على ذلك بتهذيب الأخلاق، فالأخلاق أساس كل نجاح، وفساد الأخلاق هو عين الإخفاق، وليتجنبوا المجادلات الدينية، والاختلافات المذهبية، فذلك شيء فرغ منه. فإياهم وإياي من ضياع الوقت النفيس إلا فيما يفيد، حذار حذار من المجادلات العقيمة الدينية التي لا تأتي بفائدة، وليتجنبوا كل سياسة فإنها مفسدة للأعمال، معرقلة للمصالح، وليجتهدوا أن يتخرج منهم مدرسون ماهرون يحاربون الأخلاق التي أوجبت انحطاطنا في الهيأة العالمية، ويحاربون تطرف الأفكار التي أضاعت وقتنا، وليحاربوا عدو الإسلام الألد داء الأمية حتى يصير جل أمتهم يقرأ ويكتب ويحسب، ويعرب عن ضميره بعبارة صحيحة عربية بدواً وحضراً، كما كان نبينا عليه الصلاة والسلام يحاربها وأصحابه بعده، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وإن حاجة المغرب إلى المدرسين من أبناء جنسه فوق كل حاجة، وذلك هو الماء الذي يقطر في حلقوم المحتضر، وينشروا التعليم الابتدائي أولاً في جميع أصقاع بلادهم العزيزة بين إخوانهم، وليتطوعوا في ذلك ما

أمكنهم، وليعينوا من ظهرت أهليته على تحصيل العلوم العالية عربية وأوربية من طب وهندسة وطبيعيات وحقوق ومكنيكات وغير ذلك، فإذا اشتغلوا بهذا، وعملوا بأصول هذه الوصية، فإنهم ينهضون بأمتهم وملتهم، ويكونون قد خدموا وطنهم حقاً لا تشدقاً، وإياهم والاشتغال بسفاسف الأمور كتغيير الزي، وتكثير الشغب بلا طائل، فإني أربأ بهم أن يتركوا زي قومهم في ظفرة، وأن ينفروا منهم آباءهم، ويلصقوا التهمة بهم في دينهم بيدهم، فما أجبن قوماً تستّروا وراء لباس غير لباسهم خجلاً من جنسيتهم، وما أرذل قوماً أرادوا التشبه بمن يعتقد انحطاطهم عنهم، فليجتهدوا أن يكونوا قادة لأمة، ويجروها وراءهم تهذيباً وتعليماً لا أن ينفروها منهم، وليكونوا مثال العفة والأخلاق الفاضلة، وأولها صدق اللهجة، وتقديم المصالح العامة على الخاصة، ونزاهة اليد واللسان، وحسم مادة الباطل والرشى، وترك الشبهات فضلاً عن المحرمات، وكل أمة هضمت خاصتها حقوق عامتها، كانت غنماً مهزولة في ليلة شاتية لا يرجى لمستقبلها حياة، وليكونوا مثالاً للجد والنشاط والثبات في الأعمال والنزاهة، والبراعة والدهاء، وإني أعيذهم بالله من تضييعي نصيحتي هذه.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له   فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

أوصاني بهذا البيت شيخي كنون كتابة ومشافهة رحمه الله مراراً.
وإلى الله أضرع أن يحقق رجائي فيكم، وأن يحفظكم يا أولادي وإخواني مما أصاب غيركم من سموم المعتقدات الفاسدة، وتطرف الأفكار، وأن يحميكم من ضدية الدين، وأن يجعلكم شبيبة مغربية حقاً، محافظة على مجدها وقوميتها وذاتيتها، حرة التفكير ضمن دائرة الأدب والدين الصحيح الخالي من الخرافات والتخرصات، محافظة على شريعتها السمحة الحقة العظيمة، عارفة بتطبيقها على الأحوال الوقتية المناسبة حتى تكونوا حماتها، وحماة الوطن العزيز، واللغة العربية الشريفة، معتدلين في أمركم كله، مستقيمين على المهيع القويم، متمكنين بسنّة سيد المرسلين وخلفائه الراشدين المرشدين).

٨ ـ مؤلفاته:

أما مُزاولته التأليف، فكان من أول فراغه من الدراسة والتحصيل، ولذا كثرت تواليفه وزادت على (٩٩) مؤلّفاً بين مطول ومختصر ومطبوع ومخطوط ورسالة ومحاضرة ومقالة. وأذكر هنا أسماءها كما أوردها في آخر (مختصر العروة الوثقى)[١] حيث قال:

«تواليف هذا العبد الضعيف:

جرت العادة بختم الفهارس بها، ونحن نراعي جبر خواطر العوائد إذا وافقت الهوى فأقول:

١ ـ أول تأليف خطته يُمناي سنة ١٣١٧هـ توليف أدبي لغوي، في حَلِّ اللغز المشهور:

إنَّ هندُ المليحةُ الحسناءَ   وأي من أضمرتْ لِخلٍّ وفَاءَ

مع جمع الأفعال المعتلة التي تبقى على حرف واحد، والتي لا تبقى منها إلا على حركة دون حرف، مع فوائد لغوية وأدبية.

٢ ـ أول تأليف ألفته في الفقه (في اقتداء من كان ببلد الإنجليز برؤية هلال المغرب في رمضان، دون هلال مِصر) وقد قرَّضه لي شيوخي سيدي جعفر الكتاني[٢] وسيدي أحمد بن الجيلاني، وسيدي الحاج محمد كنون سنة ١٣١٧هـ.

٣ ـ صفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد[٣] أول ما طبع من

---

(١) ص ٧٠ ـ ٧٩.

(٢) يقول محمد بن الحسن الحجوي عن شيخه جعفر الكتاني في كتابه (مختصر العروة الوثقى) ص٥٣ (ومن تواضعه وإنصافه وتنشيطه للعلم، أنه عثر على تأليف لي عند ولده مولاي أحمد رحمه الله فقرظه وبعث إليَّ به، وأنا إذ ذاك لا زلت تلميذاً أجلس في حلق تلاميذه وتلاميذ تلاميذه، ولا زال تقريظه محفوظاً في خزانتي مع تقريظ شخيي كنون وابن الجيلاني، رحم الله الجميع.

(٣) هذا الكتاب أقام ضجة حيث كان فيه ضد القيام لمولد الرسول، أثناء سرد قصته، مما دفع العالم أحمد بن المواز للرد عليه في كتاب (حجة المنذرين على تنطع المنكرين)=

توالیفي بفاس سنة ١٣٣٧هـ. وأول كتاب ظهر من نوعه بالمغرب على عهد النهضة الأخيرة، عن فكر استقلالي سلفي مستند للكتاب والسنّة، غير مكترث بأقوال تعتمد على الخيال.

٤ ـ الحق المبين ـ وهو نضال عن التأليف المذكور ـ طبع بتونس.

٥ ـ سوط الإفهام والإفحام، مثله، طُبع بالجزائر.

٦ ـ مستقبل تجارة المغرب، محاضرة اقتصادية ألقيت بثانوية فاس وطبعت بتونس.

٧ ـ تعليم المرأة تعليماً عربياً ابتدائياً: مسامرة أُلقيت بالرباط في المؤتمر الأدبي، وطبعت بتونس.

٨ ـ النظام في الإسلام، محاضرة ألقيت في المؤتمر السادس بالرباط، وطبعت به، ومحصله أن الإسلام دين نظام، وأدلة ذلك كتاباً وسنّة وتاريخاً.

٩ ـ الفكر السامي في تارخي الفقه الإسلامي، أجزاء أربعة طبع الأول بالرباط، والثاني والثالث بتونس والرابع بفاس، وأصله: محاضرة ألقيت بفاس في ربيع الآخر سنة ١٣٣٦هـ ثم أكملت كتاباً ضخماً شرَّق ذكره وغرَّب.

١٠ ـ الفتح الإسلامي لإفريقيا الشمالية، ودفع المثالب عنه، ألقيته محاضرة في الخلدونية بتونس، وطبع بها.

١١ ـ نقد كتب الدراسة في إفريقيا الشمالية، محاضرة ألقيتها في مؤتمر الآداب بتونس، وطبع بها.

١٢ ـ تفسير الآيات العشر الأولى من سورة قد أفلح: وهو درس

= وردّ عليه الأستاذ العابد بن عبدالله الفاسي، والعلامة أبو عبدالله الرافعي الجديدي. يقول العلامة عبدالله الجراري (وأياً كان الحال فالكتاب في هذا الموضوع الخطير يبرهن مرة أخرى على شجاعته وصلابته) انظر: التأليف ونهضته بالمغرب ١٣٨/١.

ألقيته على علماء الزيتونة سنة ١٣٣٦هـ وطبعوه بها، وهو أول ما طبع لي خارج المغرب.

١٣ ـ تطور الإنشاء بالمغرب الأقصى، محاضرة أدبية تاريخية، ألقيتها في مؤتمر الآداب بفاس، وطبع ملحقاً مستقلاً (بمجلة المغرب) بالرباط.

١٤ ـ حكم ترجمة القرآن العظيم، طبع بها أيضاً.

١٥ ـ التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين، محاضرة ألقيتها بمكناس، ونشرتها «السعادة» بالرباط، ثم اختصرتها ونشرتها مجلة الزيتونة، وتُطبع مستقلة بتونس، وهو من التواليف المهمة في الدين والاجتماع.

١٦ ـ أدلة نجاسة الخمر، نشرته (مجلة المغرب).

فالتواليف المطبوعة أو التي تحت الطبع ١٤.

والتواليف التي لم تطبع:

١٧ ـ انتحار المغرب بيد ثُوَّاره، وهو مذكرات لي تاريخية، قيدتها مدة توظيفي بوجدة نائباً عن السلطان في الحدود، تاريخ الثورة الحمارية والحصيرية والريسونية والحفيظية، وما يتعلق بحدود الجزائر والمغرب، وما عاناه المغرب من أهوال، وأسباب الاحتلال في الاختلال، وبيان عن أوفاق الحدود سنة ١٩٠١ ـ ١٩٠٢، وتدقيقات واقعية لا توجد في غيره عن معاينة يجب إصلاح ما يخالفها مع وثائق رسمية لا تحتمل الشك.

١٨ ـ نظام القرويين، هو أول نظام عرف للقرويين بالمعنى العرفي، ألفته بمعونة مجلسها التحسيني لما ترأسته لأول مرة، ونظام ذلك المجلس، وذلك سنة ١٣٣٢.

١٩ ـ تاريخ إفريقيا الشمالية، المسمى المناظر الجمالية، نحو أربعة أجزاء ضخام، خرج منه جزءان مبيَّضان إلى الدولة المرينية، والباقي مُسوَّد.

٢٠ ـ مختصره، خرج منه جزء إلى الدولة المذكورة، وهو بيد الناس منذ سنة ١٣٤٠.

٢١ ـ تفسير سورة الإخلاص، في سفر، جعلته لدروس التفسير التي كنت ألقيها بالضريح الإدريسي والقرويين. وكان الختم سنة **١٣٣٩** بالضريح المذكور.

٢٢ ـ نقد تاريخي على كتاب نسب إلى النبي ﷺ بيد سليم بن عبدالحميد العثماني.

٢٣ ـ الفهرست المسماة: العروة الوثقى بمشيخة أهل العلم والتُّقى.

٢٤ ـ قصيدة رائية في تهذيب الناشئة المدرسية، أولها: قم يا فتى. وقد أسموها بأولها، وهي منتشرة بينهم، وقد شرحها بعض الأصحاب بشرح لطيف لا بأس به.

٢٥ ـ نقد التعليم الابتدائي بالمغرب: ألقي محاضرة في المؤتمر سنة **١٣٤١** للمعهد العالي بالرباط، وهي أول محاضرة عربية ألقيت في الرباط لم يتقدمها سواها.

٢٦ ـ بُرهان الحق، في الفرق بيْن الخالق والخلق، في سفر ضخم في الحكم بين نزاع الوهابيين والأشعرية، ممتع جداً، كاشف للبدع المحدثة ولما لكل واحد من الفريقين، بفكر مستقل غير متحيّز.

٢٧ ـ الفرصة الثمينة في مختصر تاريخ الترك بقُسمطينة في أربع كراريس.

٢٨ ـ اختصار الابتسام، عن دولة المولى عبدالرحمٰن بن هشام.

٢٩ ـ كراسة في تلخيص النزاع في القبض والسدل، وتحقيق المناط فيه وثمرته.

٣٠ ـ الأحكام الشرعية في الأوراق المالية، في حكم زكاتها والمعاملة بها وما هو أصلها تاريخاً وعملياً، وأحكامها الاقتصادية والفقهية وقرَّضه جماعة من نخبة علماء المغرب وتونس، وانتشر ولم يطبع.

٣١ ـ النفس النفيس في ترجمة الوزير ابن إدريس.

٣٢ ـ رسالة في أصل مذهب الوهابية، وحصر موضوع الخلاف بينهم وبين غيرهم مختصرة.

٣٣ ـ مسامرة الزائر برحلة الجزائر، وهي في جزأين لطيفين، ألقيتها بالمدرسة الثانوية لما كنت بسُويقة ابن صافي بفاس، وهي أول مسامرة وقعت بفاس على عهد النهضة الأخيرة، فكنت أول من فتح باب المحاضرات بفاس بل المغرب.

٣٤ ـ الرحلة الأوربية عام ١٩١٩، ألقيتها محاضرة أيضاً.

٣٥ ـ حديث الأُنس عن تونس: ملخص رحلاتي الثلاث لتونس عام ٣٦ و٣٩ و٤٤ وكل من هذه الرحلات مُشاهدات، وتواريخ وجغرافية وأخلاق، ومسائل علمية.

٣٦ ـ رسالة في ثبوت خطبته ﷺ بعرفة يوم عرفة رداً على من أنكرها.

٣٧ ـ الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة التي ورد فيها سهوه ﷺ في الصلاة، وهو جواب عن سؤال للفقيه سيدي محمد بن علي دينية، قبل أن يؤلف في المسألة، ولكنه لم يستوف الجواب في مؤلفه.

٣٨ ـ الأمالي الحديثية، وهي بعض ما كان يجري من المذاكرات والمراجعات بيني وبين الشيخ أبي شُعيب الدُّكَّالي في المجالس السلطانية.

٣٩ ـ رسالة ضد نسبة الكذب للصحابة رضي الله عنهم، وتأويل ما يوهمه لثبوت الأدلة بخلافه.

٤٠ ـ نقد مقالة من يقول: السلام عليك يأمن العوالم كلُّها في طيِّ قبضته.

٤١ ـ رد على من زعم أن العار ـ كذا ـ بالمصحف الكريم إكراه، فأباح به المبتوتة[١].

٤٢ ـ تصحيح مقالة اليوسي في رده على عبدالملك التجموعتي القائل: إن علمه ﷺ إحاطي كعلم الله، لا فرق إلا بالحدوث والقِدم واستندت في التصحيح إلى أدلة قطعية من كتاب وسنة وبرهان عقلي، وهي من أنفس ما كتبت كحاشية على الرسالتين معاً.

٤٣ ـ رسالة في الرد على من زعم أن آل البيت لا يُعَذَّبون بذنوبهم، وأنهم معصومون.

٤٤ ـ أخرى في الرد عليه حيث قال: إن إرادة الله يجوز تخلفها.

٤٥ ـ الخلافة في الإسلام، وهو كتاب واسع في أصل الخلافة، ومستندها في الأحكام، وتصوير حقيقتها.

٤٦ ـ رسالة في أن المسجد المنسوب لعُقبة بوجدة ليس هو لعقبة الفاتح.

٤٧ ـ القول الفصل في أدلة أقصى الحمل، ورد من زيّف كلام الفقهاء بكلام الأطباء، والرد عليه بكلام أطباء آخرين.

٤٨ ـ دليل إثبات صفات السمع والبصر والكلام للّه.

٤٩ ـ ما قيل في النِّعال النبوية التي توجد بفاس.

٥٠ ـ رفع الخفا ودفع الجفا عمن قال ضُرب الدُّف بين يدي المصطفى.

٥١ ـ الخلاف الفقهي في البسملة مبني على اختلاف القراء في قراءتها.

---

(١) هذه لفظة مغربية في شأن الطلاق متعارف عليها بالمغرب.

٥٢ ـ الطائع أو التائب لا يجوز تعذيبه بالجواز الشرعي، وإن جوَّزه العقل.

٥٣ ـ جواب هل نبتت الدُّبَّاء على فم الغار عند الهجرة النبوية.

٥٤ ـ جواب من استشكل انشقاق القمر، مع قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾[1] وأجوبة عن إشكالات أخرى مدهشة في الموضوع.

٥٥ ـ تلخيص السيرة النبوية لم يتم بعد.

٥٦ ـ تلخيص المغازي النبوية وتواريخها، تام.

٥٧ ـ جواز إيلام الحيوان بالذبح، مع منع تعذيبه، والجواب عن ذلك عقلاً ونقلاً.

٥٨ ـ الرد على من زعم أن طلاق العوام كله بائن.

٥٩ ـ أدلة الدلك عند مالك في الوضوء والغسل.

٦٠ ـ أصل الظهار في الجاهلية، وهل كان طلاقاً؟.

٦١ ـ وجه تخصيص الحديد في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾[2] والثناء عليه دون ما هو أنفس من الذهب ونحوه.

٦٢ ـ المنتخبات الجعفرية من خطب وأشعار ومقالات أدبية، تدرب عليها النشأة المغربية.

٦٣ ـ إرشاد الخلق إلى الاعتماد في الهلال على الهاتف والبرق، نحو كراستين.

٦٤ ـ طيب الأنفاس في تاريخ بناء الأضرحة والزوايا بفاس وهو مختصر من روض الأنفاس العالية.

---

(١) الإسراء: ٩٠.

(٢) الحديد: ٢٥.

٦٥ ـ محاضرة في الآداب الدينية والأخلاقية والاجتماعية المأخوذة من سورة الحجرات، ألقيتها في المدرسة الحربية بمكناس محاضرة.

٦٦ ـ حاشية لطيفة على الزرقاني وبناني والرُّهوني، قيدتها عليها عند الطلب وعند إلقاء الدروس الفقهية كطرر على الكل.

٦٧ ـ حواش على صحيح البخاري أيضاً، مثل ذلك، انتقادات على شراحه، الحافظ وغيره.

٦٨ ـ أخرى على هامش سنن أبي داود السجستاني.

٦٩ ـ حواش أخرى على التفسير كذلك.

٧٠ ـ أجوبة أسئلة عالم الجديدة الفقيه السيد محمد الرافعي.

٧١ ـ تحقيق انتقاد على فرض اعتقاد. نظم ونشر في مسائل وقعت المذاكرة فيها مع مولاي أحمد بن المأمون البلغيثي رحمه الله.

٧٢ ـ جواب مبين، لمن سأل ما هو القصد من حج المسلمين.

٧٣ ـ مسألة الضمان التجاري المسمى (لاسورنس).

٧٤ ـ جواز الصلاة على غير الأنبياء استقلالاً.

٧٥ ـ جواز المسح على الجوارب غير الجلد.

٧٦ ـ جواز المسح على الرجلين مباشرة لضرورة.

٧٧ ـ أساس التهذيب الإسلامي، وهو كتاب مدرسي أخلاقي.

٧٨ ـ أصول التربية عند المسلمين.

٧٩ ـ الدين النصيحة، وهو كتاب جامع للسياسة والإصلاح الاجتماعي قدِّم للحضرة الملوكية.

٨٠ ـ تاريخ علم التصوف، وقد أدرج ملخصه في (الفكر السامي).

٨١ ـ مختصر تاريخ النحو والصرف، أدرج فيه ملخصه أيضاً.

٨٢ ـ تعليم الفتيات لا سفور المرأة ـ غير التأليف السابق برقم ٧ وأوسع منه، لم يطبع.

٨٣ ـ جواب سؤال من القاضي سابقاً السيد حجي زنيبر السلوي: لأي شيء اختاروا انشقاق القمر دون الشمس وهي أعظم وأبلغ في المعجزة.

٨٤ ـ دلالة المعجزة على صدق الرسول، هل هي عقلية أو طبيعية، ونفائس أبحاث مدهشة، لا تجدها في غيره.

٨٥ ـ بحث في جواب السيد أحمد بن مبارك اللمطي في المسألة ومراجعات مع زينبر المذكور.

٨٦ ـ تلخيص كبرنامج المسائل اشتمل عليها كتاب ابن تيمية (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) والبحث في بعضها.

٨٧ ـ مُعضلات العصر، جواب عن أسئلة ثلاث وردت عن الشيخ حافظ إبراهيم ربيشطي أحد أعلا شقودرة (ألبانيا) الأول عن لُبس البرنيطة اضطراراً. الثاني: قبض مرتب كبير من دولة أجنبية في غير عَمَل. الثالث: مقالات التيجانيين.

٨٨ ـ حاشية على بهجة السيوطي شرح (الألفية).

٨٩ ـ مختصر رحلة ابن عثمان المكناسي لإسبانيا ومالطة المسمى: أنس السائر في اختصار البدر السافر، لهداية المسافر إلى فكاك الأسرى من يد العدو الكافر.

٩٠ ـ أجوبة شافية عن أسئلة وردت من عالم جدة بل الحجاز محمد حسين إبراهيم حديثيّة ومتعلقة بمذهب الحنابلة في مسألة الصفات الإلهية وغيرها في سفر.

٩١ ـ بالأخلاق تسود الأمم، توليف في عدم جواز لعن يزيد بن معاوية.

٩٢ ـ المطر من السحاب لا من نفس السماء.

٩٣ ـ الرحلة الأندلسية الفيشية.

٩٤ ـ أطوار المعارف بالمغرب.

٩٥ ـ دفاع الأيّد عن صفاء المورد.

٩٦ ـ مجموع به خطب ومقالات، كنت ألقيتها في التعليم، مما كان من أسباب نهضة المغرب العلمية والأدبية.

٩٧ ـ إبطال دعوى بعض أهل فارس من الرافضة أنهم عثروا على مصحف علي كرّم الله وجهه، بوجوه عقلية ونقلية.

٩٨ ـ محاضرات ألقيتها في الأدب سنة **١٣٥٧** بثانوية الرباط.

٩٩ ـ السِّر المُذاع في جواز تلاوة القرآن أمام المِذياع.

وهذا ما أمليته في يوم **١٥** رمضان **١٣٥٧** من غير استعانة بأي كتاب.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

انتهى كلام الشيخ الحجوي حول تآليفه، في كتاب: «مختصر العروة الوثقى».

٩ ـ ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه كبار علماء المشرق والمغرب.

(نقلاً من التقاريض التي ذكرها العلماء لكتابه الفكر السامي) ومن مصادر أخرى.

أولاً: فمن علماء بلاد الشام:

يقول فيه العلامة النابغة **محمد كرد علي**: (الأستاذ المحقق محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي).

ـ وأثنى عليه العلامة **عبدالقادر المغربي الدمشقي**: (السيّد السَّنَد الأجل مولانا الأستاذ محمد الحجوي الثعالبي).

ـ ويقول عنه محدِّث حلب الشهباء العلامة الشيخ **عبدالفتاح أبو غدة** في كتابه (تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر وآثارهم الفقهية): (العلامة النسَّابة البارع، الإمام فقيه المغرب الأقصى، الأصولي المتفنن الشيخ محمد بن الحسن الحجوي المغربي) وقال أيضاً بعد أن ذكر مؤلفاته:

(ويُحس القارىء بوقوفه على عناوين الكثير منها باستقلال شخصيته ونصاعة علمه ويقظة غيرته على الشريعة وأحكامها وتمكنه من العلم الصافي النمير، وبُعده عن المداهنة والمهادنة لأخطاء بعض الفقهاء المتساهلين أو المتصوفة الجاهلين، وشدة حرصه على إيقاظ العقول وسلامتها من التأثر بالركود العقلي الذي شمل جمهرة المتعلمين وطلبة العلم، ولم يكن هو بالمعصوم مما طبع عليه الإنسان، فرحمة الله عليه وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء).

ثانياً: ومن علماء مصر:

أثنى عليه حافظ مصر وشيخ محدثيها العلامة **أحمد رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي الحنفي** فقال:

(الأستاذ الفقيه الجليل سيدي محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي).

ثالثاً: ومن علماء تونس:

وأثنى عليه العلامة النظار النابغة **الطاهر بن عاشور** ثناءً عطِراً فقال:

(.. ومن أبهر الكواكب التي أسفر عنها أفقنا الغربي في العصر الحاضر، وكان مصداق قول المثل: «كم ترك الأول للآخر» الأستاذ الجليل، والعلامة النبيل، وصاحب الرأي الأصيل الشيخ محمد الحجوي المستشار الوزيري للعلوم الإسلامية بالدولة المغربية، فلقد مدّ للعلم بيض الأيادي بتآليفه التي سار ذكرها في كل نادي.. عالم روي من منابع الشريعة المختلفة المذاق بزلال تنزه عن التكدر والامتذاق، حتى صار ريّه يدر من

فكره درًّا معيناً، ثم تبرزه الأقلام من أنامله درًّا ثميناً، فللّه دره ودره، ومنه الرجاء أن تكثر آثار مؤلفه ويطول عمره).

- ويقول فيه العلامة **محمد بن يوسف المفتي الحنفي بالديار التونسية**:

(العلَم الفرد، والجِهبذ الدرّاكة الأوحد، مفخر التخوم المغربية، وحامل راية العلوم الشرعية والأدبية العمدة الهمّام، العلامة المفضال أبو عبدالله الشيخ سيدي محمد الحجوي).

كما أثنى عليه العلامة الشيخ **محمد بن خوجة** فقال:

(العلامة النحرير، المتحلي من الكمالات بكثير، الأستاذ الأرضى، والهمام الأحظى، الشيخ سيدي محمد الحجوي، مندوب المعارف، والجامع بين تليدها والطارف).

وقال أيضاً: (وشهرة فضلكم وغزارة علمكم بعدت بمثلها العهود، في عالم الغيب والشهود).

رابعاً: ومن علماء الجزائر:

يقول عنه علامة الجزائر الشيخ **عبدالحميد بن باديس**:

العلامة الأستاذ سيدي محمد الحجوي... فإنني مدين لجنابكم بسبقكم إلى ربط سبب التعارف بيننا لا زلتم لكل فضل سابقين، فلكم على دوام العهد وإخلاص الود من قلب يمقت أشد المقت فئة المنافقين والمتملقين).

خامساً: ومن علماء المغرب:

وشهد له بالتفوق العلمي كبار علماء المغرب منهم:

- العلامة **عبدالحي الكتاني** فقال: (العبقري الأوحد، السري النابه الأسعد، الحلاحل العلامة، الذي جعل ضروب الرفعة مقامه، وابتزاز الفرائد اهتمامه الأستاذ المشارك النابغة، مندوب المعارف أبي عبدالله محمد الحجوي أقر الله به أعين البلاد، وزيّن به سماء الإصعاد، ورمى بقوسه الباتر عيون أهل الفساد والإفساد).

وأثنى عليه العلامة المحقق العابد بن سودة بعد قراءته لكتاب (الفكر السامي) فقال:

(لما ساعدتني الأقدار الإلهية والمواهب الصمدانية بمطالعة التأليف المسمى الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي الذي هو تأليف أخينا العزيز، المبرز على منصة وزارة العلوم والمعارف الإسلامية أتم تبريز بما له من غزارة العلوم وحسن التدبير والتمييز، البحر الخضم الذي لا يدرك ساحله، والبر الخصيب الذي لا تطوى مراحله، والطود الشامخ الذي حنّت إليه الفضائل السامية، السياسي الغيور المتمسك بالسنّة النبوية العالية، الفرد الذي كسى بحرير تحريراته حرائر المعارف، وحلّى بيواقيت أفكاره عرائس اللطائف، المشارك النحرير الذي لا يجارى في ميدان العرفان، الدرّاكة الشهير الذي لا يقبل عند المساجلة إلا بالتسليم والإذعان، النبيه المتيقظ الذي فاق كل من يكتب ويروي أبي عبدالله سيدي محمد بن الأستاذ المنعم بكرم الله سيدي الحاج الحسن الثعالبي الشهير بالحجوي، حفظ الله مجادته وأعلى مقامه، ومهّد له سبل المعالي مع السلامة، ومزيد الاستقامة، القائل لسان حال مؤلفاته:

تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

وقال عنه أيضاً: (.. لا زلت ترفل في رياض العلوم غادياً ورائحاً، وفي كل أعمالك السرية والجهرية ساعداً ناجحاً، وأثابك على علمك بمضاعفة الحسنات، والعفو عن السيئات).

وأثنى عليه العلامة مولاي **إسماعيل الإدريسي الحسني** فقال:

(يظن كثير من الناس أن المغرب الأقصى شاغر من العلماء أرباب الأفكار الحكيمة، والأقلام السيّالة بالحقائق الفلسفية الناصعة مصورة بصورة المحسوس الملموس، والمفيدين بابتكار الموضوعات الهامة في التأليف والنشر. ومن حكماء ماهرين يحللون المعلومات تحليلاً كيماوياً يدل على حياة العلم في أقصى المغارب، ولكن لا يزال الزمان يرينا خلاف ذلك على

طرفي نقيض، يرينا أن بين ظهرانينا ومن فلذات كبد ذلك المغرب، ومن أبناء جلدتنا العلماء والحكماء والمفكرين والمبتكرين والمفيدين، وناهيك في هذا الباب بذلك العلامة الحلاحل، والأستاذ الفرد الأوحد، الوزير الأمثل سيدي محمد الحجوي الثعالبي).

- وقال فيه علامة طنجة الشيخ **عبدالصمد بن التهامي كنون**:

(الفقيه الأجل العلامة المحدّث الأستاذ المبجل).

- وأثنى عليه الفقيه العدل **محمد بن أحمد العبدي الكانوني** فقال:

(الفقيه العلامة الأكمل المشارك المحدّث النفّاعة الأنبل).

- وقال أيضاً: (لقد نصرتم السنّة المحضة بالقول والفعل، وحملتم لواء العلم والعمل، جزاكم الله عن أمتنا خيراً وأعظم لكم به مثوبة وأجراً).

- وأثنى عليه العلامة الشهير **الصديق الفاسي** فقال:

(العلامة الوزير المتنور الفكر).

- وقال عنه العلامة **الطاهر بن محمد الفاسي**:

(الرجل العظيم العالم الخبير الشيخ محمد الحجوي وزير المعارف).

- وأثنى عليه الفقيه الأديب **محمد المغربي** فقال:

(العلامة البحّاثة المحدّث الكبير الأستاذ المطلع الشهير أبو عبدالله سيدي محمد الحجوي الثعالبي مندوب العلوم والمعارف الذي إذا ذُكر، علم السامع أنه الفرد الذي جمع بين التضلع والمشاركة في سائر العلوم الإسلامية وعلو المكانة والمنزلة السامية. ناهيك برجل لم يُعرف إلا بخدمة العلم ونشره بمؤلفاته الكثيرة التي طارت بها الركبان، ودروسه المفيدة التي كان يلقيها بكلية القرويين بفاس وبغيرها، تفسيرية وحديثية وأصولية وفقهية وما إلى ذلك).

- وأثنى عليه العلامة **أحمد بن محمد المدني السرغيني** فقال:

(حافظ العصر، المحدّث الشهير، العلامة النحرير السيد محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي).

وقال أيضاً: (فلا برحت لعين العلم إنساناً، ولا زلت على المجد والفضل عنواناً، يا بحر العلم الزاخر، لمثل هذه المآثر، جاز قولهم: (كم ترك الأول للآخر).

ـ وقال عنه العلامة المؤرخ **عبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة**:

(العالم المشارك المدرّس المؤلف)[1].

ـ كما قال عنه العلامة **عبدالله الجراري**:

(من العلماء المتحررين كما يتجلى ذلك من خلال كتبه وتآليفه.. يُعد من علية علماء المغرب الذين تفتخر بهم معلمته الثرية والغنية بالعلوم والفنون)[2].

ومن أجمل ما قيل في الحجوي رحمه الله ما أنشده الشاعر **ابن العباس الحاج عبدالله القباج** في قصيدة طويلة، منها هذه الأبيات:

فالعِلم نور الله عند عباده	والكون دون العلم محض ظلام
والمرء مهما كان في أيامه	إن لم ينله يُعد في الأنعام
وبه غدوت لدى الأمير مقرباً	من صيد أهل النقض والإبرام
ورفلت في حلل الثناء وإنما	عدم الثناء نهاية الإعدام
ولأنت يا حجوي غيث نافع	لقلوبنا الموتى وللأحلام
والحافظ الفذ المحدّث بيننا	بالصدق حجته على المتعامي
والفضل فضل الله لا يحصى وهل	تُحصى نجوم الأفق بالأرقام
أعطاك ربك منه أشرف قسمة	والناس في الأخرى على أقسام
لله فيك عناية تكفى بها	عن حسن تدبير وحسن كلام
وسعادة محجوبة تغنيك عن	إثم اليدين وباطن الأقدام
من لم ينل ما نلت من طيب الثنا	لم يدرِ ما للمجد من إعظام
وءذا أحبّ الله عبداً صالحاً	أثنى بنو سام عليه وحام

(١) إتحاف المطالع ٢/٥٦٠.

(٢) التأليف ونهضته بالمغرب: ١٤١.

وأنشد العلامة **أحمد سكيرج** قصيدة طويلة كلها ثناء على العلامة الحجوي، منها هذه الأبيات:

يا أيها السند الحجوي الذي شهدت بفضله فضلاء العرب والعجم
لك التقدم في علم وفي عمل وبحر صدرك بالدر السني رمي
لله ما أنت مسد من عظيم جداً أسراره قد سرت كالروح في الجسم

سادساً: ثناء علماء أوربا عليه:

وممن أثنى عليه من علماء أوربا العلامة محمد توفيق أوكيج - رئيس علماء البوسنة - فقال:

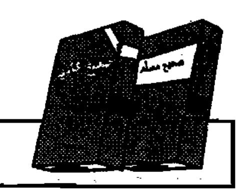
(الفقيه الشهير، والمؤرخ الفيلسوف الكبير، فخر الوزراء الكرام وعمدة العلماء العظام).

وقال أيضاً: (فلا شك أن اسمكم العالي يبقى مكتوباً بالذهب على صفحة تاريخنا العلمي لهذا العصر الذي أود أن أسميه عصر العناية في ترقية علوم الشريعة السمحة بعد وقوفها الطويل، ومما يزيدكم قدراً في نظري على سائر معاصريكم من علماء العالم الإسلامي هو منشؤكم من تلك البلاد المغربية التي تفتخر جميعاً بماضيها المجيد، ونتمنى عز مستقبلها، فهي كانت يوماً مع كل غربيتها من جهة جغرافية مشرق شموس الثقافة الإسلامية والعربية المنتشرة من شمال إفريقية نحو أوربا، وبصفتي أوربياً ومسلماً أنا أفتخر افتخاراً خاصاً بتلك الحقيقة التي لا نكير لها).

١٠ - وفاته:

توفي يوم الاثنين ٣ ربيع الأول عام ١٣٧٦هـ موافق ٨ أكتوبر سنة ١٩٥٦م عن ٨٥ سنة.

رحمه الله تعالى وأكرمه بغفرانه.



المبحث الثاني
أسانيد الحجوي في الصحيحين

أولاً ــ أسانيده في صحيح البخاري

١ ـ سنده من طريق شيخه الوزَّاني

بعد أن ذكر الحجوي رحمه الله تعالى أسماء شيوخه الذين بلغوا (٩٥) شيخاً في (مختصر العروة الوثقى) قال:

«بعض الأسانيد التي لبعض من سبق من الأساتيذ، وذكر في طليعتهم شيخه أبا عبدالله محمد بن التهامي الوزاني، فقال:

(وحيث إن أول درس حضرته لصحيح البخاري كان درسه، أبدأ بسنده. قال لنا في أول درس منه: أروي (صحيح الخباري) عن عدة شيوخ، منهم: أبو العباس أحمد بن أحمد بناني، المدعو (كلا)، عن عبدالله المدعو (الوليد) بن العربي بن الوليد العراقي الحسيني، إمام الضريح الإدريسي، عن قريبه إدريس بن زيَّان العراقي، أحد نحاة فاس، عن علَم الأعلام الشيخ محمد التاودي السُّودي المُرِّي وأسانيد هذا في (فهرسته الكبرى) لها شهرة في الشرق والغرب.

كما يروي شيخنا الوزاني عن كنون الكبير وطبقته وتراجم هؤلاء جميعاً في الجزء الرابع من (الفكر السامي).

ويرويه الوليد العراقي عن عبدالقادر بن شقرون، عن عمر الفاسي عن علي الحَرِيشي عن عبدالقادر الفاسي.

قراءتي عليه للبخاري: كانت دراية أكثر منها رواية، إذ كان يسرد غيري بين يديه (الصحيح) أولاً، ثم يملي علينا من حفظه التقريرات العالية، من فنون عربية ودينية، إذ كان مشاركاً فيها مشاركة تامة، ويُحسنها إلى النهاية، ويملي ما للحافظ ابن حجر وغيره.

ويُوشِّي ذلك بأفكارهْ الواسعة، ونقده المؤيد بالبرهان، الآخذ بلُبِّ ذوي النجابة والتفنن، والواصل إلى أعماق القلوب إذ كان الشيخ من عوامل وعوامد النهضة في القرويين، ذا عبقرية ذائعة، أعانه عليها مهارته فيما يسمونه (البداغوجيا) في التدريس، فينتفع به كل من جلس إليه، ثم يُسْرَد بين يديه (شرح القسطلاني).

وله الجهاد الكبير في نشر العلم، والتهجد في العبادة، والتورع عن كل ما لا يعني، والوقوف عند حدود ما شُرِع، وعدم الاهتبال بالزخارف، ولم يُكمل (الصحيح) وأدركته الوفاة.

ورواية ابن سعادة لصحيح البخاري.

هذه الرواية هي عمدة النسخ المنتسخة بفاس، بل وأقطار المغرب بل إفريقية، وهي التي ينبغي أن يعتني بها المغاربة وبروايتها لأجل نسخهم، وعليها كتب شرّاحهم ومُحشُّوهم.

وهل حاشية العارف الفاسي إلا تدقيقات على هذه النسخة وبعض طُرَرِ لابن سعادة نفسه مع رواياته.

وقد نصّ على جودتها واتصال سندها وصحتها إلى البخاري غير واحد من أئمة هذا الشأن: سيدي عبدالقادر الفاسي في (فهرسته) وغيره. وكل رواياتها تتصل بمحمد بن يوسف بن سعادة عن عمه أبي عمران موسى بن سعادة، الذي كتب هذه النسخة بخطه، على نسخة أبي عليٍّ الحسين الصدفي، وكلهم أندلسيون.

وقد طاف الصدفي المشرق والمغرب وصحح نسخته على النسخ المصححة عن نسخ البخاري، وكان الرجل جبلاً من جبال العلم الراسخة الثابتة مع التثبت والإتقان.

ونسخة ابن سعادة هي المسمَّاة عندنا بالشَّيخة[1]. قال المقري في (نفح الطيب): نسختا البخاري ومسلم بخط أبي عمران سمعهما على صهره الصَّدفي، وكانا أصليين لا يكاد يوجد مثلهما في الصحة).

وقد فضلهما صاحب (المنح البادية) على نسخة الحافظ ابن حجر التي كتب عليها (فتح الباري) على أن الحافظ يمكن أن يكون عثر على أصلها الذي هو نسخة الصدفي الأصلية.

وهذه الشيخة كانت من أحباس خزانة القرويين، مجزأة على خمسة أجزاء، وقد فقد الجزء الأول منها، والأربعة موجودة الآن في مكتبة المدرسة العليا بالرباط، عليها خط الإمام الصدفي يشهد بأن أبا عمران قرأ بها عليه في الجزء الثاني.

ويوجد في الجزء الخامس التصريح بأن محمد بن يوسف أيضاً قرأها عليه، فكان محمد هذا تارة يرويها عن الصدفي مباشرة، وتارة بواسطة عمِّه أبي عمران، والكل صحيح ثابت.

وقد أخذ منها الجزء الثاني بالتصوير الشمسي، وآخر ما عليه خَطُّ

---

(١) ويوجد في المغرب: رواية القاضي عياض، رواها عن الصدفي مباشرة، كما أن رواية أبي الحسن القابسي رواية ثابتة صحيحة متقنة، وغيرها من روايات الشيوخ المغاربة عن المغاربة أنفسهم، أو عن الأندلسيين.
ولكن رواية ابن سعادة أشهر، حتى إنك تجد في جُلِّ النسخ المغربية زيادة سند بين باب كيف كان بدء الوحي وبين حدثنا الحميدي زائداً، ليس هو من كلام البخاري قطعاً، وإنما هو لابن سعادة، واللائق حذفه.
وكل رواية اتصلت بالصدفي إلا وهي عين رواية ابن سعادة، إذ نسخة ابن سعادة فرع من أصل الصدفي، فكل منهما عين الآخر، ومن انتقد على شيخنا القادري في ذلك لم يصب (مؤلف).

محمد بن عبدالسلام بناني شارح (الاكتفاء) يشهد أنه قابل عليها نسختَه وهو في خزانتي.

وعلى كل حال ليست رواية ابن سعادة من قبيل الوجادة كما قال عبدالملك التجموعتي، بل هي رواية متصلة صحيحة سماعاً وإجازة، واصلة إلينا بطرق عديدة مبسوطة في (فهرست) سيدي عبدالقادر الفاسي[1]، الموجودة بيدنا ومن قبله ومن بعده فلم يبقَ أدنى شك في صحتها واتصالها.

فأروي نسخة ابن سعادة:

١ ـ عن الوزّاني، وهو

٢ ـ عن شيخه أحمد بناني، السابق.

٣ ـ عن بدر الدين بن الشاذلي الحمومي وكان معمراً آخر تلاميذ التاودي وفاة توفي سنة ١٢٧٥هـ.

٤ ـ عن الشيخ التاودي بن سودة.

٥ ـ عن علي الحريشي شارح (الشفا).

٦ ـ عن عبدالقادر الفاسي.

٧ ـ عن عمِّ أبيه العارف عبدالرحمٰن الفاسي.

٨ ـ عن أبي عبدالله القصّار.

٩ ـ عن رضوان بن عبدالله الجنوي.

١٠ ـ عن عبدالرحمٰن سُقين العاصمي السُّفياني.

١١ ـ عن الإمام ابن غازي.

١٢ ـ عن محمد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن السرَّاج.

١٣ ـ عن أبيه.

١٤ ـ عن جده.

---

(١) انظر: فهرست عبدالقادر الفاسي: «وقد وفقني المولى تعالى لتحقيق هذه الفهرست النافعة والتعليق عليها» وقد نشرتها دار ابن حزم في بيروت عام ١٤٢٤هـ/موافق ٢٠٠٣م.

١٥ ـ عن أبي البركات بن الحاج البلفيقي.

١٦ ـ عن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن الزُّبير.

١٧ ـ عن أبي الخطاب محمد بن خليل السَّكُوني.

١٨ ـ عن أبي الخطاب بن واجب.

١٩ ـ عن أبي عبدالله محمد بن يوسف بن سعادة.

٢٠ ـ عن عمِّه أبي عمران موسى بن سعادة.

٢١ ـ عن أبي علي الصدفي، وقد يروي محمد بدون واسطة عمه كما سبق.

٢٢ ـ عن أبي الوليد الباجي.

٢٣ ـ عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي.

٢٤ ـ عن أبي عبدالله محمد بن حَمُّويه الحمُّوسي السرخسي وأبي إسحاق البلخي المستملي وأبي الهيثم محمد بن المكي بن زُراع الكشميهني كلهم.

٢٥ ـ عن أبي عبدالله محمد بن يوسف بن مَطَر بن صالح بن بِشر الفِربري.

٢٦ ـ عن أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري.

في هذا السند بيني وبين البخاري خمسة وعشرون أو أربعة وعشرون واسطة، وهو نازل، ويأتي لنا ما هو أعلى منه، ونزولُه هو العلو؛ لأنه عن أئمة أعلام مشاهير، أساطين العلم والورع والإتقان.

ورجاله إلى البلفيقي فاسيُّون، ثم هم أندلسيون إلى أبي ذَرّ، ومنه إلى البخاري مشارقة، وكثير من رجاله تجدُ تراجمهم في (الفكر السامي) في الجزء الرابع، وترجمة البخاري في الثالث منه، وباقي التراجم في العروة الوثقى.

وأروي هذه النسخة عن ابن سودة رواية سماع لكلّه، يرويها عن بونافع عن التاودي ابن سودة عن ابن مبارك اللمطي عن علي الحريشي إلى آخر السند السابق، كما أرويها عن غيره.

أما النسخ المطبوعة في مصر وغيرها من بلاد المشرق، فأكثرها مقابلة على نسخة اليونيني التي شرحِ عليها القسطلاني، وهي أكثر النسخ استقصاءً للروايات، وضبطاً للرواة، قلَّ أن يكون لها نظير، واعتناء القسطلاني بهذه النسخة مما أوجب الإقبال على شرحه، مع وجود (فتح الباري) ولولاها لاستغنى الناس عنه. ويأتي لنا سندُها عن شيوخنا: كنون، وابن سودة، وابن الخياط، وغيرهم. ولا ينبغي إغفال سندها أيضاً لكثرتها بالمغرب، ويأتي لنا بعد.

إن شيخي الوزَّاني قد لازمته في دروسه بعد إعفائه من قضاء الصويرة، فقهاً وحديثاً ونحواً وصرفاً ومعاني وبياناً وتوحيداً ومنطقاً وفرائض وحساباً وغيرها، ولم أفارقه إلى أن توفي رحمه الله. جلست إليه مبتدئاً، وغَمَضتُه مفيداً.

٢ ـ سنده من طريق شيخه ابن سودة:

لما ترجم الحجوي لشيخه (أبي العباس أحمد بن الطالب السُودي المُرِّي) ذكر سنده في رواية صحيح البخاري عن مغاربة ومشارقة فقال:

(فمن المغاربة: أنه قرأ البخاري على أبي العباس أحمد بن محمد بونافع دفين فاس العليا من آل بونافع الشهير بها، مرتين، وهذا قرأه على التاودي[١] ابن سودة أزيد من ثمان عشرة مرة[٢]، وأسانيد التاودي معروفة

(١) إن التاودي ابن سودة عمَّر طويلاً، ذكر لي حفيده العدل الثقة سيدي الطالب بن عثمان أنه أناف على ١٣٠ سنة، وكتب لي بذلك مستدلاً على ذلك بما وجد مقيّداً من مخطوطاته. وكانت وفاته سنة ١٢٠٩ وتراجم التاودي والحمومي وبونافع في (الفكر السامي) من كلام الحجوي في هامش (مختصر العروة الوثقى): ٣٠.

(٢) يقول الحجوي: (لا عجب من هذا فقد ذكروا أن التاودي ختم البخاري أربعين مرة في كل رمضان مرة، وأن الصدفي ختمه (٦٠) وكم لهذا من نظير (مختصر العروة الوثقى): ٣٠.

في فهرسته، وقرأه أيضاً على محمد بن الشاذلي الحمومي وهو عن التاودي أيضاً، ورواه عن غيرهما من المغاربة كمحمد بن أحمد النيفر التونسي مفتي المالكية[١] بتونس لما توجه للحج، وهذا رواه عن محمد بن محمد بن محمد بيرم الحنفي المتوفى سنة ١٢٠١هـ[٢].

عن جده المولود سنة (١١٣٠هـ) المتوفى ١٢١٤هـ[٣] عن أبي العباس

---

(١) هو محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن أبي النور بن محمد بن أحمد النيفر (ت١٢٧٧هـ) قرأ على أعلام عصره بجامع الزيتونة: كإبراهيم الرياحي، وأحمد الأبي، وإسماعيل التميمي، ومحمد بيرم الثالث. وبعد استكمال تحصيله صار مدرساً بجامع الزيتونة، واشتهر درسه في تفسير البيضاوي، فكان محل إعجاب وتقدير من معاصريه. قال ابن أبي الضياف في وصف مجلس درسه هذا وأسلوبه (فجلى مضمار الأنظار، وأتى بما يزري بالنُّضار، فكان يتلو الآية من حفظه، ويأتي بجميع ما يمكن أن يقال في تفسيرها من حفظه، ولا كتاب معه، يظن سامعه أنه يؤلف حاشية على التفسير، ويقول في الدرس ما كتبه، جلوسه في الدرس بخشوع ووقار وسكينة لا يستعين في تقريره بإشارة يد، وكان شيخنا محمد بن الخوجة إذا رآه على ذلك يقول لنا (هذا معنى راحة العلم لأن مسائل الدرس صارت في نظره كالضروري) للتوسع في ترجمته انظر: (إتحاف أهل الزمان ١١١/٨ ـ ١١٤) (تراجم المؤلفين التونسيين ٧٢/٥ ـ ٧٥).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن حسين بيرم (ت١٢٥٩هـ) وقد ذكر الحجوي وفاته سنة (١٢٠١هـ) في (مختصر العروة الوثقى: ٣٠) والصواب أنها سنة ولادته ـ وهذا وقع سهو منه رحمه الله ـ.

درس الشيخ بيرم الثالث في المدرسة الباشية نائباً عن والده، وفي جامع الزيتونة، وأقرأ مختصر السعد على التلخيص في المدرسة العنقية. ولما توفي والده، قام مقامه في رئاسة المجلس الشرعي الحنفي، وخطه نقابة الأشراف. انظر (تراجم المؤلفين التونسيين ١٣٦/١).

(٣) هو محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بيرام شُهر ببيرم (وأصل اللفظة من التركية ومعناها العيد) شيخ الإسلام المعروف ببيرم الأول. قدم جده بيرام إلى تونس صحبة جندسنان باشا لاستنقاذ البلاد من الاحتلال الإسباني، وطاب له المقام بتونس، وتزوج من أهلها، ومن أحفاده (بيرم الأول) قرأ صحيح البخاري على الشيخ علي سويسي، وعلي أحمد المكودي الفاسي نزيل تونس، وروى عنه صحيح البخاري وأجازه بمروياته. وقرأ على غيرهم من العلماء. درّس بالمدرسة العنقية التي توارثها أعقابه. من تآليفه: (بغية السائل في اختصار أنفع الوسائل) و(رسالة في السياسة الشرعية) وغير ذلك من المؤلفات. انظر: (المؤرخون التونسيون لأحمد بن عبدالسلام: ٢٨٩).

أحمد المكودي الفاسي أصلاً، التونسي داراً[1] مفتي المالكية عن أحمد بن المبارك اللمطي الفاسي وأسانيده معلومة في ثبته الذي أجاز به المكودي وهو في خزانتي والحمد لله.

ورواه عن مشارقة: منهم محمد بن علي بن السنوسي الخطابي الإدريسي الحسني صاحب جغبوب لقيه بأحد الحرمين الشريفين عام حج (١٢٦٧هـ) وأجازه إجازة مطلقة عامة كتابة وشفاهاً وتوفي بعدها سنة ١٢٧٦هـ في ٩ صفر رحمه الله، وكان من أعلام السنة والورع والهدى والإرشاد يروي عن محمد بن عبدالسلام الناصري وحمدون ابن الحاج إجازة ومن المشارقة الأمير الصغير وحسن العطار وغيرهم وأسانيدهم معروفة. وله فهارس في مشيخته وأسانيده.

وممن أجازه أيضاً مفتي الجزائر مصطفى بن محمد المدعو الكبابيطي لقيه بالإسكندرية عام (١٢٦٨هـ) وقرأ عليه بعضه وأجازه بالباقي عن شيخه علي بن عبدالقادر عرف بابن الأمير العلوي النسب الجزائري الدار والوفاة سنة (١٢٣٦هـ)، عن علي بن مكرم الصعيدي المتوفى سنة (١١٨٩هـ)، عن أبي عبدالله محمد عقيلة المكي المتوفى (١١٥٠هـ)، عن عالم الحجاز حسن بن علي العجيمي المتوفى بالطائف سنة (١١١٣هـ)، عن أبي الوفاء أحمد بن علي العجل اليمني المتوفى سنة (١٠٧٤هـ)، عن يحيى بن مكرم الطبري، عن البرهان محمد بن صدقة الدمشقي وغيره، عن عبدالرحمٰن بن عبد الأول الفرغاني وكان عمره ١٤٠ سنة، عن أبي عبدالرحمٰن محمد بن شاذبخت الفارسي الفرغاني، عن أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلاني وكان عمره ١٤٣ عن الفربري عن البخاري.

---

(١) هو أحمد بن الحسن بن محمد المعروف بالورشان، الملقب بالمَكُودي الشريف الحسني، من بيت المكودي بفاس، الشهير بالعلم والفضل، المحدِّث المسند الراوية الفقيه نزيل تونس، أخذ عن الشيخ بن مبارك، وأجازه إجازة عامة بسنده المشهور وعن علي الحريشي، ونزل تونس وحصلت له بها شهرة تامة، ودرس بها العلوم العربية، وتقلّد الفتوى في عهد علي باشا الأول، له (فهرسة شيوخه) انظر (فهرس الفهارس ١/٤٢٠ ـ ٤٢١).

قال شيخنا ابن سودة في كُنَّاشته: ولا أظنه يوجد بمغربنا سنداً أعلى من هذا للبخاري ولله الحمد وله المنّة وقيَّده يوم السبت ٣ رجب سنة ١٣١٤هـ، قلت: فبيني وبين البخاري من هذه الطريق (١٣) واسطة وأعلى ما أدركه السيوطي والسخاوي (٨) وسائط، فكأنه ليس بيني وبينها سوى (٥) وسائط، وبيني وبين النبي ﷺ في (ثلاثيات البخاري) (١٦). وقد صرح القصار في فهرسته بأن أعلى ما حصل عليه في ثلاثيات البخاري، وثنائيات الموطأ (١٤) رجلاً وكانت وفاته سنة (١٠١٢هـ) فلم يسبقني القصار إلا بواسطتين مع أنه سبقني في الزمان بنحو ثلاثة قرون ونصف.

ولشيخنا ابن سودة سند آخر أعلى من هذا لم ينتبه إليه[1] مع نشاطه في العلم والتاريخ وبحثه المدقق ـ وذلك من طريق محمد عابد السِّندي المدني صاحب حواشي الكتب الستة المتوفى لسبع عشرة خلون من ربيع الأول سنة (١٢٥٧هـ) فإنه ذكر في ثبته المسمى (حصر الشارد) آخره أنه أجاز كل من أدرك حياته، وشيخنا المذكور كان موجوداً بلا شك لأنه ولد سنة (١٢٤١هـ) فيكون مجازاً منه، وكذلك شيخنا سيدي جعفر الكتاني، ومجيز أنا سيدي أحمد الشريف التونسي، والشيخ سالم بوحاجب التونسي وشيخنا مولاي عبدالملك العلوي الضرير وغيرهم.

والشيخ السندي يروي البخاري والموطأ وغيرهما عن الشيخ صالح الفلاني[2] عن محمد بن سنة[3] الفلاني عن أحمد بن العجل اليمني عن

---

(١) تعقب العلامة المحدّث الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ على كلام الحجوي فقال: (قول الحجوي عن شيخه ابن سودة (لم ينتبه إليه...) تحميل لا دليل عليه ولماذا وصفه بهذا؟ وقد يكون انتبه إليه وعلمه ووقف عليه وأعرض عنه لأن مثل هذا التحمل (الهوائي) لا يتعلق به المحدثون، والمتقنون النبهاء، ولا يفرحون به، فكلام الحجوي عن شيخه ابن سودة مردود. انظر: (تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي) ص١٥٢.

(٢) نسبة إلى فُلان بضم الفاء وتشديد اللام، قبيلة سودانية أو قُطر منه، وهو صالح العمري نسبة إلى عمر بن الخطاب، ترجمته في تكملة ابن الأبار، توفي سنة ٩٦٦هـ بالمدينة المنورة، ومولده بالسودان، له ثبت كبير (الثمار اليانع) وصغير (قطف الثمر) وغيرهما.

(٣) سِنَّة: بكسر أوله وفتح ثانيه المشدد.

القطب النهروالي[١] عن الطاوسي عن بابا[٢] يوسف الهروي عن عبدالرحمٰن الفرغاني عن الختلاني عن الفِربري عن البخاري. فتقع لي ثلاثياته بـ(١٥) واسطة، وهذا أعلى ما سبق فيكون القصَّار إنما فاتني بواسطة واحدة، وأما الموطأ فإن الختلاني يرويها عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي عن أبي مصعب الزبير عن الإمام مالك، فتقع لي ثنائياته كنافع عن ابن عمر بـ(١٥) واسطة أيضاً. فهذا أعلى ما أدركنا ولكن بطريق إجازة السندي كما سبق وسند الموطأ هو سند في الحديث والفقه معاً والأصول أيضاً.

٣ ـ روايته صحيح البخاري من طريق محمد بن محمد بن عبدالسلام كنون:

ويروي الحجوي (صحيح البخاري) من طريق شيخه محمد بن محمد بن عبدالسلام كنون المستاري الفاسي عن:

١ ـ العلامة المحقق المحدّث الصوفي أبو العباس أحمد بناني عن:

٢ ـ بدر الدين الحمومي (دفين البليدة من فاس) ومحمد السنوسي كلاهما عن:

٣ ـ الشيخ التاودي بن الطالب بن سودة عن:

٤ ـ الشيخ محمد بن عبدالكريم السمان ساكن المدينة المنورة عن:

٥ ـ علاء الدين الزبيدي عن:

٦ ـ إبراهيم الكوراني عن:

٧ ـ عبدالله الأهوازي عن:

٨ ـ قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني عن:

٩ ـ الفرغاني عن:

---

(١) النهروالي: باللام بعدها ياء نسب.

(٢) بابا يوسف: قيل إنه عاش ثلاثمئة سنة ونيفاً (المؤلف).

١٠ ـ الختلاني عن:

١١ ـ الفربري عن:

١٢ ـ البخاري.

فبيني وبين البخاري (١١) رجلاً وتقع لي ثلاثياته بـ(١٥)[١].

زيادة واسطة ثالثة:

يقول الحجوي: أمّا شيخنا القادري فقد زاد بين قطب الدين النهروالي وبين أبي الفتح الطاوسي واسطة أخرى، وهي: أحمد بن محمد والد النهروالي، والذي في ثبت شيخنا جعفر الكتاني إسقاطه كما في ثبته عن الحافظ السندي وغيره، وقد نصّ مفتي الحنفية بالمدينة المنورة محمد بن عمر البابي في ثبته الذي أجاز به محمد بن عثمان السنوسي التونسي أنه وجد بخط شيخه العطوشي عن عبدالخالق بن علي المزجاجي أن قطب الدين روى عن الطاوسي بدون واسطة، وأسقطه أيضاً أبو الوفاء أحمد بن محمد العجل ولكن زاده محمد بن عبدالرحمٰن الفاسي والشيخ محمد الدمشقي فيمكن أنه من المزيد في متصل الأسانيد، وأنه رواه تارة بالواسطة وتارة بدونها، وقد وقع ذلك في فهرسة التاودي، فإنه زادها مرة وحذفها أخرى، ومنهم من يجعل بين الطاوسي وبين الفرغاني ثلاث وسائط فالطاوسي عن عمه ظهير الدين أبي إسحاق الطاوسي عن صدر الدين عبد الخير بن أبي الخير سماعه عن جده المولى نور الدين عبد القادر الحكيم الأبرقوهي بسماعه عن المعمر محمد بن شاذبخت الفرغاني وهذه طريقة من يتجنب الرواية عن بابا يوسف الذي يزعم أنه عاش ثلاثمئة سنة ونيف ولقي فيها الختلاني وتعميره هذه القرون محل ظنون، وابن بطوطة لقيه في رحلته وشك فيما يدعيه من التعمير. وقال فيه كأنه ابن خمسين سنة[٢].

---

(١) مختصر العروة الوثقى: ٣٩.

(٢) مختصر العروة الوثقى: ٤٠ ـ ٤١.

٤ ـ روايته صحيح البخاري من طريق آخر عن شيخه كنون[(١)]:

قال الحجوي: قال شيخنا كنون إثر ما سبق وأجازني فيه أيضاً ـ يعني البخاري ـ ثم ذكر السند، وهو كما يلي:

١ ـ شيخه كنون عن:

٢ ـ العلامة الناسك الصوفي محمد فال بن بابا الشنجيطي العلوي عن:

٣ ـ أحمد بن محمد عن:

٤ ـ والده: محمد بن محمد الحافظ العلوي الشنجيطي عن:

٥ ـ صالح العمري عن:

٦ ـ محمد بن سِنَّة عن:

٧ ـ المعمَّر أحمد بن محمد بن العجل عن:

٨ ـ مفتي مكة قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي عن:

٩ ـ الحافظ نور الدين أحمد بن عبدالله الطاوسي عن:

١٠ ـ المعمَّر بابا يوسف الهروي عن:

١١ ـ الفرغاني عن:

١٢ ـ الختلاني عن:

١٣ ـ الفربري عن:

١٤ ـ البخاري.

يقول الحجوي (فبيني وبين البخاري (١٣) وتقع لي ثلاثياته بـ (١٧) فهو أنزل من الأول برجلين والله أعلم (وقد علمت أنهما متساويان).



---

(١) مختصر العروة الوثقى: ٤١ ـ ٤٢.



ثانياً: سنده في صحيح الإمام مسلم

يقول الحجوي: (وأروي صحيح مسلم عن[1]:

١ ـ ابن الخيَّاط وكنون بالإجازة العامة وهما عن:

٢ ـ بناني كلاً، وغيره كذلك، وهو عن:

٣ ـ بدر الدين (الحمومي) عن:

٤ ـ التاودي عن:

٥ ـ محمد بن عبدالسلام بنَّاني عن:

٦ ـ محمد بن عبدالقادر الفاسي عن:

٧ ـ والده عن:

٨ ـ العارف الفاسي عن:

٩ ـ القصَّار، وأخيه أبي المحاسن عن:

١٠ ـ خروف عن:

١١ ـ الطويل عن:

١٢ ـ العَلَم البلقيني والتَّنُوخي عن:

---

(١) مختصر العروة الوثقى: ٤٦.

١٣ ـ أبي جمرة عن:

١٤ ـ ابن المغيرة عن:

١٥ ـ ابن ناصر عن:

١٦ ـ ابن منده عن:

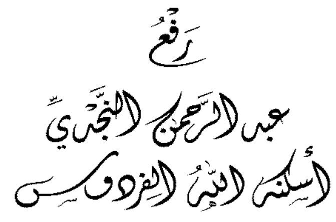
١٧ ـ الجوزقي عن:

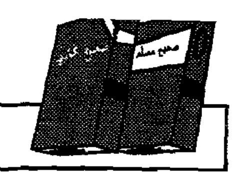
١٨ ـ مكي عن:

١٩ ـ مسلم.

فبيني وبين مسلم (١٨) نفساً من هذه الطريق).









المبحث الثالث

١ ــ انتقاده لشيخه الحافظ أبي شعيب الدكالي في أسانيد الحديث

انتقاده للحافظ[1] أبي شعيب الدكالي في سند المسلسل بالأولية:

يقول الحجوي عن شيخه الحافظ أبي شعيب الدُّكَّالي: (المحدّث الشهير والعلَم الكبير المتوفى بالرباط في ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ فقصدت منزله الذي كان المولى عبدالحفيظ أنزله به حين قدم عليه من الحجاز ثانياً، دار الوزير الجباص بفاس بالدُّوح، وذلك بعد مغرب يوم

(١) ذكر العلامة الحجوي أسباب بدء المحدثين في فهارسهم بالحديث المسلسل بالأولية وهي:
١ ـ المحافظة على هذه السلسلة من باب حفظ آثار المجد الإسلامي التاريخي.
٢ ـ يتبركون بما فيه من التحدث عن الرحمة رجاء دخولهم فيها.
٣ ـ الفأل الحسن الذي كان ﷺ يحبه كما كان يكره التشاؤم.
٤ ـ أن يربُّوا تلاميذهم على أن يكونوا متفاءلين إذ التفاؤل من محاسن الأخلاق بخلاف التشاؤم.
٥ ـ أن يكونوا رحماء يرحم بعضهم بعضاً غير متشاكسين ولا متقاطعين بل متواصلين متعاونين متحابين لأن ديننا دين حب وتعاون.
٦ ـ ما ورد أن رحمة الله سبقت غضبه فينبغي أن يقدم حديثها في كتابة الأسانيد الحديثية.
مختصر العرو الوثقى: ٥٨.

الأربعاء ٢٧ ربيع النبوي سنة ١٣٢٩هـ، وطلبت منه أن أسمع الحديث المذكور إن كانت له رواية متصلة بالأولية الحقيقية فيه مع الإجازة العامة في غيره، فأنعم وأجازني إجازة عامة مطلقة تامة بشرطها المقرر عن أهل هذا الشأن الأكبر ثم اندفع كالسيل الخضم فقال:

(أحدثكم بأول حديث تسمعونه مني:

١ ـ حدثني الشيخ عبدالله القدومي[1] النابلسي وهو أول حديث حدثني به قال حدثني:

٢ ـ الشيخ حسن بن عمر الشطّي حدثني:

٣ ـ العلامة الأمير المالكي حدثنا:

٤ ـ الشيخ شهاب الدين أحمد الجوهري حدثني:

٥ ـ محمد بن سليمان الروداني المغربي حدثني:

٦ ـ الشيخ قدورة الجزائري حدثني:

٧ ـ محمد بن سعيد المقري مفتي تلمسان حدثني:

---

(١) هو الشيخ عبدالله بن عودة بن عبدالله بن عيسى بن سلامة بن عبيد القدومي بلداً النابلسي نسباً الحنبلي مذهباً. ولد سنة ١٢٤٦هـ في قرية كفر قدوم بفلسطين، وبها نشأ، وتعلّم القرآن الكريم، وكان في صغره كثير المطالعة في الكتب الموضوعة بمسجد قريته كثير الإعراض عن اللعب مع الأولاد في قريته، يميل لمجالسة أهل العلم والأدب، ولما بلغ السادسة عشرة سافر إلى دمشق وسكن بالمدرسة المرادية، وأخذ عن الشيخ إبراهيم التفال، والشيخ حسن عمر الشطي، وبعد مدة عاد إلى بلده واشتغل بالعلم والإفادة والاستفادة والبحث في مسائل العلوم مع التفهم والزيادة، ثم هاجر إلى مدينة نابلس وأقام بها، وسافر إلى المدينة المنورة وأقام بها سنتين، وحجَّ بيت الله الحرام، وقابل كبار العلماء ومنهم الشيخ حبيب الرحمٰن العالم الهندي الزاهد، والشيخ محمد إسحاق العالِم الهندي.

توفي سنة ١٣٣١هـ في مدينة نابلس. من مؤلفاته (هدية الراغب في ترتيب أبواب البخاري) و(الأجوبة الدرية في دفع الشبه والمطاعن الواردة على الملة الإسلامية) و(الرحلة الحجازية والرياض الأنسية في الحوادث والمسائل العلمية) وغير ذلك من المؤلفات. انظر: الأعلام الشرقية ٣٤٣/١ ـ ٣٤٤.

٨ ـ إبراهيم القادري حدثني:

٩ ـ أبو الفتح المراغي حدثني:

١٠ ـ زين الدين العراقي حدثني:

١١ ـ عبداللطيف بن عبدالمنعم الحراني حدثني:

١٢ ـ أبو سعيد النيسابوري حدثني:

١٣ ـ أبو بلال عمرو بن صالح المؤذن حدثني:

١٤ ـ علي بن صالح الحجازي حدثني:

١٥ ـ محمد بن بشر العبدي حدثني:

١٦ ـ الإمام سفيان بن عيينة عن:

١٧ ـ عمرو بن دينار عن:

١٨ ـ أبي قابوس عن:

١٩ ـ مولاه عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: **«الراحمون يرحمهم الرحمٰن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»**.

في بعض الروايات بزيادة: تبارك وتعالى بعد الرحمٰن. ورواية بجزم الميم، ويروى بضم الميم، فالروايات حينئذ أربع، قال: وكل واحد من الشيوخ يقول: وهو أول حديث حدثني به شيخي من القدومي إلى سفيان بن عيينة بإخراج الغاية ففي سفيان انقطعت سلسلة الأولية.

ولقد أملى علي الشيخ أبو شعيب السند بطوله والمتن معاً الكل من حفظه، كذلك ما يأتي من سنده في البخاري ومسلم. وبعد إملائه والفراغ من كتبه أمليت عليه ثم تناول الطرس فقرأه مستوعباً ورده إليَّ فجمعت فيه بين التحديث والسماع والمناولة.

فلأبي شعيب فيه وسائط تسعة بينه وبين عين الرحمة ومنبع الشريعة رسول الله ﷺ. هذا ما يقتضيه لفظه.

تحقيق عن هذا السند وعليه انتقادات:

ـ يقول الحجوي: إن الذي في فهرست الأمير التي هي أصله أنه سمع الحديث من أحمد الجوهري عن عبدالله بن سالم البصري المكي قال: حدثنا محمد بن سليمان المغربي يعني الروداني، فسقط لأبي شعيب واسطة بين الجوهري وبين الروداني، وقد اتفق من نقلوا هذا السند عن الأمير على إثبات البصري واسطة بينهما من أصحاب الفهارس.

ـ قوله: محمد بن سعيد المقري صوابه: أبو عثمان سعيد المقري بإسقاط محمد كما في فهرست الأمير وغيره.

ـ قوله عن إبراهيم سقط له هنا واسطة وهو أبو العباس أحمد حجي الوهراني والعذر للشيخ أن هذه الواسطة ساقطة من النسخ التي بيدي من فهرست الأمير الفاسية والتونسية وهما معاً بمكتبتي والصواب إثباتها كما في صلة الخلف للروداني التي هي أصل فهرست الأمير، وهي في مكتبتي بخط ولده أبي بكر.

ـ قوله عن إبراهيم القاري بالقاف هكذا أملاه علي بلفظه وصوابه: إبراهيم التازي، بالتاء والزاي، وهو الشيخ الشهير دفين وهران كما في صلة الخلف. وكما في بغية أهل الأثر لعبدالباري الأهدل وغيرهما.

ـ كما سقط له واسطة أخرى بين زين الدين العراقي وبين عبداللطيف الحراني، وهو الصدر أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي. وهي ثابتة في فهارس منها فتح الملك الناصر وغيرها.

ـ وسقط له أيضاً واسطة أخرى بين عبداللطيف بن عبدالمنعم بن علي بن نصر الحراني وبين أبي سعيد النيسابوري وهو أبو الفرج عبدالرحمٰن بن علي بن الجوزي كما في فهرست الشيخ عبدالقادر الفاسي وصلة الخلف وغيرهما، وهو ابن الجوزي بفتح الجيم الواعظ الشهير كما في المنح البادية للفاسي، وقال الأمير نقلاً عن زكرياء أن صوابه بضم الجيم وأنه غيره.

ـ تكنية النيسابوري بأبي سعيد خلاف ما في صلة الخلف من أنه أبو إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبدالملك النيسابوري، ولكن في ثبت محمد علي ابن ظاهر الوتري المدني في حديث الأولية أنه أبو سعيد إسماعيل بن أبي صالح المؤذن النيسابوري وكذا هو في فتح الملك الناصر أيضاً.

ـ كما سقطت له واسطتان أخريان بين النيسابوري وبين أبي حامد بن بلال البزاز، وهما أبو صالح المؤذن والد النيسابوري عن أبي طاهر محمد بن محمد ابن محمش الزيادي كما في فهرست عبدالقادر الفاسي، وثبت الوتري المدني وفتح الملك الناصر.

ـ كما وقع له غلط في قوله أبو بلال عمرو بن صالح المؤذن والصواب: أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز كما في فهرست الأمير. وثبت ابن ظاهر الوتري المدني ونسبه البزاز بزاءين. وفي كتاب فتح الملك الناصر في إجازات بني ناصر براء مهملة آخره.

ـ زاد أبو شعيب رجلاً لم يذكره أحد وهو علي بن صالح الحجار.

ـ قوله إن بلال حدّث عن علي بن صالح الحجار عن محمد بن بشر العبدي عن سفيان ليس كذلك، والذي في فهرست الأمير أن أبا حامد بن بلال حدّث عن عبدالرحمٰن بن بشر بن عبدالحكم العبدي النيسابوري عن سفيان، وهكذا هو في فهرست الأمير مصرحاً أن عبدالرحمٰن بن بشر بن الحكم العبدي حدَّث عن سفيان. فالحكم العبدي هو جد عبدالرحمٰن وليس واسطة بين عبدالرحمٰن وبين سفيان، وهكذا في ثبت الوتري أيضاً إلا أنه قال ابن الحكم فأسقط لفظ عبد وكذا هو في فتح الملك الناصر شطب على لفظ عبد. وفي الخلاصة لصفي الدين الخزرجي: عبدالرحمٰن بن بشر بن الحكم بن حبيب ابن مهران العبدي أبو محمد النيسابوري يروي عن ابن عيينة ويحيى القطان والنضر بن شميل وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه (هكذا رقم لهؤلاء الأربعة) قال صالح بن محمد صدوق، قال أبو عمرو المستملي مات سنة ستين ومئتين، فالذي وقع للشيخ أبي شعيب انقلبت له الكنية إسماً، والكمال لله.

وبالجملة قد ساق الشيخ عبدالقادر الفاسي حديث الأولية بأسانيده إلى زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي عن الميدومي عن عبداللطيف الحراني عن أبي الفرج ابن الجوزي عن النيسابوري عن أبي صالح المؤذن عن أبي طاهر الزيادي عن أبي حامد البزاز عن عبدالرحمٰن العبدي كلهم يقول: هو أول حديث سمعته منه عن حافظ الأمة سفيان بن عيينة وهو أول حديث حدثنا به قال حدثنا به قال حدثنا عمرو بن دينار إلخ.

وساقه الروداني في الصلة بأسانيده إلى أبي الفتح المراغي عن الزين العراقي عن أبي الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي عن عبداللطيف بن عبدالمنعم الحراني عن أبي الفرج عبدالرحمٰن علي ابن الجوزي عن أبي إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبدالملك النيسابوري عن والده أبي صالح المؤذن عن محمد بن محمد بن محمش الزيادي عن أبي حامد أحمد بن محمد بن بلال البزاز عن عبدالرحمٰن بن بشر بن الحكم العبدي عن سفيان إلخ.

ولا ينبغي أن يشك فيما اتفق عليه الرجلان المذكوران لا سيما وهما أصل فهرست الأمير التي يروي عنها أبو شعيب فيكون تحقيق سنده هكذا:

أبو شعيب الدكالي عن:

١ ـ القدومي عن:

٢ ـ الشَّطِّي عن:

٣ ـ الأمير عن:

٤ ـ الجوهري عن:

٥ ـ البصري عن:

٦ ـ الروداني المغربي عن:

٧ ـ قدورة عن:

٨ ـ سعيد المقري عن:

٩ ـ حجي الوهراني عن:

١٠ ـ إبراهيم التازي عن:

١١ ـ أبي الفتح المراغي عن:

١٢ ـ العراقي عن:

١٣ ـ الميدومي عن:

١٤ ـ عبداللطيف عن:

١٥ ـ أبي الفرج ابن الجوزي عن:

١٦ ـ النيسابوري عن:

١٧ ـ أبي صالح المؤذن عن:

١٨ ـ محمد الزيادي عن:

١٩ ـ أبي حامد بن بلال البزاز عن:

٢٠ ـ عبدالرحمٰن العبدي عن:

٢١ ـ سفيان عن:

٢٢ ـ عمرو بن دينار عن:

٢٣ ـ أبي قابوس عن:

٢٤ ـ عبدالله بن عمرو بن العصا، إلخ.

فالوسائط (٢٤) لا (١٩) واسطة.

ـ قول أبي شعيب أن الروايات أربع برفع يرحمكم وجزمه وزيادة تبارك وتعالى وحذفها. قد بحث الأمير نقلاً عن زكرياء الأنصاري بأن الرواية بالرفع فقط جملة دعائية من النبي ﷺ وهذا يقتضي أن لا رواية فيه بالجزم ونحوه للعجلوني في ثبته عن النجم الغزي قائلاً: لا يمتنع الجزم عربية فيقتضي أنه ليس برواية، لكن الشهاب الجوهري شيخ الأمير ألّف في ذلك رسالة وأثبت أن الجزم رواية أيضاً.

قال أحمد بن عبيد العطار في ثبته (ولا شك في أن الرفع أبلغ) وذلك لأن الرفع لا يقتضي مجازاة رحمة برحمة كمعاوضة عن عمل، بل يقتضي أن الرحمة تطلب لكونها رحمة ولو دون جزاء فبحث زكرياء ساقط وكلام أبي شعيب صحيح.

* * *

٢ ـ انتقاده لشيخه أبي شعيب الدكالي في سنده العالي في صحيح البخاري

قال الحجوي عن شيخه أبي شعيب الدُّكَّالي:

١ ـ حدثني الشيخ سليم البشري قال حدثني:

٢ ـ الشيخ منّة الله قال حدثني:

٣ ـ الأمير عن:

٤ ـ أبي الحسن الصعيدي عن:

٥ ـ الشيخ محمد بن عقيل المكي عن:

٦ ـ الشيخ حسن بن علي الحجيمي عن:

٧ ـ أحمد بن العجل اليمني عن:

٨ ـ الشيخ يحيى بن مكرم الطبري عن:

٩ ـ جده محب الدين الطبري عن:

١٠ ـ الشيخ إبراهيم بن محمد بن صدقة الدمشقي عن:

١١ ـ الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالأوّل الفرغاني عن:

١٢ ـ محمد بن نصر عن:

١٣ ـ يحيى بن عمار الختلاني عن:

١٤ ـ الفربري عن:

١٥ ـ الإمام البخاري عن:

١٦ ـ مكي بن إبراهيم عن:

١٧ ـ يزيد بن عبيد عن:

١٨ ـ سلمة بن الأكوع عن: ـ النبي ﷺ قال: «**إن لله ملائكة سياحين وظيفتهم حلق الذكر**» الحديث.

فبين أبي شعيب وبين النبي ﷺ في ثلاثيات البخاري (١٨) واسطة من هذه الطريق العالية.

* * *

تحقيق هذا السند كذلك

١ ـ صوابه في الراوي الخامس محمد بن عقيلة بفتح العين لا عقيل كما في فهرست الأمير وثبت محمد بن حمودة بوهاها القيرواني وأسقط هذا لفظ ابن. فقال: محمد عقيلة، وكذا هو في فهرست الأمير. ولعله على قاعدة المشارقة يحذفون لفظ ابن بين الوالد وأبيه اتكالاً على الشهرة.

٢ ـ صوابه في السادس العجيمي بالعين كما في فهرست الأمير.

٣ ـ الصواب إسقاط التاسع الذي هو جد الطبري كما في ثبت بوهاها، وفي فهرست التاودي ابن سودة التصريح بسماع يحيى بن مكرم من الدمشقي، ومثله في ثبت شيخنا جعفر الكتاني وهو رجل متثبت وكذا هو في فهرس الأمير.

٤ ـ الصواب في الثاني عشر وهو محمد بن نصر إبداله بأبي عبدالرحمٰن محمد بن شاذبخت الفارسي الفرغاني عن الختلاني وهو أبو لقمان يحيى بن عمار بن مقبل كما في الفهارس المذكورة، وثَبَت بوهاها أيضاً وراجع ما تقدم في سند شيخنا كنون للصحيح ولا بد.

وعلى هذا فليس بين أبي شعيب وبين النبي ﷺ من هذه الطريق سوى

(١٧) رجلاً لأن أبا عبدالله الفرغاني معمر مات عن (١٤٠) سنة وشيخه يحيى بن عمار الختلاني مات عن (١٤٣) سنة. والفربري عن (٩٠) سنة انظر فهرست الأمير.

هذا وقد وقفت على إجازة بخط أبي شعيب أجاز بها السيد عبدالعزيز الغساسي التازي روى له البخاري بالسند السابق أصلح فيها بعض الخطأ مؤرخة في ٨ حجة سنة ١٣٥١هـ، قال عن سليم البشري عن منّة الله عن الأمير عن الصعيدي عن محمد بن عقيلة المكي عن حسن العجيمي عن أحمد العجل عن يحيى بن مكرم بن محب الدين الطبري عن محمد بن إبراهيم بن صدقة الدمشقي عن عبدالرحمٰن بن عبدالأول الفرغاني عن محمد بن نصر بن شاذبخت عن يحيى بن عمار الختلاني عن الفربري عن البخاري. فأصلح الغلط الأول والثاني والثالث وبقي عليه الرابع.

والكمال لذي الفضل والكمال.

* * *

٣ ـ انتقاده لشيخه أبي شعيب الدكالي في سنده في (صحيح مسلم):

قال الحجوي: قال لي أرويه عن:

١ ـ الشيخ أحمد الرفاعي عن:

٢ ـ منّة الله عن:

٣ ـ الأمير عن:

٤ ـ الصعيدي عن:

٥ ـ محمد بن عبدالباقي الزرقاني عن:

٦ ـ والده عن:

٧ ـ الأجهوري عن:

٨ ـ محمد بن أحمد الرملي عن:

٩ ـ الشيخ زكرياء الأنصاري عن:

١٠ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني عن.

١١ ـ التنوخي عن:

١٢ ـ ابن جماعة عن:

١٣ ـ الإمام النووي عن:

١٤ ـ إبراهيم بن أبي حفص الواسطي عن:

١٥ ـ أبي الفتح الفراوي عن:

١٦ ـ جد أبيه محمد بن المفصل الفراوي عن:

١٧ ـ عبدالغافر الفارسي عن:

١٨ ـ أحمد بن عيسى الجلودي عن:

١٩ ـ إبراهيم بن محمد بن سفيان عن:

٢٠ ـ الإمام مسلم بن الحجاج رحمهم الله.

* * *

تحقيق عن هذا السند كذلك

١ ـ ليس هو في فهرست الأمير وعندي منها نسختان فاسية وتونسية خطيتان مصححتان. لكن الأمير كان مسند وقته بمصر لم يستوعب في فهرسته كل أسانيده، فربما يكون له في غير الفهرست، والناقل أمين.

٢ ـ الذي في فهرست الشيخ عبدالقادر الفاسي من طريق ابن عساكر عن المؤيد عن الفراوي عن الفارسي عن الجلودي فأسقط محمد بن الفضل الفراوي جد أبي الفراوي بل أسقطه من طرق عديدة. وفي ثبت ابن المبارك اللمطي أورد نظم القصار لسنده ونصه:

عن الفراوي مسند الوجود ... عن عبد غفار عن الجلودي

بهذا النظم يتبين أن زيادة الشيخ لجد أبيه فيها غلط إلا أن يثبت أنه

روى عنه واسطة وبدونها ولو كان ذلك لبينته هذه الفهارس.

٣ ـ قوله في الراوي الثامن عشر أحمد بن عيسى الجلودي وقع له قلب، والصواب أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي كما في فهرست شيخنا جعفر الكتاني، وكما في فهرست الأمير من طريق أخرى، وضبط الجلودي بضم الجيم نسبة لسكة الجلوديين بنيسابور الدارسة وقيل بفتحها وكذا هو مسمى محمداً في فهرست كتاب فتح الملك الناصر في إجازات بني ناصر لمحمد بن موسى بن محمد بن ناصر الدرعي وفيها التصريح بتحديث عبدالغافر الفارسي لأبي القاسم الفراوي، وكناه أبا القاسم ولعل له كنيتين أبا الفتح وأبا القاسم كما فيها التصريح بتحديث الحافظ محمد بن عيسى الجلودي لعبدالغافر الفارسي.

٤ ـ كان ينبغي للشيخ أن ينبه على أن رواية إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري عن مسلم ليست متصلة كلها بل فاته أفوات كان لا يصرح بسماعها من مسلم.

قال ابن الصلاح: لا يدري حملها عنه إجازة أو وجادة فوت واحد من الحج، فوتان من الوصايا، ثلاثة من الإمارة وقد بيّنها في صلة الخلف وأجملها الأمير في فهرسته فانظرها.

* * *

٤ ـ اعتذار لشيخه أبي شعيب الدكالي:

يقول الحجوي: (الله يعلم أني ما كتبت هذه السطور إلا أداءً لحق الأمانة التي أخذ علينا العهد العام بحفظها كتاباً وسنّة وإجماعاً لا رخصة فيها ولا هوادة، وقد اشترطها الشيوخ علينا في كل إجازة لأن الشيخ رحمه الله كان من أخص أحبتي طالت عشرتي به، وأخوتي معه، وورث أخوته عن سيدي الوالد كان له فيه الاعتقاد المتين ولكن الله يقول: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

والشيخ جليل القدر، واسع الذكر، وكان يقصد من الجهات ويروي

حديث الأولية ويجيز مشرقاً ومغرباً لتلاميذه ولغير تلاميذه. فالقصد تنبيههم ليصلحوا ما بيدهم وليس في التنبيه أدنى تنقيص يلحق جانبه الرفيع فإنه لم يزل أعرف أهل وقته بالرجال وأشدهم اعتناء بهذا الشأن، وطالما نشر هذا الفن وله يد عظمى ومنة كبرى في نشر الحديث وفنونه وفنون أخرى، وله الحق الذي لا يغمط ومن الذي يسلم من الغلط.

إن قلبي وجميع جوارحي ممتلئة تعظيماً وإكباراً لعمله في نشر العلم، وإنه مع هذا لنادرة النوابغ حفظاً وذكاءً وفهماً وأخلاقاً وليت أرض المغرب بل أراضي الإسلام تكثر من إنبات أمثاله، ولكن واأسفاه ذهبت بخصوبتها عوامل التأخر التي أحاطت بنا من كل النواحي لا سيما من ناحية التربية والأخلاق الإسلامية التي كادت أن تفقد بيننا.

ومن أخطر الأسباب في أغلاط العلماء ثقتهم العمياء بحفظهم أو فهمهم. وغلط الفهم أصعب علاجاً وأمتن اعوجاجاً وبسببه تشعب الخلاف في الأمة وعزّ حلاً مشكلاتها من لدن الصحابة إلى الآن، ولولا هذه الثقة لخفت أغلاط كثيرة.

والشيخ رحمه الله قلَّما يأتيه الغلط من قبل الفهم غالباً لما كان عليه من الأخلاق الكريمة التي أجلها الإنصاف. فقلما راجعته فيما هو من هذه الناحية إلا وكان أسرع ما يكون للاعتراف والإنصاف لا يماري ولا يرتكب سفسطة ولا مواربة وطالما اعترف أمام الجم الغفير. وذلك الذي زاده محبة في قلبي وقلب كل منصف.

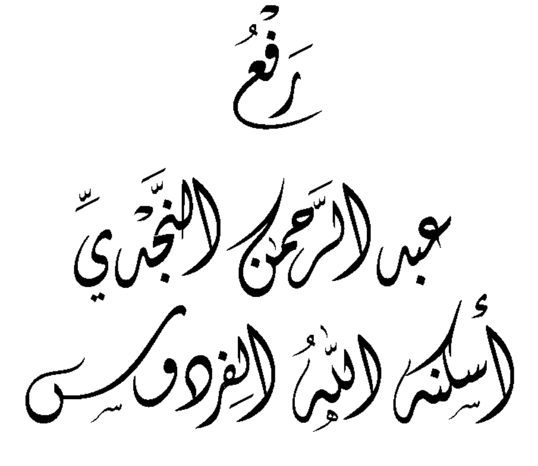
أما هذا الغلط فإنما أتاه من جهة اتكاله على حفظه وعدم مراجعة المراجع لاشتغاله بالسياسة التي ما دخلت في شيء إلا أفسدته، وهي أغلاط طفيفة ونادرة في جانب محفوظات الشيخ الجمة والله يقدسه ويلحقه بالرفيق الأعلى[١].



(١) مختصر العروة الوثقى: ٦٨ ـ ٦٩.

القسم الثاني

نص
الدفاع عن الصحيحين


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مبيضة تامة

الدفاع عن الصحيحين

دفاع عن الإسلام

لمعد ربه محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي المغربي

بسم الله الرحمن الرحيم

روينا في البخاري في كتاب الطب حدثنا ابراهيم بن موسى اخبرنا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل اليه انه كان يفعل الشيء وما يفعله حتى اذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال في أي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا فأمر بها فدفنت....

تابعه ابو أسامة وابو ضمرة وابن أبي الزناد عن هشام وقال الليث وابن عيينة عن هشام في مشط ومشاقة، ويقال المشاطة ما يخرج من الشعر اذا مشط والمشاقة من مشاقة الكتان. والحديث مكرر في البخاري مع هذا وفي بدء الخلق وكتاب الدعوات وغيرها بأسانيد كلها متصلة صحيحة ليس فيها ما يوهم الانقطاع أو الارسال وقد صرح هشام ابن عروة انه سمعه من ابيه عروة، وكذا رويناه في الامام مسلم في صحيحه من طريق

نموذج من صور المخطوط:

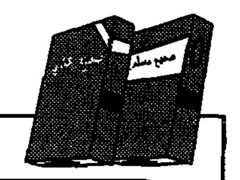
الورقة الأولى من كتاب (الدفاع عن الصحيحين) الخزانة العامة ـ الرباط ـ رقم: ١٤٣ح بخط المؤلِّف

الكتب الصحيحة ، بالشريعة عندنا هي ما استحسنه ... ما صح وتواتر نقله .

هذا ما تيسر تحريره في الدفاع عن الصحيحين وبالله التوفيق ومنه الهداية الى اقوم طريق . تم تبييضه في رمضان المعظم عام 1362 ...

[illegible]

الورقة الأخيرة من كتاب (الدفاع عن الصحيحين) الخزانة العامة ـ الرباط ـ رقم: ١٤٣ح بخط المؤلِّف.



[الحديث الأول في سحر النبي ﷺ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

روينا في البخاري في كتاب الطب، بأسانيد إليه[١] قال:

حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا عيسى بن يونس عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحرَ رسول الله ﷺ رجلٌ من بني زُرَيق يقال له لَبيدُ بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيَّلُ إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذاتَ يوم ـ أو ذات ليلة ـ وهو عندي، لكنه دعا ودعا ثمَّ قال: يا عائشة: أشَعَرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيتهُ فيه؟ أتاني رجُلان، فقعد أحدُهما عند رأسي، والآخرُ عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وَجَعُ الرَّجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طَبَّه؟ قال: لَبيد بن الأعصم، قال: في أيِّ شيء؟ قال: في مُشطٍ ومُشَاطة، وَجُفِّ طَلْع نخلةٍ ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَروانَ. فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة، كأن ماءَها نُقَاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين. قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجتَه؟ قال: قد

---

(١) تقدمت أسانيد الحجوي إلى صحيح البخاري في القسم الأول من الدراسة، فانظرها هناك.

عافاني الله، فكرهتُ أن أُثيرَ على الناس فيه شراً، فأمر بها فدُفِنَت».

تابعه أبو أسامة وأبو ضمرة وابن أبي الزناد عن هشام، وقال الليث وابن عُيينة عن هشام: «في مُشط ومُشاطة».

ويقال: المشاطة ما يخرج من الشعرِ إذا مُشط، والمشاطة من مُشاطة الكتان.

والحديث مكرر في البخاري، فهو هنا، وفي بدء الخلق وكتاب الدعوات وغيرها، بأسانيد كلها متصلة صحيحة ليس فيها ما يُوهِم انقطاعاً أو إرسالاً أو إعلالاً، وقد صرح هشام بن عروة أنه سمعه من أبيه عروة.

وكذا رويناه بأسانيدنا عن الإمام مسلم، أخرجه في صحيحه من طريق عن عائشة كلها صحيحة، ليس فيها ما يوهم غلطاً ناشئاً عن الرواية بالمعنى، ولا ما يُوهم خدشاً في الحديث. كما رواه الشيخان بطرق عن عائشة. رواه النسائي عن زيد بن أرقم بلفظ: «سحر النبي ﷺ فأتاه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، فأرسل رسول الله ﷺ عليًا فاستخرجها» الحديث. وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، فهم أربعة من أعلام الصحابة رووه مرفوعاً، ونطقوا به، ولم يثبت أن أحداً أنكر عليهم من الصحابة فكأنه إجماع سكوتي على مذهب من يراه.

واعلم أن بعض الناس نقل لنا عن الشيخ محمد عبده المصري أنه أنكر هذا الحديث عن رسول الله ﷺ. وزعم أنه من وضع الزنادقة أو المبتدعة، وزعم أنه باطل بدليل القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] وإذا كان معصوماً منهم فلا سبيل إلى أن يتسلط عليه يهودي بالسحر، والله يقول: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] وقد أفلح لَبيد في فعلته هذه على مقتضى الحديث، وقد انتقد الدارقطني وغيره أحاديث على الصحيح، ولا عصمة للبخاري ومسلم.

وأيضاً الحديث مضطرب في تسمية البير الذي دفن فيها السحر. ففي رواية: بير ذَروان. وفي رواية: أروان، وهذا من أدلة الوضع، وأيضاً ذلك يشكك الناس في الوحي فيزعمون أن إتيان جبريل إليه بالوحي قد يكون من قَبيل السحر، وذلك كله محال في حق النبوة.

والحديث الذي يؤدِّي إلى هذا ننبُذه، قال هذا الناقل: وإن العلماء نصُّوا على أن الحديث إذا عارضه القرآن فإننا نترك الحديث ونحكم بوضعه، أو وقوع غَلَط لأحد رواته، أو رُوي بالمعنى ووقع فيه تغيير فننبُذه ونرجع للقرآن: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦١] ومن جملة من أنكر الحديث ابن الجصاص[1] في أحكام القرآن.

ولا بُدَّ لنا من الجواب عن هذا المنقول عن الشيخ عبده ـ رحمه الله ـ فنقول:

ـ قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قال المَازَري[2]: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط من منصب النبوة، ويشكك فيها، قالوا: وكل ما يؤدي إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يُعدم الثقة

---

(١) هو أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص، فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألّف كتاب (أحكام القرآن) وكتاب في (أصول الفقه) توفي سنة ٣٧٠هـ.

(٢) هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازَري أبو عبدالله، الإمام الفقيه قال عنه القاضي عياض في (الغنية): (إمام بلاد إفريقية وما وراءها من المغرب، وآخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر.
درس أصول الفقه والدين، وتقدم في ذلك كله فجاء سابقاً لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض وفي وقته أفقه منه ولا أقوى لمذهبهم. وسمع الحديث وطالع معانيه واطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب والآداب وغير ذلك. فكان من رجال الكمال في العلم في وقته وإليه كان يفزع في الفتوى في الطب كما يفزع إليه في الفتوى في الفقه يحكى أن سبب قراءته الطب ونظره فيه أنه مرض فكان يطبه يهودي فقال له يوماً: يا سيدي مثلي يطب مثلكم! وأي قربة أجدها أتقرب بها في ديني مثل أن أفقدكم المسلمين، فمن حينئذ نظر في الطب.
وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه. من مؤلفاته: (المعلم بفوائد مسلم) (الفرائد في علم العقائد) (شرح التلقين للقاضي عبدالوهاب) في عشر مجلدات و(إيضاح المحصول في الأصول) وغير ذلك.
توفي سنة (٥٣٦هـ).
انظر (أزهار الرياض) ٣/٢٩، (الغنية) ١٣٢ (مقدمة تحقيق المعلم بفوائد مسلم) للشيخ محمد الشاذلي النيفر.

بما شرعوه من الشرائع، إذ يُحتمل على هذا أن يخيّل إليه أنه يرى جبريل وليس هو، ثم إنه يوحى إليه بشيء ولم يوح بشيء.

قال المازَري: هذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.

وأمّا ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها. فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالأمراض فهو غير بعيد أن يخيّل إليه في أمر من الدنيا.

وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث: أنه كان ﷺ يُخيّل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطئهن، وهذا كثيراً ما يقع للإنسان تخيُّله في المنام، فلا يبعد أن يخيّل إليه في اليقظة.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا قد ورد صريحاً في:

- (رواية ابن عيينة) عند البخاري، ولفظه: **«حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»**[1].

- (ورواية الحميدي) أنه يأتي أهله ولا يأتيهم.

قال الدَّاودي: يُرى: بضم الياء، أي يظن، وحتى من ضبطه بفتح الياء فهو من الرأي الراجع إلى الظن لا من الرؤية، وفي مرسل يحيى بن يعمر عن عائشة: سحر النبي ﷺ حتى أنكر بصره، وعنه في مرسل ابن المسيّب الذي هو صحيح عند المحدثين: «حتى كاد يُنكر بصره».

فظهر بهذا أن السحر إنما تسلّط على جسده، بصره، وظواهر جوارحه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب باب: هل يستخرج السحر؟
وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طِبٌّ ـ أو يؤخَّذ عن امرأته ـ أيحل عنه أو يُنشَّر؟
قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأمّا ما ينفع فلم ينه عنه.
صحيح البخاري شرح (فتح الباري ٢٨٦/١٠).

لا على تمييزه ومعتقده. وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله، وإنما هو من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حُجة.

قال الحافظ ابن حجر: «ويُؤيِّد ما تقدَّم في فهم الحديث أنه لم يُنقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً، فكان بخلاف ما أخبرَ به».

لقد كفانا المازَري والحافظ ابن حجر في الرد على الشيخ عبدُه، أو من نقله عنه في بعض نقط انتقاده، وكفى بهما حجة، وقد تبيّن من كلامهما أن من قال كعائشة الصدِّيقية في الصحيحين وابن عباس وزيد بن أرقم كما في النسائي وابن عباس أنه عليه السلام سحر مستنداً إلى ما يسمعه من النبي ﷺ من أن لبيد بن الأعصم سحره بالمعنى الذي بيَّنُوه صراحة في الحديث من أنه كان يُخيّل إليه أنه فعل ولم يفعل، كلُّ ذلك لا نقص يلحق جانب الوحي والنبوة منه، والقرآن صرَّح بمثله في قصة موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] وإننا لا نفرق بين أحد من رسله كما أمر القرآن. فما جاز على موسى جاز على محمد عليهما السلام إلا ما جاء به النص، ومن ذلك ما ورد في القرآن عن آدم ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [طه: ١٢٠] فقد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ اختص بأن الشيطان جاء ليقطع عليه صلاته فأمكنه الله منه فأسلم.

كما اختص عيسى بأنه لم يطعنه الشيطان فلم يصرخ عند ولادته لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] والحديث بذلك صحيح أيضاً يختص برحمته من يشاء.

ولا بد أن نكمل باقي النقط فنقول:

ـ أما قول: إن ابن الجصاص أنكر الحديث فذلك لا يؤثر في الحديث شيئاً لأن ابن الجصاص ليس من أئمة الحديث. وكتابه أحكام القرآن بين أيدينا، فما رأيناه يلتفت إلى أحاديث الصحيحين بنفي ولا إثبات كأنه لا رواية له فيهما. وكم فيه من أحاديث ضعاف. نعم، يأتي من أحاديثهما بما هو في سنن أبي داود أو بواسطة ابن قانع. هذا ما رأيته عنده، وقد طالعت

منه الكثير مدة قراءتي لتفسير القرآن وقد أكملته والحمد لله، ولو اطلع على الصحيحين وعلى الطرق المذكورة فيهما ما تجرأ على إنكار الحديث.

وهكذا الشيخ محمد عبده فإنه رجل أدب وليس رجل حديث وفقه[1] وهو رجل زعامة في السياسة، نعترف بفضله[2] على بلاده ونفعها فيما سوى

---

(١) وفي هذا المعنى يقول الشيخ العلامة المحدِّث عبدالفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ «إن الله تعالى خلق لكل فن رجالاً، وجعل لِكُلٍّ مقامٍ مقالاً، ويلزم علينا أن نُنزلهم منازلهم، ونضعهم بمراتبهم، فأجلة الفقهاء إذا كانوا عارين من تنقيد الأحاديث: لا نُسلِّم الروايات التي ذكروها من غير سند ولا مستند إلا بتحقيق المحدِّثين ونقلةُ الأحاديث إذا كانوا عارين عن الفقاهة: لا نقبَل كلامَهم في الفقه ككلام الفقهاء المعتبرين، وقِسْ على هذا صاحب كلِّ فن بكل فن...

قال الشيخ عبدالفتاح: (هذه النقول لو شدَّ طالب العلم الرَّحْلَ إليها شهراً كاملاً لكان ذلك جديراً بها، فإنها لُباب الحق، ومحضُ النُصح والصدق، فلهذا أطلت بها، فرحم الله الإمام اللكنوي وجزاه عن العلم والدين خيراً) وقال أيضاً: (وإنما يكون التعويل في كل علم على أئمته دون من سواهم؛ لأن من يكون إماماً في علم كثيراً ما يكون بمنزلة العاميّ في علم آخر) انظر: (الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة) للإمام اللكنوي، وتعليق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، ص٣٤.

(٢) أثنى العلامة محمد الحجوي ثناءً عطِراً على الشيخ محمد عبده عندما ترجم له في كتابه (الفكر السامي ٤/٢٠٠) فقال: «علامة جليل مشارك، متبحر مصلح كبير، وأستاذ شهير، حُر اللسان والضمير، مؤسس نهضة مصر العربية، وصاحب الأيادي البيضاء، وأنفع من أدركنا من علماء الإسلام للإسلام».

وهذا يدل على ما كان يتمتع به العلامة الحجوي ـ رحمه الله تعالى ـ من أدب علمي رفيع، وأخلاق عالية، وهو منهج السلف في البحث عن المسائل العلمية من التناصح بقرع الحجة بالحجة من غير إغلاظ في القول، ولا انتقاص في التعبير مع الاجتناب والبُعد التَّام عن السبِّ والشَّتْم والتَّسْفيه والتَّجهِيل والتَّفسِيق والتَّبدِيع والتَّضليل. وكان رحمه الله يتخلق بأخلاق العلماء الكبار، قال في كتابه العظيم (الفكر السامي) ج١/٤٤٧ وهو يتحدث عن حال الفقه في القرن الثاني (وكان هذا العصر زاهياً زاهراً بسادات كبار، أساطين الاجتهاد، تقدمت تراجمهم مختصرة، وكانت لهم أخلاق عالية، وكمالات نفسانية، فلم يكن خلاف بعضهم لبعض مؤدياً لتحقير أو تعصب أو تقاطع أو تدابر، بل كانوا يُثنون على المخالف بالثناء الجميل.. ويعرفون لكل عالم حقَّه ويُقرون له بالفضل، ويحترمون فكره، فلم يكن الخلاف ضارًا لهم ولا شائناً، بل كان سعياً وراء إظهار الحقيقة).

الفنين المذكورين. وتأليفه في التوحيد كرسالته فيه، وكتابه في الإسلام والنصرانية، والرد على منتقديه مُمتِع من أجمل ما يكتبه المحقِقون، وتلميذه السيد رشيد رضا رحمه الله أعرف منه بالحديث، ومع ذلك فقد كانت تخفى عنه الأحاديث المشهورة والكمال لله وحده.

ـ وأما قوله: إنه مضطرب[1]: فهو خطأ، إذ مثل هذا ليس باضطراب عند المحدثين وإنما هو تحرٌ في الرواية، ولا يقدح في الحديث بحال، والبِير تُسمى بالاسمين معاً ـ ذَروان وأروان كما في تاريخ الخميس للشيخ حسين بن محمد الديار بكري[2].

ـ وأما قول الناقل عن الشيخ عبده أن العلماء اتفقوا على أن الحديث إذا خالف القرآن يُنبذ فهذا الكلام اتفق كل من نقله على أنه مقيَّد وليس على إطلاقه فقد زادوا شرطين:

الأول: أن تكون الآية صريحة قطعية الدلالة، والحديث ليس بمتواتر بل خبر آحاد مظنون فتقدم الآية عليه لأنها قطعية من جهتين:

ـ من جهة تواترها.

ـ وجهة دلالتها القطعية.

والثاني: أن لا يمكن الجمع بين القرآن والسنّة، أما إذا أمكن الجمع بينهما، فإنه لا يحل لأحد أن يدَّعي التعارض، ويُعرض عن سُنّة

---

(١) المضطرب هو (الحديث الذي يُروَى من قبل راو واحد أو أكثر على أوجه مختلفة متساوية لا مرجح بينها ولا يمكن الجمع) ويتبين منه أنه لا بد في المضطرب مع اختلاف رواياته من شرطين:

١ ـ أن تكون متساوية في القوة لا يترجح بعضها على بعض.

٢ ـ أن تكون متعارضة لا يمكن التوفيق بينها بوجه صحيح يزيل التعارض.

(٢) حسين بن محمد بن الحسن الدياربَكْري (ت٩٦٦هـ) مؤرخ، نسبته إلى ديار بكر، ولي قضاء مكة وتوفي بها، له (تاريخ الخميس) أجمل به السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء والملوك، و(مساحة الكعبة والمسجد الحرام) (الأعلام للزركلي ٢/٢٨٠).

المصطفى ﷺ. وقد قال عليه السلام: «**مَن رَغِب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»(1) وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وكما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] وقال أيضاً: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والآية هنا ليست قطعية الدلالة كما نبيِّنه، ولا ينبغي لمسلم أن يتجرأ على البخاري ومسلم بالطعن والتكذيب في أحد أحاديثهما بحجج واهية كهذه ظهرت له قبل التثبت، إذ من المعلوم إجماع الأمة على تلقي أحاديثهما بالقبول. وقد احتاج إليهما جميع المذاهب الأربعة، وعليهما أُسست معاهد الفقه والدين، وهل نتوصل إلى سُنّة نبيّنا المبيّنة للقرآن إلا بهما وبالسنن الأربعة والموطأ ومسند أحمد وأمثالهما. والعمدة كل العمدة على الصحيحين.

وأن غاية ما استدل به هذا الناقل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦١] فظن بسبب عدم إمعانه النظر في الآية أنها تناقض الحديث وتردُّه، ولا تُسوغ لعائشة وابن عباس وزيد بن أرقم وغيرهما أن يقولوا أنه عليه السلام سُحِر وأن لبيد بن الأعصم سحره على أن الحديث مصرح بأنه من قبيل المرفوع وليس هو من قول هؤلاء الصحابة رضوان الله عنهم، على أنه لا مجال للعقل فيه فلا يحتمل أن يكون موقوفاً بل هو مصرح في الحديث برفعه.

ولو تأمل الآية وطبّق عليها قواعد الأصول والبيان التي يجب على كل متكلم على القرآن أو مستدل به أن يعرفهما ويعرف تطبيقهما ما طعن في الحديث وفي الصحابة ورجال الصحيح في الصميم. وهل يُستسقى الغمام إلا بهم في أقطار الإسلام، ويجب على من يريد أن يستدل بالقرآن أن يعرف علوم العربية ليتقن لفظه، وعلوم البيان والمنطق والوضع والأصول

---

(1) رواه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) والحديث قطعة من حديث الثلاثة الذين جاؤوا إلى زوجات النبي ﷺ يسألون عن عبادته.

ليدرك أسرارها لأن هذه علوم بقوانين علاقة ألفاظ كلام العرب وتراكيبه بالمعاني بحيث إن من لم يعرفها يقع له الخطأ في فهم معانيه، ويظن أنه فهمها وهو غالط جاهل، ولقد استدل بالآية ظاناً إنما تدل له وهي عليه، وبيانه أن الشيخ عبدُه استدل بآية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦١] على أن حديث سَحَر النبي ﷺ لَبيد بن الأعصم كذب، وأن الآية تكذبه لأن العصمة لا يعدوها السحر. ونحن بعدما دللناكم على أن هذا السحر لم يؤثر عليه ﷺ في عقله أو اعتقاده ولا في الوحي الذي أتى به. والمصرح به في الحديث أن النبي ﷺ تخيّل أنه أتى أهله ولم يأتهم، والسحر قلب الأعيان فهو إنما أثّر على عينيه بهذا الخيال. ووقع مثل ذلك لموسى، قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] فما خُيِّل للنبي ﷺ خُيِّل مثله لموسى، فما جاز منه على أحدهما جاز على الآخر وحيث صرّح القرآن بضمن الحديث ذهب الريب.

ثم نُجيب عن الآية بأجوبة:

الأول: تحتاج إلى بيان، والمجمل لا يستقيم الاستدلال به إلا بعد البيان، وما لا يحتاج إلى بيان وهو الحديث هنا لا يُقدم عليه ما يحتاج إليه، وبيان الإجمال أن أهل التفسير كالمتفقين على أنه لا يتضح معناها ويزول إشكالها إلا بتقدير مضاف بين الجار والمجرور، أعني من الناس، وهذا الذي يسميه البيانيون والأصوليون دلالة اقتضاء نحو ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهلها، وذلك لأنه لا يعقل أن يعصمه من أشخاص الناس وهو قد أُرسل إليهم كافة ليزجرهم عن دينهم الباطل إلى ما جاء به من التوحيد الحق، ومجاهدتهم به جهاداً كبيراً. وإنما العصمة من بعض أفعالهم القبيحة ضداً.

ثم اختلف المفسرون في تقدير هذا المضاف، فقال الزمخشري[1]: يعصمك من قتل الناس، وعلى هذا فقد سقط الاستدلال بها لأن لَبيد بن الأعصم لم يقتله بسحره فقد عصمه الله منه.

---

(١) انظر: (الكشاف للزمخشري).

وقال الإمام أبو زيد الثعالبي في جواهره[1]: «عصمه من أذى الناس، وقد قال الثعالبي نفسه: وعليه فلا بد من تخصيص الآية لما ثبت أنهم شتموه وآذوه، وشجُّوا وجهه وأسالوا دمه وضربوه بالسهام، وكسروا رباعيته، فليكن سحر لبيد من ذلك.

وعلى هذا فيكون المرجح تقدير القتل خاصة، وقد عصمه الله أن يقتلوه بسيوفهم سواء غيلة أو في الحرب، فعلى تقدير القتل فلا معارضة ولا مخالفة بين الآية والحديث بحال والاحتياج إلى التخصيص.

وعلى تقدير الأذى فالسحر مستثنى من الآية كغيره من أنواع الأذى التي ثبت وصولها إليه عليه السلام ومنها السُّم أيضاً، جمعاً بين الأدلة، فالآية وإن كانت قطعية المتن لتواترها فليست قطعية الدلالة لإجمالها. فهي راجحة متناً، والحديث راجح دلالة، والله يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، ولذا قال العلماء: القرآن أحوج إلى السُّنة منها إلى القرآن، فالأحاديث الثابتة بالأذى تعيّن أحد أمرين:

- إما أن تقدر القتل الخاص فلا استثناء ولا تخصيص.

- وإما أن تقدر الأذى، فيجب تخصيصها بكل حديث صحّ لدينا بإثبات الأذى. والقرآن يُحتِّم علينا أحد الأمرين لقوله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، فالقرآن نفسه أثبت الأذى وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] فكما لا يجوز لنا أن نقول أن هذه الآيات مكذوبات، كذلك لا

---

(١) هو أبو زيد عبدالرحمٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري الهاشمي الزينبي الجزائري الإمام العلم الزاهد القدوة الكامل، صاحب (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) و(روضة الأنوار في الفقه) قدر المدونة جمع فيها لباب نحو ستين ديواناً من دواوين المالكية المعتمدة من حصل عليه حصل على خزانة مالكية فقهية. و(شرح ابن الحاجب) الفرعي في سفرين، مع جامع كبير ختمه في جزء، و(جامع الأمهات في أحكام العبادات) وغيرها تآليف كثيرة، توفي بالجزائر سنة ٨٧٥هـ عن نحو (٩٠) سنة (الضوء اللامع ٤/١٥٢) (نيل الابتهاج ١٧٣) (الفكر السامي ٢/٢٦٠).

سبيل لنا أن نكذب الأحاديث التي صحّت بأنواع الأذى وعينتها فيه أيضاً مستندة للقرآن فلم يبقَ في الآية ما يدل على العموم النص الصريح.

الجواب الثاني: أن لفظ الناس دلالته على العموم ظنية فقط لتخلفها في آيات كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

اتفقوا أن الناس الأول: نعيم بن مسعود، أو ركب عبدالقيس، وأن الناس الثاني: هم خصوص كفار مكة لا جميع الناس في جميع أقطار الأرض، ولو أننا حملنا الناس على جميع الناس لكان أول الآية يدفع آخرها، فلو كان جميع الناس قالوا هذا القول، فمن هُم المقول لهم، فبتأويلها على بعض الناس متعيّن، لذلك اتفقوا أنها من العام الذي أريد به الخصوص، كذلك: آية العسل ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] المراد بها: بعض الناس؛ لأننا وجدنا من الناس من لا يشفيه العسل، وعليه فالآيات الثلاث تجري على نسق واحد؛ لأن لفظ الناس ليس هو من صِيغ العموم الصريحة، ولا فيها سور من أسوار الكلية فقضاياه مهمة في قوة جزئية كما يقول علماء المنطق، فأفادت آية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] عصمته من بعض الناس فقط.

وعليه فالجمع بين الآية والحديث، بل الأحاديث ظاهر لمن ذاق شيئاً من قواعد العلوم الموصلة لفهم كلام الله، وكلام رسوله عليه السلام.

الجواب الثالث: إن الآية لو سلمنا عمومها الصريح، ولم يدعه أحد حسما أعلم. فكل حديث صحيح يخصصها، فلا مخالفة أصلاً، ومعلوم من الأصول أن دلالة العام الصريح فضلاً عن الظاهر على بعض أفراده ضعيفة، لا تصلح للبرهان لأنها ظنيّة، وإذا كانت دلالة الآية على عصمته من سحر لبيد ابن الأعصم، ومن سم اليهودية ظنيّة، لو قيل بعمومها الصريح ساوت الحديث لأنه وإن نزل عنها بعدم تواتره فقد فاقها بصراحة لفظه لأن قضيته شخصية وأن الذي سحره عليه السلام هو لبيد بن الأعصم، فليس هناك احتمال ولا ما يمنع تخصيص العام به. ثم لا تصح العصمة من جميع الأذى لأي أحد من الخلق لأن ذلك لم يرضه الحق لنفسه فلذلك يقول:

- ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤] وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ومن هذا الأذى سحر لبيد بن الأعصم بالمعنى الذي صرح به في الحديث السابق، لا بما يفهمه الملحدة، فهم فسروا الحديث مما أوقعهم في تكذيبه:

ألقاهُ في اليَّم مكتُوباً وقال له إيَّاك إيَّاك أن تَبْتَلَّ بالمَاءِ

ساء سمعاً، فساء إجابةً.

* * *

[الحديث الثاني]

ومنه سم اليهودية له ﷺ المخرَّج في الصحيحين أيضاً[1] فكل ذلك ليس معصوماً منه، والسنّة دلت على وقوعه. والقرآن كذلك في قصة موسى

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الهبة، باب: قبول الهدية من المشركين. عن أنس بن مالك (أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فقيل: ألا نقتُلها؟ قال: لا، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ. فتح الباري ٢٨٣/٥ وأخرجه في كتاب المغازي باب الشاة التي سُمَّت للنبي ﷺ بخيبر ٦٢٢/٧ وأخرجه في كتاب الجزية والموادعة باب: هل يُعفى عن الذمّي إذا سَحر؟ ٣٣٢/٦ وأخرجه في كتاب الطب مطولاً باب: ما يذكر في سمّ النبي ﷺ ٣٠١/١٠ وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه.

وقد ذكر ابن إسحاق اسم من سمّته فقال: (لما اطمأن النبي ﷺ بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، شاة مشوية، وكانت سألت أي عضو من الشاة أحب إليه؟ قيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته، فذكر القصة وأنه صفح عنها، وأن بشر بن البراء مات منها).

وآدم، كما أشرنا إليه، ولا نقص يلحقهم بتمكن أعدائهم من أذاهم، ولعل ما أظهره الملحدة من التأفف والتأسف على حديثي السِّحر والسُّم. ليس بمراد صحَّ وإنما يريدون تشكيكنا في سُنَّة نبيِّنا، وهدم أساس ديننا، وسُحقاً لهم سُحقاً.

هذا ولا بد لنا من بيان العصمة في الآية فنقول: إن العصمة مترددة بين معناها في اللغة: مطلق الحفظ، ومعناها الشرعي عند علماء التوحيد: وهو حفظ خاص ـ أعني حفظه من إتيان معصية الله تعالى سواء كانت كبيرة أو صغيرة على ما هو المذهب المنصور عند الأشاعرة، وهذه واجب اعتقادها في حق الأنبياء جميعاً، وما يُوهم خلاف ذلك كقصتي داوود[١] وسليمان[٢] وغيرهما، فإن أهل العلم أوّلوا القرآن، ونزّهوا جانب النبوة عن

---

(١) يقول العلامة عبدالله بن الصديق الغماري في كتابه (بدع التفاسير) ص١٠٩ في قصة داود عليه السلام: ومن بدع التفاسير ما ذكره كثير من المفسرين أنه نظر من طاق في بيته، فرأى امرأة عارية تغتسل فأعجبته، فسأل عنها، فقيل له: إنها امرأة شخص يقال له: أوريا، فبعثه إلى حرب، وأمر أن يحمل التابوت، وكان حامل التابوت لا يحل له أن يرجع حتى ينتصر الجيش أو يقتل هو، فانتصر الجيش وعاد أوريا، فبعثه مرة ثانية وثالثة، فقُتل، فتزوج امرأته، وكان له تسع وتسعون امرأة، وقيل: بل كانت خطيبة أوريا، فبعث داود يخطبها ولم يعلم بخطبتها فآثره أهلها على خطيبها الأول، فزوجوها له، وهي أم سليمان، فبعث الله إليه ملكين في صورة رجلين يختصمان في نعاج، كنيا بها عن الزوجات، فلما قضى، صعدا إلى السماء وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه، فأدرك خطأه وتاب. وهذه القصة مأخوذة عن الإسرائيليات وفيها مساس بمقام النبوة، وخدش للعصمة الواجبة للأنبياء.

(٢) وقال أيضاً في كتابه (بدع التفاسير) ص١١١: (ومن بدع التفاسير: ما ذكره كثير من المفسرين أيضاً أن سليمان تزوج امرأة أحبها، وكانت تعبد الصنم في بيته بغير علمه، وكان ملكه في خاتمه، فنزعه عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة فجاءها جني في صورته، وأخذه منها، وقعد على كرسيه وعكفت عليه الطير وغيرها، وجاء سليمان في غير هيئته، وقال: أنا سليمان فأنكره الناس ثم توصل إلى الخاتم ـ لعله وجده في بطن سمكة ـ فرجع إليه ملكه.

وهذه القصة رواها النسائي في التفسير من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهذا إسناد قوي كما قال الحافظ، لكن ابن عباس تلقاها عن كعب، فهي من الإسرائيليات وبطلانها يظهر بوجوه: =

كل ما لا يليق بها. إذ لا يعقل أن يرسل الله نبيًّا ينهانا عن المحرمات ثم يرتكبها، وذلك مُنفِّر منه مناف للتبليغ والإرشاد، ومن هنا وجب أن لا يُصابوا بمرض يُنفِّر أيضاً. أمَّا ما لا عريب فيه، ولا نقص كالعوارض التي تعتري غيرهم من البشر، فالواجب ترك القرآن على ظاهره فيها ولا موجب للتأويل؛ لأن القرآن والسنّة لا يجوز لأحد أن يتلاعب فيهما بالتأويل إلا بدليل صحيح، فضلاً عن الطَّعن والتزييف والتكذيب للصحابة رضوان الله عنهم، وكل فكر أدَّى إلى ذلك فهو فكر هدَّام لا فكر منشىء. وإذا ساء ظن المسلمين بالصحابة ورجال البخاري ومسلم وأئمة الدين نقلة الشرع المُطهَّر، واتهموهم وكذبوا الكتب الصحيحة التي وقع الإجماع على قبولها وهي الحجة التي بين أيدينا وأيدي المسلمين في عموم الأرض، أو دخلهم التشكيك فيها صارت ديانتنا إلى ما صارت إليه ديانة اليهود والنصارى المطعون في كتبهم، وصرنا نطعن ديننا بيدنا، وليس لذلك من فائدة سوى شفاء صدورهم، وصاروا يقولون لنا نحن وإياكم في الهوى سَوَا. وكان هذا العمل عبارة عن هدم الدين لا أقل ولا أكثر.

وقد نصّ علماؤنا قاطبة على أن تأويل الحديث أو الآية لا يجوز للمجتهد الذي هو أهل للاجتهاد إلا بدليل فضلاً عن الجرأة على التكذيب. ففي جمع الجوامع: التأويل حمل اللفظ على المحتمل المرجوح، فإن كان لدليل صحيح فصحيح أو لما يظن دليلاً ففاسد أولاً فلعب لا تأويل وحسبنا الله ونعم الوكيل.

= **أحدها**: أن الجني لا يسمى جسداً؛ لأنه كان حياً، والجسد الذي يلقى لا يكون إلا ميتاً.

ثانيها: أن الجني لا يمكن أن يتصور في صورة نبي، ولا يقدر على ذلك، لما يترتب عليه من المفاسد.

ثالثها: لو جاز للجني أن يأتي امرأة سليمان في صورته، ويأخذ منها خاتم ملكه، لجاز أن يزني بها وبغيرها من نسائه، وذلك يبطله العقل والنقل أيضاً.

رابعها: أن الخاتم لو سُلِّم أنه خاتم الملك يذهب بذهابه، فلا يجوز أن يكون خاتم هيئته أيضاً، بحيث حين ذهب منه أنكره الناس، وحين رجع إليه عرفوه.

خامسها: أن هذه القصة ـ مع كونها كذباً غير محبوك ـ خالية من العبرة، والله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وأما العصمة المذكورة في هذه الآية فهي عصمة خاصة اختص الله بها بعض النبيئين دون بعض وهي العصمة من الأذى إلا ما استثنى، أو القتل الخاص المُهين، أو المتأصل، أو المانع من إبلاغ الدعوة، وإتمام الرسالة بدليل سابق الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. ودليل خصوصيتها به عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقد قتلوا يحيى بن زكرياء عليهما السلام وغيره.

وقد قال تعالى في اليهود: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾ [البقرة: ٦١] فقوله جلّ وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، هو من معنى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ولنا في الآية **جواب رابع**: قاطع للنزاع ولم يبق به إيراد على الحديث فنقول: إن آية: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧] هي في سورة المائدة وهي آخر ما نزل من السور، كما قالت عائشة، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: إنها وسورة الفتح آخر سورة نزلت، وصحّح حديثهما الحاكم(١) وقال القرطبي هي مدنية بإجماع(٢) وقضية سحر لَبيد كانت قبلها سنة، وقضية السُم كانت في وقعة خيبر سنة سبع أيضاً. وإذا كانت الآية متأخرة عن الحديثين نزولاً، فلا إيراد لأن قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧] بالفعل المضارع للزمن الحالي أو الاستقبالي. فالحق سبحانه إنما جعل هذه العصمة لنبيه في حجة

---

(١) فأما حديث عائشة فأخرجه أحمد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه، عن جبير بن نفير، قال: حججت فدخلت على عائشة فقالت: يا جبير تقرأ المائدة، فقلت: نعم، فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه. وأما حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، فأخرجه أحمد والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عبدالله بن عمرو قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح. وأخرج أحمد وغيره من حديث أسماء بنت يزيد بنت عيسى عن عمها، وأخرجه أبو عبيد عن محمد بن كعب القرظي نحوه، وزاد إنها نزلت في حجة الوداع بين مكة والمدينة (المؤلف).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٦/٢٤٢.

الوداع أو ما بعدها، والسحر والسُم كانا معاً قبل ذلك سنة سبع، فالبناء الإيهامي قد انهدم من أساسه وبالله التوفيق.

قال في المواهب: أخرج ابن سعد عن عمر بن الحكم مرسلاً أنه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة، ودخل المحرم سنة سبع ففيها سَحره لَبيد بن الأعصم، وفيها سمَّته اليهودية في الشاة. وعلى كل حال إن سورة المائدة نزلت عام حجة الوداع آخر حياته ﷺ قبل موته بنحو شهرين، والسِّحر والسُم كانا سنة سبع قبل الوفاة بثلاث سنين، فلم يبق أدنى إشكال ولا شبهة لمن ينكر حديثهما المتفق على صحتهما، والله أعلم وأحكم.

والتناقض لا بد فيه من ثمان وحدات: أحدهما وحدة الزمان، والزمان هنا مختلف، فلا يعقل التناقض بحال وبالله التسديد.

فلهذا قال العلماء يمنع أن يتكلم المفسر في القرآن أو يستدل إلا إذا عرف أسباب النزول وزمنه ومكانه وإلا أخطأ، على كل حال نحن نُنزِّه نبيّنا عليه السلام عن أن يلحق نفسه الكريمة النقص بأن يصل قلبه أو عقله، أو الوحي الذي جاء على لسانه شيء مهما يقوله الملاحدة، وذلك قولهم بأفواههم، وما جاءنا إلا على أفواههم، وما قال لك السوء سوى من أسمعك، وليس شيء منه في الصحيحين، أو غيرهما من كتب الحديث المعتمدة فانتقاد محمد عبده على أحاديث ليست في الصحيحين، ثم الذين انتقدوا على الصحيحين كالدارقطني لم يجرؤوا أن يقولوا في حديث واحد أنه موضوع أو لم يقله النبي ﷺ، أو قالوا في راو واحد من رواتهما وضّاع أو كذّاب، أو أنه من أهل الإلحاد الذين أسلموا كرهاً وصاروا يكيدون للإسلام بالزيادة في السُنة كما قال هذا الزاعم ناقلاً له عن الشيخ عبده المصري، فهذه مقالة مخترعة لم يجسر أحد أن يطعن بها في الصحيحين، بل ولا سمعنا أحداً تجاسر وقال ذلك.

وأما احتجاج هذا الطاعن لعمله بأن الدارقطني وغيره انتقد على الصحيحين فجوابه: أن الدارقطني وأضرابه ينتقدون انتقادات فنيّة حديثية

راجعة إلى تراجم الرجال، كالطعن في بعضهم بضعف الحفظ، أو قلة الضبط، أو في السند بما يُعبَّر عنه بالعنعنة إذا كانت من مدلِّس أو نحو ذلك، مما لا يتعدى تضعيف الحديث الذي انتقدوه. على أن أكثر ما انتقده الدارقطني مردود عليه[1].

---

(١) وقد ردّ الحافظ ابن حجر على حافظ عصره أبي الحسن الدارقطني وغيره من النقاد في انتقادهم لبعض رجال صحيح البخاري، فقال رحمه الله تعالى في الفصل الثامن من مقدمة فتح الباري: ٥٠٥.

«وقبل الخوض فيه ينبغي لكل منصف أن يعلم أن هذه الأحاديث وإن كان أكثرها لا يقدح في أصل موضع الكتاب فإن جميعها وارد من جهة أخرى وهي ما ادعاه الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغيره من الإجماع على تلقي هذا الكتاب بالقبول والتسليم لصحة جميع ما فيه فإن هذه المواضع متنازع في صحتها فلم يحصل لها من التلقي ما حصل لمعظم الكتاب وقد تعرض لذلك ابن الصلاح في قوله: إلا مواضع يسيرة انتقدها عليه الدارقطني وغيره وقال في مقدمة شرح مسلم له: ما أخذ عليهما يعني على البخاري ومسلم وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرناه لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول انتهى وهو احتراز حسن، واختلف كلام الشيخ محيي الدين في هذه المواضع فقال في مقدمة شرح مسلم ما نصه: فصل قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلاَّ فيها بشرطهما ونزلت عن درجة ما التزماه وقد ألّف الدارقطني في ذلك ولأبي مسعود الدمشقي أيضاً عليهما استدراك ولأبي علي الغساني في جزء العلل من التقييد استدراك عليهما وقد أجيب عن ذلك أو أكثره اهـ. وقال في مقدمة شرح البخاري: فصل قد استدرك الدارقطني على البخاري ومسلم أحاديث فطعن في بعضها وذلك الطعن مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جداً مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول وغيرهم فلا تغتر بذلك اهـ كلامه، وسيظهر من سياقها والبحث فيها على التفصيل أنها ليست كلها كذلك، وقوله في شرح مسلم: وقد أجيب عن ذلك أو أكثره هو الصواب فإن منها ما الجواب عنه غير منتهض كما سيأتي ولو لم يكن في ذلك إلا الأحاديث المعلقة التي لم تتصل في كتاب البخاري من وجه آخر ولا سيما إن كان في بعض الرجال الذين أبرزهم فيه من فيه مقال كما تقدم تفصيله، فقد قال ابن الصلاح إن حديث بهز بن حكيم المذكور وأمثاله ليس من شرطه قطعاً وكذا ما في مسلم من ذلك إلا أن الجواب عما يتعلق بالمعلق سهل لأن موضوع الكتابين إنما هو للمسندات والمعلق ليس بمسند ولهذا لم يتعرض الدارقطني فيما تتبعه على الصحيحين إلى الأحاديث المعلقة، التي لم توصل في موضع آخر لعلمه بأنها ليست من موضوع الكتاب وإنما ذكرت استئناساً واستشهاداً والله أعلم، وقد ذكرنا الأسباب الحاملة للمصنف على تخريج ذلك التعليق وأن مراده بذلك أن يكون الكتاب جامعاً لأكثر=

....

= الأحاديث التي يحتج بها إلا أن منها ما هو على شرطه فساقه سياق أصل الكتاب، ومنها ما هو على غير شرطه فغاير السياق في إيراده ليمتاز فانتفى إيراد المعلقات، وبقي الكلام فيما علل من الأحاديث المسندات، وعدة ما اجتمع لنا من ذلك مما في كتاب البخاري وإن شاركه مسلم في بعضه مائة وعشرة أحاديث منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثً ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثاً، والجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول لا ريب في تقديم البخاري ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلل فإنهم لا يختلفون في أن علي بن المديني كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخاري ذلك حتى كان يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني ومع ذلك فكان علي بن المديني إذا بلغه ذلك عن البخاري يقول دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه وكان محمد بن يحيى الذهلي أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهري وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعاً وروى الفربري عن البخاري قال: ما أدخلت في الصحيح حديثاً إلا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته، وقال مكي بن عبدالله سمعت مسلم بن الحجاج يقول: عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علة تركته فإذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضاً لتصحيحهما ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة وأما من حيث التفصيل فالأحاديث التي انتقدت عليهما تنقسم أقساماً:

القسم الأول منها: ما تختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الإسناد فإن أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطني فيما سنحكيه عنه في الحديث الخامس والأربعين لأن الراوي إن كان سمعه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمعه بواسطة عن شيخه ثم لقيه فسمعه منه وإن كان لم يسمعه في الطريق الناقصة فهو منقطع والمنقطع من قسم الضعيف والضعيف لا يعل الصحيح وستأتي أمثلة ذلك في الحديث الثاني والثامن وغيرهما.
وإن أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف فينظر إن كان ذلك الراوي صحابياً أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه إدراكاً بيناً أو صرح بالسماع إن كن مدلساً من طريق أخرى فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك وإن لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهراً فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه إنما أخرج مثل ذلك في باب ما له متابع وعاضد أو ما حفته قرينة في الجملة تقويه ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع كما سنوضح ذلك في الكلام على الحديث الرابع والعشرين من هذه الأحاديث وغيره=

= وربما علل بعض النقاد أحاديث ادعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة كما في الأحاديث المروية بالمكاتبة والإجازة وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالإجازة، بل في تخرج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالإجازة عنده وقد أشرنا إلى ذلك في الحديث السادس والثلاثين وغيره.

القسم الثاني منها: ما تختلف الرواة فيه بتغيير رجال بعض الإسناد فالجواب عنه إن أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوي على الوجهين جميعاً فأخرجهما المصنف ولم يقتصر على أحدهما حيث يكون المختلفون في ذلك متعادلين في الحفظ والعدد كما في الحديث الثامن والأربعين وغيره وإن امتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين في الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير إليها كما في الحديث السابع عشر فالتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف غير قادح إذ لا يلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف فينبغي الإعراض أيضاً عما هذا سبيله والله أعلم.

القسم الثالث منها: ما تفرد بعض الرواة بزيادة فيه دون من هو أكثر عدداً أو أضبط ممن لم يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل به إلا إن كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع أما إن كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا اللهم إلا إن وضح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة في المتن من كلام بعض رواته فما كان من هذا القسم فهو مؤثر كما في الحديث الرابع والثلاثين.

القسم الرابع منها: ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف من الرواة وليس في هذا الصحيح من هذا القبيل غير حديثين وهما السابع والثلاثون والثالث والأربعون كما سيأتي الكلام عليهما وتبيين أن كلاً منهما قد توبع.

القسم الخامس منها: ما حكم فيه بالوهم على بعض رجاله فمنه ما يؤثر ذلك الوهم قدحاً ومنه ما لا يؤثر كما سيأتي تفصيله.

القسم السادس منها: ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن فهذا أكثره لا يترتب عليه قدح لإمكان الجمع في المختلف من ذلك أو الترجيح على أن الدارقطني وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء ذلك من الكتابين كما تعرضوا لذلك في الإسناد فما لم يتعرضوا له من ذلك حديث جابر في قصة الجمل وحديثه في وفاء دين أبيه وحديث رافع بن خديج في المخابرة وحديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين، وحديث سهل بن سعد في قصة الواهبة نفسها وحديث أنس في افتتاح القراءة بالحمد لله رب العالمين وحديث ابن عباس في قصة السائلة عن نذر أمها وأختها وغير ذلك مما سنأتي إن شاء الله تعالى على بيانه عند شرحه في أماكنه فهذه جملة أقسام ما انتقده الأئمة على الصحيح، وقد حررتها وحققتها وقسمتها وفصلتها لا يظهر منها ما يؤثر في أصل موضوع الكتاب بحمد الله إلا النادر.

ولذلك وقع الإجماع على قبول ما في الصحيحين، وإذا قيل في حديث إنه مخرَّج في الصحيحين طأطأ الناس رؤوسهم إجلالاً، وانقطع نزاعهم اعترافاً بالحق، ولم يبق تردد في الصحة، ولم نقف على أحد منهم تجرأ وقال في حديث الصحيحين أنه مكذوب ولم يفعله النبي ﷺ، بل صرّح الحافظ ابن حجر أنه لا يوجد في الموطأ ولا في الكتب الستة ـ باستثناء سنن ابن ماجه، ولا في مسند الإمام أحمد على كبره ما يحكم عليه بأنه موضوع، وأن غاية ما فيها الضعيف الذي ليس بشديد الضعف، وقد وجد الحفاظ للأكثر تلك الأحاديث المنتقدة، مُتابعات، وشواهد، جبرت ضعفها فصارت صحيحة لغيرها.

فليس لنا أن نسكت حين نسمع في مجلس مولانا أيَّده الله أن الحديث في صحيحي البخاري ومسلم، يقال فيه مكذوب، وأن الملاحدة وضعوه، وأهل الأهواء والبدع صنعوه. ويقول هذا جهراً مشافهاً به أمير المؤمنين، ويكذب ويطعن في رجال الصحيح، وعموم الأمة يستسقي بهم الغمام، فهذان حديثان في الصحيحين طُعن فيهما هذه السنة.

* * *

[الحديث الثالث]

طعن في السنة الماضية في حديث مسلم: «**لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش. من طريق جابر بن سَمُرة قال: انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعي أبي، فسمعته يقول: «**لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة**» فقال: كلمةً ضمَّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال «**كلُّهم من قريش**» حديث رقم **١٨٢١ ج٣/١٤٥٣**.

يقول القاضي عياض في شرحه لهذا الحديث في كتابه (إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم) **٦/٢١٦ ـ ٢١٧** «أعلم ـ عليه السلام ـ بعزة الدين والأمر حتى يلي اثنا عشر خليفة، وأن الدين لا يزال قائماً حتى تقوم الساعة، ويلي هذا العدد المذكور، فأما بقاء الدين إلى قيام الساعة فثابت صحيح من حديث آخر، أيضاً، وقد تقدم الكلام عليه وعلى ما=

فقال: إنه وضع المبتدعة لأنه دليل للاثني عشرية والحديث قطعاً دليل عليهم لا لهم؛ لأن الخلفاء الذين بقي الدين عزيزاً في مدتهم أولهم أبو بكر الصديق ثم بقية الخلفاء الأربعة، ثم من بعدهم إلى هشام بن عبدالملك، أما الخلفاء على مذهب الاثني عشرية فهم غيرهم، لا يدخلون معاوية ولا من

= تظهر مخالفته له، مما جاء: «**لا تقوم الساعة حتى لا يبقى من يقول: الله، الله**» وأن هذا حال من تقوم عليه الساعة عند قيامها، وقبض أرواح المؤمنين، وهذه الأحاديث الأخر بتمادي الإسلام إلى ذلك الحين.

وأما تخصيصه بالاثني عشر خليفة، فقد يُوجبه عليه سؤالان، لأن:

أحدهما: أن قوله: «**الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً**» يعارض ظاهره، وقوله: «**اثنا عشر خليفة**» إذ لم يكن في الثلاثين إلا الخلفاء الأربعة، والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي؟

والجواب عن هذا: أنه أراد هنا خلافة النبوة، وكذا جاء مفسراً في بعض الروايات: «**خلافة النبوة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً**» ولم يشترط في الآخر خلافة النبوة، وبيّنه قوله: «**ثم تكون ملكاً**».

والسؤال الثاني: أنه قد ولي أكثر من هذا العدد؟.

وهذا اعتراض غير لازم فإنه ﷺ لم يقل: (لا يلي إلا اثنا عشر خليفة) وإنما قال: «**يلي اثنا عشر خليفة**» فقد ولي هذا العدد، وكان ما أعلم به النبي ﷺ، ثم ولي غيرهم، هذا إن جعل اللفظ واقعاً على كل وال، وقد يحتمل أن يكون المراد به: مستحقي الخلافة من أئمة العدل، وقد مضى منهم من علم، ولا بد من تمام العدد قبل قيام الساعة إن كان هذا مُراد النبي ﷺ. وقيل: إنهم يكونون في زمن واحد يفترق الناس عليهم، ولا يبعد أن هذا قد كان إذا تتبعت التواريخ، فقد كان بالأندلس منهم وحدها في عصر واحد بعد أربعمائة وثلاثين سنة: ثلاثة، كلهم يدّعيها ويلقب بها، ومعهم صاحب مصر كذلك، وخليفة الجماعة العباسي ببغداد إلى من كان يدعي ذلك في ذلك الوقت أيضاً في أقطار الأرض من بلاد البرابر وخُراسان من العلوية والخوارج وغيرهم، ويعضد هذا التأويل قوله في كتاب مسلم بعد هذا: «**ستكون خلفاء فتكثر**» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**فوا ببيعة الأول فالأول**» وقد يحتمل أن المراد بذلك إعزاز الخليفة وإمارة الإسلام، واستقامة أمرها، والاجتماع على من تقدم لها. كما جاء في كتاب أبي داود: «**كلهم تجتمع عليهم الأمة**» وهذا قول قد وجد فيمن اجتمع عليه إلى أن اضطرب أمر بني أمية واختلفوا وتقاتلوا زمن يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد، واتصلت فتونهم، وخرج عليهم بنو العباس فاستأصلوا أمرهم، وهذا العدد موجود صحيح إلى حين خلافتهم إذ اعتبر وقد يحتمل وجوهاً أخر، الله أعلم بمراد نبيه ﷺ فيها.

بعده فهم مغيّبون لا يعترف بهم جمهور الأمة، ولا انعقدت لهم بيعة شرعية، ولا ظهر على يدهم اعتزاز الدين. وقد أثبت التاريخ تفرُّق وحدة الإسلام وظهور الثوار من لدن آخر أيام هشام المذكور، فالحديث من الأخبار بالمغيبات الصادقة، معجزة من معجزاته عليه السلام، فطعنه فيه، سببه عدم فهمه له، ولم يطعن فيه أحد فيما نعلم من قبل، ثم لو فرضنا تمسك بعض المبتدعة، فذلك غير قادح فيه، فقد تمسك بالقرآن كل مبتدع.

* * *

[الحديث الرابع]

طعن في حديث مخرمة بن نوفل(١) في صحيح البخاري: أن النبي ﷺ

---

(١) وَهِمَ العلامة محمد بن الحسن الحجوي في نسبة هذا الحديث إلى مخرمة بن نوفل، والصواب: أن الحديث ورد من طريق ولده المِسور بن مخرمة، فمخرمة بن نوفل ليس له رواية في الكتب الستة.

وهو مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب أبو المسور، الصحابي من الطلقاء، وكان كبير بني زهرة، كساه النبي ﷺ حُلَّة فاخرة، باعها بأربعين أوقية، وكان والده نوفل ابن عم آمنة بنت وهب بن عبدمناف الزهرية والدة النبي ﷺ، فلهذا أكرمه النبي ﷺ وبشَّ به، وخلع عليه حُلة مثمنة. مات سنة ٥٤هـ وله (١١٥) عاماً. ترجمته في: (الاستيعاب: ٣/١٣٨) و(الإصابة ٣/٣٩٠) وغير ذلك من المصادر.

أما ولده المسور بن مخرمة ـ صاحب الحديث ـ فهو يُعد من عداد صغار الصحابة، كالنعمان بن بشير وابن الزبير، حدّث عنه: علي بن الحسين، وعروة، وسليمان بن يسار وغيرهم. وأخرج حديثه الجماعة. وكان ممن يلزم عمر، ويحفظ عنه، وقد انحاز إلى مكة مع ابن الزبير، وسخط إمرة يزيد وقد أصابه حجر منجنيق في الحصار.

عن عروة عن المسور أخبره أنه قدم على معاوية، فقال: يا مسور! ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا، وأحسن فيما جئنا له. قال: لتكلمني بذات نفسك بما تعيب عليّ؟ قال: فلم أترك شيئاً إلا بينته، فقال: لا أبرأ من الذنب فهل تعدُّ لنا مما نلي من الإصلاح في أمر العامة أم تعدُّ الذنوب وتترك الإحسان؟ قلت: نعم، قال: فإنا نعترف لله بكل ذنب، فهل لك ذنوب في خاصتك تخشاها؟ قال: نعم، قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقَّ مني، فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولا أخيَّر بين الله وبين غيره، إلا اخترت الله على سواه، وإني لعلى دين يُقبل=

خطب الناس، فقال: «**والله لا تجتمع بنت نبيِّ الله وبنت عدو الله**»[1] فصرح بأن [مخرمة] كذب هذه الخطبة على النبي ﷺ، وأنه ﷺ ما قالها، وشنَّع عليه، وزعم أن [مخرمة][2] تقرب بها لمعاوية ضد علي، والحال أن [مخرمة] من حزب معاوية ضد علي، وأن [مخرمة] جعل هذه الخطبة ليختلس سيف رسول الله ﷺ، كان عند علي بن الحسين وخادعه على أخذه منه ليبيعه لمعاوية، مع أن الذي في الإصابة وغيرها أن [مخرمة] كان في حزب علي، وكان يستطيل على معاوية بلسانه حتى كان يتأفف ويقول: من يكفيني لسانه، وهبه من حزب معاوية فهل كل من كان من حزبه تسقط عدالتُه، ويكون كذاباً، كلاً ثم كلاً، فإن جماهير المسلمين يقبلون أحاديث معاوية نفسه وكل من كان من حزبه، إذ الحق سبحانه وصف الصحابة في

= فيه العمل ويجزى فيه بالحسنات. قال: فعرفت أنه قد خصمني، وقال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلّى عليه. توفي سنة ٦٤هـ. انظر (الاستيعاب ١٣٩٩/٣) (أسد الغابة ١٧٥/٥) (الإصابة ٤١٩/٣) (تاريخ ابن عساكر ٢٥١/١٦).

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب ما ذكر من دِرع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته. حديث رقم (٣١١٠) ونص الحديث: ذكر البخاري بسنده إلى ابن شهاب: أن علي بن حسين حدّثه، أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية، مقتل حُسين بن علي رحمة الله عليه، لقيه المسور بن مخرمة فقال له: هل لك إلي من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا، فقال له: فهل أنت مُعطي سيف رسول الله ﷺ فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتنيه لا يُخلَص إليهم أبداً، حتى تُبلَغ نفسي، إن علي بن أبي طالب خطب ابنةَ أبي جهل على فاطمة عليها السلام، فسمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك على مِنبره هذا، وأنا يومئذ محتلم، فقال: «**إن فاطمة مني، وأنا أتخوف أن تُفتن في دينها**». ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه، قال: «**حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي، وإني لستُ أحرّم حلاك، ولا أُحِل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت** رسول الله ﷺ **وبنت عدو الله أبداً**».

وأخرجه أيضاً في كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: ذكر أصهار النبي ﷺ.

وأخرجه مسلم في: فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ.

(٢) بين المعقوفين تدل على أن المقصود المسور بن مخرمة، كما نبهنا إلى ذلك.

القرآن بالصدق، وعدلهم في آيات في القرآن العظيم[1].

أما انتقاده بل تكذيبه [لمخرمة] وحلفه على أنه كذب الخطبة على نبي الله ﷺ، وأنه يريد اختلاس السيف، فكان بمجلس سيدنا السلطان نصره الله في قراءة البخاري، فما أدري بأي آية قرآنية أو حجة عقلية قطعية يستدل على تكذيب الحديثين، أما كون الحديث دليلاً لحزب من الناس، فذلك لا يوجب الطعن فيه ولا يسيغه.

ويبلغنا عن هذا الشيخ أنه انتقد غير هذه الأحاديث في دروسه بالرباط ومراكش، فمنها وهو:

* * *

[الحديث الخامس]

إن ملك الموت جاء موسى ليقبض روحه فصَكَّهُ، فرجع إلى الله سبحانه، وقال: يا رب، إنك أرسلتني إلى رجل لا يريد الموت، فقال له الحق سبحانه: ارجع إليه، فقل له: فليجعل يده على جلد ثور فكل شعرة بسنة.

وقد حلف على هذا الحديث بالطلاق الثلاث أن النبي ﷺ لم يقله، وأنه مكذوب عليه، مع أنه لا حجة بل لا شبهة تُسيغ له ذلك، وكان ذلك بمحضر جماعة بمكناس.

ولما سمع ذلك قاضي مكناس سيدي محمد بن أحمد العلوي، ألّف فيه كتاباً طبعه بالرباط[2]، يرد عليه فيما بلغني عنه. فلا قرآن ولا عقل يسيغ الطعن في هذا الحديث.

لو فرضنا أن له مطالبة والقصاص لا بد فيه من المطالبة وعدم العفو، وهذا ملك الموت مع نبي الله، فما وجب الدخول بينهما، والقيام بحق

---

(١) منها: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

(٢) ولقد حصلت على نسخة نادرة من هذا الكتاب احتفظت به الخزانة الصبيحية بمدينة سلا. ونشرتُه مع كتاب الدفاع عن الصحيحين، وذلك لأهميته ونفاسته في هذا الموضوع. مع ترجمة موسعة للقاضي محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي رحمه الله تعالى.

النيابة العامة وطلب القصاص، وكان على المبتدع أن يثبت لنا وجوب القصاص بين نبي ومَلَك، وقياس الملك على الآدمي فاسد؛ لأن الملك له قدرة التشكل وفقؤ العين لا يضره ولا يؤلمه، ومن أين للمبتدع أنه لم يقع عفو وحاصله أن المبتدع نصب نفسه قاضياً حاكماً بين نبي وملك أو جعل نفسه مستأنفاً على الحديث، وكان ذلك من ألاعيب الصبيان.

نعم، نسب في فتح الباري لبعض المبتدعة الطعن في الحديث، فجاء في بعض طرقه أن موسى فقأ عين ملك الموت[1] ولم ينص في الحديث على القصاص، وهذا النقد لا ينبغي أن يصدر من مبتدعة المدارس حتى يثبت نصاً صريحاً أنه لم يقع قصاص، والحديث في بعض طرقه: أن الله ردّ على ملك الموت عينه، وحيث رجعت له عينه لم تبقَ له مطالبة بالقصاص.

* * *

[الحديث السادس]

حديث نزول عيسى حكماً عدلاً آخر الزمان[2].

---

(١) يقول العلامة المحدّث أبو الخطاب بن دِحية (ت٦٦٣هـ) في كتابه (الابتهاج في أحاديث المعراج): ٩٦ في تأويل هذا الحديث ما نصه:
(وقد تكلم العلماء في تأويل هذا الحديث، في صَكِّ موسى لملك الموت ولطمه إياه.
قالوا: لطمه بالحجة، وفقأ عين حجته، وهو كلام مستعمل في اللغة معروف.
وقال لي جماعة من علماء شيوخي رحمهم الله: إن هذا الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتَّعدي؛ لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة آدمي، ولم يعلم إذ ذاك أنه ملك الموت، فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تُصُوِّر له فيها الملك، امتحاناً من الله تعالى، فلما جاءه بعد وأعلمه أنه رسول رب العالمين استسلم للموت الذي هو سبيل الأولين والآخرين.
وقد ذكرنا عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر صلّى الله عليهم أجمعين في كتاب (دليل المتحيِّرين).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، وذكر حديثين:
١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده**،=

وقد أنكره بمراكش، وانتقده انتقاداً بلغ حد التكذيب، وما أدري أي آية في القرآن ترده أو تكذبه.

* * *

[الحديث السابع]

حديث الشفاعة(1).

والله يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقول: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

= **ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»** ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩].

٢ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف إذا أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»**.

وأخرجهما مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ج١/١٣٥.

(1) لقد بلغت الآثار التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها.

وهؤلاء المنكرون للسنة الذين قالوا بتلك الشبهات إنما ينحون منحى الخوارج وبعض المعتزلة الذين تعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار واحتجاجهم بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨] وبمثل قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] وهذه الآيات إنما هي في الكفار.

كما أنهم تأولوا أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات وهذا باطل والأحاديث صريحة في بطلان مذهبهم.

وقد ثبتت شفاعة الرسول ﷺ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»** والحديث أخرجه مسلم في صحيحه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»** أخرجه مسلم أيضاً.

وانظر كتاب (دفاع عن الحديث النبوي) ص١٥٦ للدكتور أحمد عمر هاشم.

فالاستثناء في الآيتين مؤيد للحديث فلا إشكال.

وكلا هذين الحديثين، قال أهل الحديث بتواترهما، فقد كذب ما هو قطعي متواتر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

فيا أهل العلم الصحيح، هذا ما حملني على كتب هذه الأوراق، والله يعلم، أن ليس القصد منها إلا سد هذه الذريعة على المسلمين، فإنها تثير فتنة على الأمة في دينها، وتضعف كفتها في ملتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله. نسأل الله لنا وله الهداية والتوفيق.

وليضف هذا إلى ما صرح به في السنة الماضية من إباحة السفور وأن انتقاب المرأة بدعة، وأن السنة هي كشف الحجاب سواء خشيت الفتنة أم لا؟ وأن عائشة كان الأجانب يرون وجهها دون ستر ويجالسونها ويواكلونها بمحضر النبي ﷺ مستدلاً بحديث مسلم أن جاراً لرسول الله ﷺ فارسياً، كان طيّب المَرَق فصنع لرسول الله ﷺ، ثم جاء يدعوه فقال: وهذه، لعائشة، فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: لا، فعاد يدعوه ثانياً وهو يقول، لا، والنبي ﷺ يقول: لا، وفي الثالثة، قال: نعم، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله.

فقلت: لهذا الزاعم لا دليل لك في الحديث لأنه كان قبل نزول الحجاب بدليل قوله ﷺ: «**وهذه لعائشة**» ولا يتم الاستدلال لك بالحديث إلا إذا أثبت ثلاثة مطالب:

- أولها هذا.

- والثاني: إثبات أن ليست عائشة محرماً للفارسي بنسب ولا رضاع.

- الثالث: أنها جلست هي والنبي ﷺ والفارسي دون حجاب على مائدة واحدة، ومقام جلال النبوة يمنع ذلك، إذ لا مانع أن يكون النبي ﷺ خص هو وهي بمائدة وحدهما، أو تكون هي واكَلَت مَحرمه والنبي ﷺ أكل وحده أو مع الفارسي فقط.

ولا سبيل لك لإثبات واحد من الثلاثة وحتى لو أثبت الثلاثة لكان

القرآن يوجب تأويل الحديث لأن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الآية.

فالوجه إذا خيفت عليه الفتنة وهو أعظم زينة للمرأة فيمنع عليها إبداؤه بطريق المنطوق أو المفهوم.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ فإذا كانت لا تحتجب وتظهر للرجال فأي معنى بقي للآية، ونصوص الشرع طافحة بذلك كتاباً وسنة، فأبى إلا أن السفور هو السنة، وأن منع النساء من مخالطة الرجال ومواكلتهم بدعة لا دليل عليها، ولما لَجَّ في عناده أشار أمير المؤمنين لبقية أهل المجلس بالكلام، فقام من لم تأخذه حمية الحزبية أو الملَق. وقالوا: بصوت واحد اللهم إن هذا منكر، يعنون السفور، ومن ذلك اليوم أوحى شياطين الإنس إلى إخوانهم ممن يرى إباحة السفور، ولو مع خوف الفتنة إلى الأخذ بما قاله هذا الرجل، وسموه فتوى كفتوى عمرو بن لحي[1] وأعلنوا السفور في شهر جمادى **١٣٦٢**هـ. وعليه من ذلك ما حُمِّل، فكانت هذه أول سنة السفور بالمغرب.

فها أنت ترى الرجل الذي حكم بوضع حديثين في الصحيحين هذه السنة لأجل آية ليست صريحة ولا ظاهرة في مناقضة الحديثين، يقول بتقديم حديث واحد على آيات الحجاب الصريحة، وأحاديثه الكثيرة الصحيحة، فالشريعة عنده هي ما استحسنه فكره لا ما صح وتواتر نقله.

هذا ما تيسَّر تحريره في الدفاع عن الصحيحين، وبالله التوفيق وهو الهادي إلى أقوم طريق.

تَمَّ تَقيِيدُه في رمضان المعظم عام **١٣٦٢**هـ.



(١) عمرو بن لُحيّ رجل من أهل الجاهلية، كان أول من غيَّر شريعة إبراهيم وإسماعيل فسيبت السوائب، وغيّر التلبية، وأعلى عبادة الأصنام من حولها (المؤلف).

توضيح طرق الرشاد
لحسم مادة الإلحاد

في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام
للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد

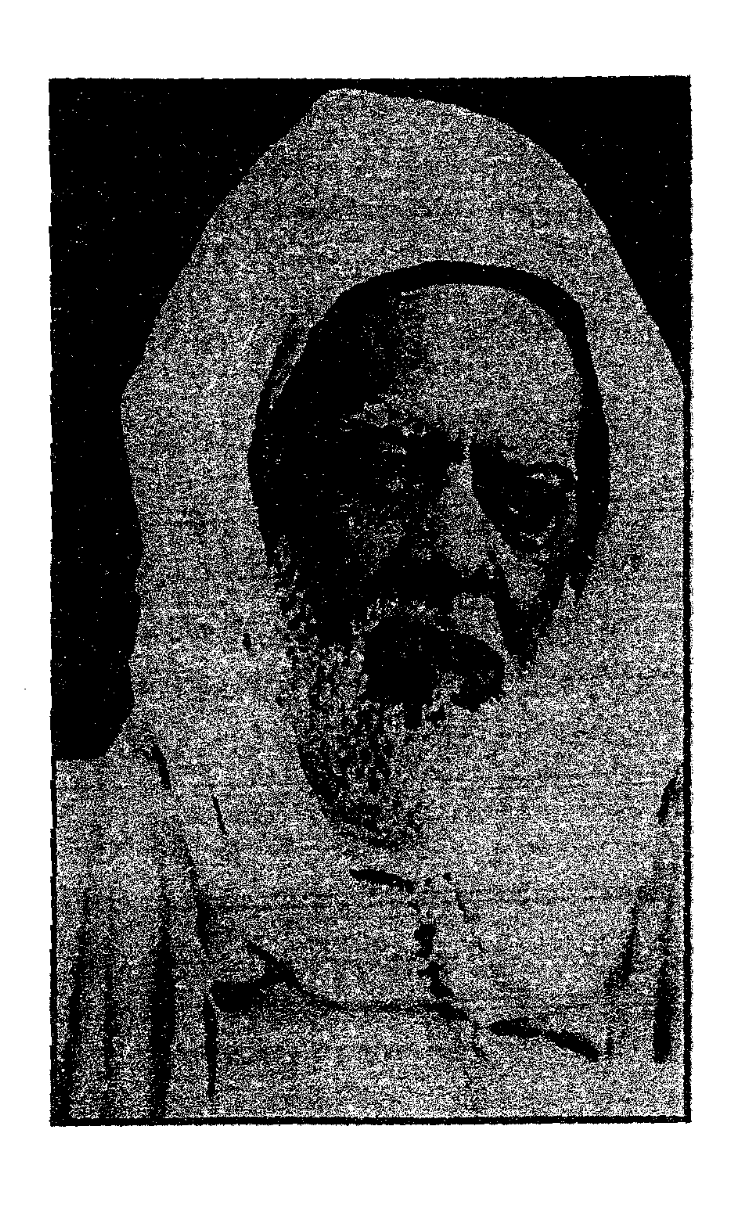
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد

في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد

لخاتمة المحققين الفقيه العلامة المحدث
القاضي محمد بن أحمد العَلَوي الإسماعيلي
(١٢٨٨ ـ ١٣٦٧هـ)



صورة العلامة محمد بن أحمد العَلَوي الإسماعيلي

ولا شك أن تكذيب الصحابي أو بعض الرواة الثقات عنه وخصوصاً في الصحيحين هو عين الفتح لباب متسعة لهدم أسس الدين، ولإبطال نصوص أحاديث الشريعة المحمولة على كاهل أحفظ الصحابة أبي هريرة، ولإبطال خاصية الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول في التعويل عليها في شرائع دينها . .

توضيح طرق الرشاد: ص٢٢٢

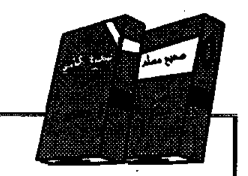
يَجِبُ أن تُرفَع يَدُ الكُفر عن الإسلام والمسلمين؛ لأن الرضا بالكفر كُفر

من كلام: القاضي محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس



ترجمة المؤلف

نسبه:

يتصل نسبه بالسلطان المولى إسماعيل ووسائطه إلى هذا العمود سبعة: فهو: محمد بن أحمد بن إدريس بن الشريف بن المهدي بن أحمد بن المهدي بن المهدي - مرتين - بن أمير المؤمنين المولى إسماعيل.

ولادته ونشأته:

ولد بمدينة زرهون في فاتح صفر الخير عام ١٢٨٨هـ موافق ١٨٧١م وتوفي والده وهو لا زال رضيعاً فكفله جده للأب مولاي إدريس.

وفي سن مبكر دخل إلى الكتّاب، وبعد أن حفظ القرآن الكريم غادر الكُتّاب وألهمه الله تعالى ملازمة الطهارة والصلاة مع الجماعة بالضريح الإدريسي.

طلبه للعلم ورحلته للعاصمة العلمية:

لما رأى صنو جده وأحد شيوخه مولاي الحسن بن الشريف حُسن حاله أمره بحضور مجالس العلم وحفظ المتون.

وفي هذا الصدد يحدثنا المترجم له في ترجمته عن سبب تعاطيه للعلم فيقول: (ولما رأى ذلك مني - حسن الحال - صنو الجد المتقدم دعاني ذات يوم إثر الفراغ من الصلاة بالحرم الإدريسي وقال لي: «لزوم الحال الحسن

هو هذا وكماله هو أن تشفعه بطلب العلم الشريف، فاتَّخِذ لوحاً وأتِنِي به، أكتُبُ لَكَ فيه بعض الجرومية والمُرشِد».

فوقعت إشارته هذه مني الموقع الحسن، وكأنها قَدَحَتْ منِّي ناراً كامنة، فذهبت فأتيته بلوح ودواة، فكتب لي فيه أوائل الجرومية والمرشد، ثم أمرني بحضور مجلس درسه. فحضرت درسه في الجرومية، فوجدته يقرر في أوائلها حقائق الاسم والفعل والحرف، فوعيت كل ما قرره في ذلك المجلس، وحملني ذلك على العودة إليه، وقوي عزمي على التجرد لطلب العلم، ووقع في نفسي أثر لا أبلغ ما قصدته من ذلك إلا بالرحلة لطلبه بفاس، فلم يزل ذلك ينمو في خاطري ويقوى، وفي ذلك الوقت بالذات هيأ الله لي رفيقاً ساعدني على ما أنا مقبل عليه، بعدما طلبت منه أن يرافقني، وكان أقوى مني حالاً في مباشرة الأسباب، وكنا لا نروم شيئاً منها إلا هيأه الله سبحانه، وقد حبَّب الله إلي في تلك الوجهة ملازمة الكراس والدرس، ومذاكرة من أستعين به من المتصفين بآداب طلب العلم، فكان ذلك كله ألذ عندي من كل شغوف به، بحيث كنت أستطيل أوقات ملابسة الأمور البشرية: من تناول طعام ونحوه، هذا مع الانقباض عن كل مخالطة لأستعين بها على ما أنا بصدده، ومع ملازمة الصمت، وعدم الخروج عن السمت حتى أن بعض الناس استفهم الرفيق المتقدم قائلاً: «هل يكلمك فلان حينما تكون في بيت المدرسة».

إنهاء دراسته والرجوع إلى مسقط رأسه:

ويستمر في عرض هذه الحالة فيقول:

(ثم لما قرأت ما قُدِّر لي هناك، وأحسست من نفسي فتوراً في الجسد من مزيد الطلب، مع شدة إلحاح الجَدَّة عليَّ في التزوج، أجبتها حينئذ إلى ما طلبت، فكان تزوجي واستقراري بالزاوية الإدريسية آخر عام ١٣١١هـ.

وكانت بلدنا إذ ذاك عامرة بمشايخها الثلاثة:

١ ـ حامل راية دروسها صنو الجد المتقدم العلامة مولاي الحسن بن الشريف.

٢ ـ خطيبها وإمامها وقدوتها مولاي الفضيل بن الخطيب العلامة مولاي الفاطمي الشبيهي.

٣ ـ مفتيها المشاور سيدي محمد بن عبدالواحد النسب.

فكانت البلاد غنية بهؤلاء المشايخ الثلاثة يستغني بهم أهلها فيما يهمهم في دينهم ودنياهم، بحيث لا يروج لغيرهم فيها أمر إلا من طريقهم، وعلى حسب التبعية لهم، ومَن أراد أن تروج بضاعته من غير طريقهم يكون مستهجناً مرفوضاً.

فلما رأيت ذلك أغلقت عليَّ بابي ولزمت مطالعة كتبي، وصرت لا أخرج إلا إلى صلاة الجمعة ونحوها من المهمات.

انتقال صنو جده لمدينة مكناس:

ثم يقول: «وبقيت على ذلك مدة إلى أن وقع الله تعالى في قلب صنو الجد المذكور الانتقال إلى سكنى مكناسة الزيتون، فكرهت ذلك منه لأني كنت أستأنس بالاجتماع به عندما يضيق خاطري مع ما كان عليه من عظيم المحبة لي» وكان انتقاله لمدينة مكناس فاتح عام **١٣١٦**هـ.

تعاطيه للفتوى:

لقد ذكر المترجم له في ترجمته أن سبب تعاطيه الفتوى هو أن بعض أعيان الشرفاء الأدارسة كان نازعه قريب ابن أخ له فيما يرجع للميراث وكانا معاً جارين لي فترافعا لمجالس الأحكام الشرعية وكانت الدعوى اشتملت على فصلين أنكر العم المذكور ابن أخيه المذكور فيهما.

فطلب ابن الأخ التأجيل لإثبات أحدهما وتعجيل يمين العم في الآخر لعجزه عن الإثبات فيه، فحكم عليه القاضي باليمين حيناً، فطلب الإمهال ليأتي بمدفع، فأجله لذلك، فذهب إلى الشيخ الخطيب المتقدم ليفتيه في ذلك، وكان صديقاً له، فوجده مريضاً شغله ما حلّ به عن غيره، فانصرف

عنه إلى الشيخ المشاور السابق، فحجبه لأمر اقتضاء عنده، فانسدت عليه بذلك الأبواب، وبقي في ضيق وحيرة فاضطره ذلك إلى طرق بابي واستفتائه لي فيما نزل به، فأجبته في الحين بأنه ليس لخصمه عليه إلا أن يحلف على الأمرين ويبرأ من الدعوى كلها أو يؤخر اليمين حتى يثبت الفصل الآخر أو يعجز عنه فيحلف يميناً واحدة على الفصلين، فلما سمع هذا مني كاد أن يطير فرحاً فطلبني في كتبه، فكتبت له نصوص أهل العلم بذلك، فذهب به إلى القاضي فأعذر فيه إلى الخصم فلم يجد فيه مدفعاً، فاضطره الحال أيضاً إلى أن جاءني راغباً في التوسط بينهما في فصل القضية، فذهبت وجمعت بينهما وأحضرا عدلين، وفصلت القضية على وجه جميل للجانبين، فنقل وقوع ذلك الفصل على يدي إلى الشيخين المذكورين وراج أمره في الناس، فكان ذلك مفتاح طروق المستفتين لبابي وتواردهم إلى رحابي، وصار الشيخان المذكوران يدلان في بعض الأحيان من يستفتيهما علي، فهذا أصل ما أقمت فيه من الإفتاء.

رحلاته بالمغرب:

رحل إلى زيارة القطب عبدالسلام بن مشيش وزار أثناء تلك الرحلة وزان وشفشاون وتطوان وطنجة والقصر الكبير، ورحل أيضاً إلى زيارة الشيخ العربي الدرقاوي بقبيلة بني زروال، ودخل غيرها من بلاد القبائل هناك، كقبيلة اغزاوة وبني ممتاوة وبني يحمد، كما شدّ الرحلة لزيارة الشيخ أبي يعزى، وزار الحوز والشاوية، وبني مسكين والرحامنة وتادلة، وكثرت زيارته لمدينة مكناس واستقراره بها، ومما قاله في هذا الصدد: «ولقيت بهذه الوجهات أفاضل من علماء وصالحين وأخيار، وفاوضناهم، وأخذنا عن بعضهم أذكاراً ودعوات، وانتفعنا بحالهم ومقالهم فيما تزكو به الديانات».

رحلته إلى الحجاز:

في سنة ١٣٦٦هـ توجه للبقاع المقدسة لأداء فريضة الحج بعدما عيّنه المغفور له محمد الخامس على رأس وفد الحج الرسمي.

وقد مثّل المغرب أحسن تمثيل، وكان يسهر على مصالح الحجاج المغاربة، ويلقنهم مناسكهم، وينبههم إلى الآداب التي ينبغي أن يسلكوها منذ مغادرتهم لبلادهم إلى حين عودتهم إليها.

شيوخه:

شيوخه الذين أخذ عنهم بمدينة زرهون، هم:

أولاً: مولاي الفضيل بن الفاطمي الإدريسي الشبيهي (ت١٣١٨هـ)

يقول عنه المترجم له: «كان معتنياً بالكتابة والتقييد والحديث وشروحه، ذاكراً للمسائل، له تعليق على صحيح البخاري سماه (الفجر الساطع) يقع في أربعة أجزاء بخطه وهو نفيس لا يستغنى عنه، وكان متين الدين صدراً في المجالس مهاباً في الأعين مرموقاً بالإجلال من العامة والخاصة موصوفاً بالسمت الحسن، والهدي المستحسن، حضرت دروسه في صحيح البخاري».

ثانياً: محمد بن عبدالواحد الإدريسي الشبيهي (ت١٣٢٤هـ):

يقول عنه المترجم له أيضاً: «كان فاضلاً عِلماً وعقلاً وسياسة وكرامة وجاهاً، محباً لأهل الخير، رؤوفاً بالضعفاء، حلو المحادثة جميل البشر، مع علو قدر وكمال تؤدة، وحسن سمت، حضرت دروسه في الصحيح، وجالسته وفاوضته كثيراً، إذ كانت بيني وبينه رابطة وداد، له تقاييد وفتاوى، وكان يكتب حاشية على البخاري فمات قبل كمالها».

ثالثاً: الحسن بن الشريف العلوي الإسماعيلي (ت١٣٣٠هـ):

وهو صنو جده، ومحل والده المتقدم الذكر.

يقول عنه أيضاً: «كان مُدرساً نفّاعاً علامة نزيهاً، صوفياً صالحاً، منور السريرة والبصيرة، حضرت دروسه في العربية وفاوضته كثيراً. وكان بمنزلة الوالد مودة وبروراً.

الشيوخ الذين أخذ عنهم بالعاصمة العلمية فاس:

ذكر المترجم له منهم عشرة شيوخ، وفيما يلي نص ما كتبه عن كل واحد منهم:

١ ـ محمد بن التهامي الوزاني (ت١٣١١هـ)

يقول عنه: (ومنهم من شيوخ الحضرة الفاسية عمدتنا الذي فتحت به أقفال قلوبنا، العلامة المشارك، الحجة الناسك، ذو الهدى الأرشد، والسمو الأرفع أبو عبدالله سيدي محمد بن التهامي الوزاني. كان هذا الهمّام حامل راية الدروس والإفادة، كامل المعارف مستحضراً للتالد منها والطارف، طالما اهتزت الدروس لتحبيره، وانفتحت القلوب لتقريره، مع جلالة ومهابة، وجِدّ وصيانة وإنابة، لا تكاد تراه إلا مدرّساً أو تالياً، أو منتصباً بين يدي مولاه مصلياً، كم بثّ في صدور الرجال من المعارف، فانتصبوا في أرجاء الأقطار المغربية كعبة الإفادة للطالب روَّح الله روحه وأسكنه من أعلا الجنان بحبوحة، انتقل إلى كرامة الله، ليلة الاثنين ثاني عشر شعبان عام أحد عشر وثلاثة وألف (١٣١١هـ) وكانت له جنازة مشهودة لم ترَ عيني مثلها بالحضرة الفاسية لازمت دروسه في النحو والتصريف والفقه والفرائض والكلام والمنطق والحديث.

٢ ـ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلوي (ت١٣١٥هـ)

قال فيه: شيخنا العلامة عميد عصره، وقدوة قطره.. استخدم بالحضرة الفاسية، فحضرت دروسه في مختصر خليل، كان هذا السيد فصيح اللسان، كامل البيان، له صرامة وحزم، وتآليفه شاهدة له بالتقدم والبراعة، وتمام المشاركة وقوة البضاعة.

٣ ـ أبو محمد عبد المالك بن محمد العلوي الضرير (ت١٣١٨هـ)

الشريف العلامة البركة القدوة.. وكان هذا السيِّد منور الشيبة والوجه، جليل القدر، رفيع الذكر، مشاراً إليه بالمعرفة والصلاح، وكم له من تضرعات وأحزاب وأشعار ربانية، يستنجد بها من أناب، وقد سمعته يحدث

عن رؤيته النبي ﷺ، وهو صادق في ذلك، حضرت دروسه في الفقه، وسمعت منه ختمة على المختصر.

٤ ـ أبو العباس أحمد بن الطالب بن سودة المري (ت١٣٢١هـ)

قاضي الحضرة المكناسية شيخنا العلامة المشارك الحجة.. كان تام المعرفة، واسع الاطلاع، كثير الاعتناء بالكتابة والتقييد، بارع القلم، صدراً في المجالس الحديثية السلطانية إلى دماثة أخلاق، وطيب أعراق، وبذل وإحسان، وتودد لأهل الخصوصية من أبناء الإنسان. حضرت دروسه الحديثية.

٥ ـ أبو محمد جعفر الكتاني (ت١٣٢٣هـ)

الشريف العلامة البركة القدوة.. كان هذا السيد من السمو والجلالة بالمكان الأرفع، له قلم بارع في التصنيف والإفتاء، وله مصنفات مفيدة في موضوعات عديدة شتى قد نبّه على أسمائها في فهرسته، حضرت دروسه في الحديث والفقه والكلام والوعظ.

٦ ـ أبو عبدالله محمد بن قاسم القادري (ت١٣٣١هـ)

العلامة الفاضل البركة المحقق.. كان هذا السيد حلو الشمائل، طيب المفاكهة، آية في سرعة الإدراك، وتلخيص التقرير، يقرب العويص إلى الأفهام بأسهل طريق وأقصرها، وينهض بهمم الطالبين إلى سلوك منهاج التحقيق والتمكين، له تآليف مبسوطة معروفة، لازمت دروسه في الفقه والأصلين، وجالسته وفاوضته كثيراً، وأخرجت له بعض حاشيته على الشيخ الطيّب من المبيضة، وكان رحمه الله يحبني ويجلني.

٧ ـ التهامي بن المدني كنون (ت١٣٣١هـ)

العلامة الفاضل النزيه.. حضرت دروسه في الفقه والحديث، وكانت مجالسه كثيرة الإفادات والإنشادات، وكان من أهل الديانة والصيانة، والسمت الحسن، والهدى المستحسن، والبُعد من المناصب والولاية.

٨ ـ **أبو محمد عبدالسلام بن محمد الهواري**

العلامة القاضي.. حضرت دروسه في العربية وأصول الدين، وكانت لمجالس درسه حلاوة وطلاوة، لما فيها من حسن الإلقاء، وسلامة التقرير، ووضوح التعبير، فكانت بذلك كنوز نفع للطالبين، وموائد إكرام للمستفيدين، وله تصانيف ملخصة حسنة.

٩ ـ **أبو محمد عبدالهادي الصقلي**

الشريف العلامة، قاضي الحضرة الفاسية.. كان هذا السيد في مجد شامخ، وسؤدد باذخ، رفيع القدر، عالي الذكر، عظيم التؤدة، ظاهر الجلالة والمهابة، حافظاً لافظاً فصيح اللسان، حلو التقرير والبيان، حضرت دروسه في الحديث والسيرة.

١٠ ـ **أبو عبدالله محمد كنون**

العلامة الحافظ.. كان هذا الشيخ كامل الحفظ، بارع التقرير، ولمجالسه طلاوة ورونق، وله تقاييد في الفقه وأصول الدين، وسمعت عليه ختمة على المختصر.

الشيوخ الذين روى عنهم وأجازوه:

١ ـ **الشيخ جعفر الكتاني:**

المتقدم الذكر، سمع منه خاتمة الصحيح والشفا للقاضي عياض مرتين، وأجازه بجميع ما اشتملت عليه فهرسته وأهدى له نسخة منها وكتب له في آخرها ما يلي:

نص الإجازة:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمَن جلّ قدره عن أن يفي به المدح، والحمد وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد خير من أجاز الوفد، وعلى آله وأصحابه المتواتر ما لهم من الشرف والمجد، صلاةً وسلاماً لا ينتهيان بغاية أو حد.

أما بعد:

فقد أجزت بهذه الفهرسة إجازة خاصة، سيدنا الشريف الجليل الفقيه النبيل، الماجد الفاضل، أبا عبدالله سيدي محمد بن مولاي أحمد العلَوِي، حفظه الله ونفع به، إسعافاً له فيما طلب، ورجاء دعوة صالحة منه، يعود على النفع بها في المنقلب، رزقنا الله وإياه الإخلاص وجعلنا من عبيد الاختصاص، وأنعم علينا بالمشاهدة الدائمة، ومَنَّ علينا بحسن الخاتمة. آمين.

متم جمادى الأولى عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة وألف (١٣٢٣).

عُبيد ربه جعفر بن إدريس الكتاني لطف الله به ومنحه دار التهاني.

* * *

٢ ـ الشيخ عبد الكبير الكتاني:
أجازه خصوصاً وعموماً.

نص الإجازة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا مَن يجيز مَن استجاره سُبل الرشاد، ونصلي ونسلِّم على نبيك محمد السيِّد السند العلَم المفرد، وعلى آله ذوي الجاه العظيم الذي لا يدرك برسم ولا حد، وعلى صحابته البالغين في تبليغ سنته منتهى الجهد.

أما بعد: فقد استجازني الشريف الجليل الحائز كمال الإجلال، وموجب التبجيل الأمثل الفاضل العالم الكامل الصموت اللوذعي الحي السميدعي، الناسك أبو عبدالله سيدي محمد بن أحمد العلوي الزرهوني، فبعدما علمت أنه لا يمكنني إلا إسعافه وإجابته وما سعدته، قلت: أجزتك أيها السيِّد الشريف الجليل المنيف بكل ما تجوز لي روايته، كما أجازني بذلك جماعة من العلماء الأعيان. فمن أهالي فاس والدي الإمام محمد بن عبدالواحد، ومن مصر الشيخ إبراهيم السقا خطيب جامع الأزهر، والعلامة الشيخ محمد عليش، ومن مكة جماعة، ومن المدينة الشيخ عبدالغني الهندي وتلميذه الشيخ علي بن ظاهر وغيرهم من لي منه مجرد السماع، فسندهم مسندي وبأسانيدهم إلى كتب العلم أهتدي.

وأجزته خاصة بالأسانيد التي بمحمول هذه الورقة ثم إني أطلب من فضله الجزيل، وخلقه الجميل أن لا يقطع عني دعاء الخير الذي هو بكل مرام كفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل.

عُبيد ربه وأمير ذنبه، أفقر الفقراء وأحقر كل ما يرى عبدالكبير بن محمد الكتاني الحسني.

وفي أواسط ربيع الثاني عام عشرين بعد ثلاثمئة وألف (١٣٢٠هـ).

نص ما بِمحمُول الورقة:

أما بعد: حمداً لله سبحانه وشكره بما هو أهله، فإني أروي صحيح إمام المحدثين أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري عن الشيخ الجامع بين العلمين أبي محمد عبدالغني بن أبي سعيد الدهلوي ثم المدني الحنفي النقشبندي سماعاً عليه لأوله بالمدينة المنورة، وإجازة لجميعه، وكل مروي له عن شيخه الإمام محمد عابد السندي الأنصاري المدني عن شيخه صالح بن محمد الفلاني عن محمد بن سنة الأزهري عن أحمد بن موسى بن عجل عن قطب الدين النهروالي عن نور الدين محمد بن عبدالله الطاوسي عن المعمر بابا يوسف الهروي عن محمد بن شاذ بخت الفارسي الفرغاني عن أحمد الأبدال بسمرقند عن يحيى بن عمار الختلاني عن أبي عبدالله محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن الإمام البخاري.

وأروي الوطأ لإمام الأئمة مالك بن أنس بهذا السند إلى ابن عمار الختلاني عن أبي إسحاق بن عبدالصمد الهاشمي، عن أبي مصعب الزهري، عن الإمام مالك.

وأروي شفاء القاضي عياض عن والدي أبي الإجلال سيدي محمد بن عبدالواحد المدعو: الكبير، عن محمد بن عبدالسلام الناصري، عن مولاي إدريس العراقي، عن محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالقادر الفاسي، عن جده عمٍّ أبيه العارف عن أخيه أبي المحاسن، عن أبي العباس المنجور، عن الونشريسي عن ابن غازي عن سيدي علي منون المكناسي عن الجادري عن ابن الأحمر عن ابن السراج عن أبي البركات البلفيقي عن ابن الزبير عن عياض.

وأروي الأربعين النووية عن السقا عن ابن الأمير عن والده

العلامة الأمير، عن العارف الحنفي عن الشيخ محمد بن علي العلوي عن محمد بن سعد الدين عن محمد بن الترجمان عن سيدي عبدالوهاب الشعراني عن البرهان بن أبي شريف عن البدر القياتي عن سيدي محمد بن الخباز عن النووي.

بهذا السند أروي جميع مؤلفات النووي، وبه إلى الشعراني أروي جميع مؤلفاته كفهرسته التي في آخر العهود.

ثم بعد هذا قرأت جميع الرسالة العجلونية المشتملة على أربعين حديثاً، وهي أوائل أربعين كتاباً من كتب الحديث على الشيخ المجيز المذكور في مجلس واحد، أواسط رجب عام ١٣٢٥هـ وهو سمعها بالمدينة المنورة على مسند الحجاز في حينه أبي الحسن علي بن ظاهر الوَتري المدني الحنفي، وهو على الشيخ أحمد منّة الله، وهو عن محدّث عصره الشيخ عبدالرحمٰن الكزبري، وهو عن المسند شهاب الدين أحمد بن عبيد العطار عن الشيخ إسماعيل العجلوني مؤلف الأوائل المذكور بأسانيده المرقومة بهوامشها.

* * *

٣ ـ الشيخ حسين الحبشي:

أجازه بواسطة.

نص الإجازة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله قد حصل التفضُّل من مولانا الإمام بركة الحجاز العالم الصالح الكنز المذخر السيد حسين ابن مولانا محمد بن حسين الحبشي الباعلوي، نزيل مكة المكرمة بالإجازة في كل ما رواه أو تلقاه من كافة شيوخه إجازة عامة مطلقة لصاحبنا وحبيبنا العلامة الفاضل الجليل الكامل أبي عبدالله سيدي محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي الزرهوني، والله تعالى ينفعه وينفع به آمين.

فكتب السيِّد المجيز عقب ذلك بخطه ما صورته. «الإجازة المذكورة صحيحة كما ذكر».

كتبه الفقير المقصر حسين بن محمد بن حسين الحبشي وذلك في متم عام ١٣٢٣هـ.

* * *

٤ ـ الشيخ التهامي كنون ـ المتقدم الذكر ـ:

أذِن له في أن يروي عنه سائر ما له وما لشيخه صنوه الحاج محمد بن المدني كنون مؤلِّف (اختصار حاشية الرهوني) وغيره إباحة وإذناً شفاهيين عاميين.

وهذا نصه:

بعد أن أعلمني بأنه سمع من شيخه المذكور جميع الموطأ والصحيحين والشفا ومختصر خليل وغير ذلك.

كل ذلك بقراءته هو على شيخه المذكور، ولم يفته شيء من ذلك، وسمى لي من مؤلفات شيخه المذكور التي أرويها عنه على سبيل الخصوص والتعيين، تعليقه على الموطأ، الزجر والإقماع، الدرر المكنونة، تسلية من يودي، تأليف في النشور، تأليفه في حديث لا عدوى، نصيحته، نوازله، قال وأنا الجامع والمرتب لها، اختصار حاشية الرهوني على الزرقاني وغير ذلك.

كما عيَّن لي من تآليفه هو التي أرويها عنه كذلك تآليفه على الموطأ والصحيحين، والشفا، وشرحه لنظم ابن يامون في أدب النكاح، وتقييد في أسباب الرؤية النبوية.

وهذا قد كان أسمعنا بعضه في درسه وغير ذلك.

* * *

٥ ـ **الشيخ محمد بن جعفر الكتاني:**

سمع منه أوائل العجلوني وأجازه بها وبغيرها.

نص الإجازة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله سمع مني هذه الأوائل بالزاوية الزرهونية إزاء الضريح الإدريسي سيدنا الشريف الأجل، الفقيه البركة الأمثل، أبو عبدالله سيدي محمد بن أحمد العلوي، واستجازني فيها وفي غيرها، فأجزته في الجميع إجازة عامة بشرطها المعروف، وقد سمعتها بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عن شيخنا العلامة الراوية المشارك أبي الحسن سيدي علي بن ظاهر الوَتَري المدني وأجازني فيها وفي غيرها، وكتب لي بخطه سندنا فيها إلى جامعها العجلوني رحم الله الجميع، ونفعنا بالعلم ورزقنا به آمين.

وكتبه عُبيد ربه تعالى محمد بن جعفر الكتاني في أول ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٢٥ من هجرة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

صَحَّ به من خطه.

* * *

مروياته:

له مرويات خصوصية فيما يرجع لكتب الحديث وغيرها، ومرويات خصوصية فيما يرجع للأوراد والأذكار والدعوات.

١ ـ مروياته لكتب الحديث وغيرها:

ذكر عنها في ترجمته ما يأتي:

ـ صحيح البخاري والموطأ حسبما تقدم في روايتنا عن أبي المكارم عبدالكبير، وعن أبي العلاء السنوسي وعن السيد التهامي كنون وغيرهم.

ـ ومنها صحيح مسلم في روايتنا عن الثالث من هؤلاء، ومنها الشفا في روايتنا عن الأول والثالث، ومنها الأدب المفرد، وحديث الأولية في روايتنا عن الثاني. وكذا في روايتنا عن القاضي حميد بالنسبة إلى حديث الأولية، ومنها: الأربعون، والحزب، والأذكار للنووي حسبما مرَّ في روايتنا عن الأول، ومنها عهود الشعراني حسبما تقدم فيها أيضاً، ومنها كتب الأربعون التي سمعنا أوائلها على الأول وابن أبي عبدالله بن جعفر وهي الموطأ والكتب الست ومسانيد أبي حنيفة والشافعي وابن حنبل والبزار وأبي داود الطيالسي وعبد بن حميد والدارمي، والحارث ابن أبي أسامة، وأبي يعلى، وصحيحا ابن حبان وابن خزيمة، ومصنفا عبدالرزاق وابن أبي شيبة، وسنن أبي مسلم الكشي، وسعيد بن منصور والبيهقي، وتاريخا ابن معين وابن عساكر، والزهد والرقائق لابن مبارك، ونوادر الأصول للحكيم، وكتاب الدعاء للطبراني، واقتضاء العلم العمل للخطيب، ومستدرك الحاكم، ومستخرجا الإسماعيلي وأبي عوانة، والفرج بعد الشدة لأبي الدنيا، وحلية أبي نعيم، والشفا لعياض، وعمل اليوم والليلة لابن السنّي، والذرية الطاهرة للدولابي، وجياد المسلسلات للسيد وهو آخرها، ومنها مختصر خليل في روايتنا عن الثالث، ومنها ما تقدم من مؤلفات السيد التهامي كنون وشيخه وأبي عبدالله بن جعفر، فهذه كلها قد سبق التنصيص على تعيينها في روايتنا ويلي ذلك في رتبة التعيين والتنصيص ما اشتملت عليه فهرستا أبي محمد جعفر، والنبهاني لما سبق من تعيينها في الرواية. وكذا فهرست الشعراني

كما تقدم في الرواية عن أبي المكارم، ومن مروياتنا الخاصة ما سبق التنبيه على سماعنا إياه من الشيوخ، فإن السماع أعلا طرق الرواية.

٢ ـ مروياته للأوراد والأذكار والدعوات:

فقد ذكر أنها كثيرة، وإنما لم يتعرض لها لكون السائل الذي سأله، وضع ترجمة خاصة به لم يعرج على هذا السؤال.

٣ ـ أسانيده:

تعرض محمد بن أحمد العلوي في الفصل الأخير من فهرسته إلى وصل مروياته بالأسانيد المشهورة، وذكر من ذلك ما يأتي:

(اعلم أننا نروي عن الشيخ التاودي سائر مروياته المفصلة في سنده وسائر مؤلفاته المشهورة بواسطة شيخنا السيد التهامي كنون عن صنوه العلامة سيدي الحاج محمد عن شيخه الشريف العلامة المعمر سيدي بدر الدين الحمومي عن شيخه سيدي التاودي المذكور، وهذا سند صحيح متصل؛ لأن السيد التهامي أجازني عموماً، وهو أجازه صنوه الحاج محمد كذلك، وهو أجازه السيد بدر الدين كذلك، وبهذا السند أروي سائر مرويات الشيخ بدر الدين المذكور ومؤلفاته، كشرح المرشد والشمائل.

والحمومي المذكور يروي أيضاً عن الشيخ محمد الرهوني مؤلف حاشية الزرقاني وغيرها، كما يروي عن السيد عبدالقادر بن شقرون شارح العشرة من الأربعين النبوية. وكذا يروي عن سيدي عبدالكريم اليازغي، فبهذا السند نروي عن الثلاثة أيضاً. كما أن شيخ شيخنا الحاج محمد كنون يروي أيضاً سماعاً وإجازة عامة عن شيخ جماعة عصره سيدي محمد بن عبدالرحمٰن الحجرتي عن سيدي عبدالسلام الأزمي عن الشيخ بناني محشي الزرقاني بأسانيده المفصلة في فهرسته. فبهذا السند نروي ما للشيخ بناني، وكذا يروي شيخ شيخنا المذكور سماعاً وإجازة عامة عن الشيخ صالح الرضوي البخاري وهو عن الشيخ عمر بن عبدالكريم بن عبدالرسول عن الراوية المسند الشيخ صالح الفلاني بأسانيده المفصلة في فهرسته. فبهذا السند الصحيح المتصل نروي سائر ما اشتملت عليه فهرسة الفلاني المذكور.

وقد حوت من أسانيد الكتب وخصوصاً العوالي ما فيه الشفا. وقد اتصلت لنا الرواية بها من طرق أخرى فمنها عن شيخنا أبي محمد جعفر عن الشيخ عابد السندي بعموم إجازته لأهل عصره، وهو منهم عن الفُلاني المذكور. وهذه الطريق أعلى بدرجة.

ومنها عن شيخنا أبي المكارم المتقدم عن الشيخ عبدالغني الدهلوي المجد محدّث المدينة المنورة، عن الشيخ عابد عن الفلاني.

ومنها عن شيخنا السنوسي المتقدم عن الشيخ عبدالغني.. إلخ.

وهنا ينتهي ما وجد مخطوطاً من الترجمة والفهرس بقلم المترجم.

مؤلفاته:

جل مؤلفاته لا زالت مخطوطة، بل وفي مبيضاتها. وفيما يلي لائحة بأسماء ما وقفت عليه منها:

أولاً: الكتب المطبوعة:

١ - إتحاف النبهاء الأكياس بتحرير فائدة مناقشة الأوصياء بفاس.

طبع سنة **١٣٤٩**هـ - **١٩٣٢**م بالمطبعة الجديدة بطالعة فاس.

٢ - تحرير المقال في منع ادعاه جمال الدين ابن مالك على - متى - من الإهمال.

طبع سنة **١٣٥٨**هـ /**١٩٤٠٠**م بالمطبعة الوطنية بالرباط.

٣ - توضيح طرق الرشاد، لحسم مادة الإلحاد، في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك المكرم، الموكل بقبض أرواح العباد.

طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط **١٣٦٢**هـ - **١٩٤٣**م وهو ما نقوم بإعادة نشره وخدمته وذلك لما اشتمل عليه من نفائس الدرر وفرائد الفوائد مما لا تجده في غيره.

ثانياً: الكتب المخطوطة:

٤ ـ أجوبة عن اعتراضات صدرت من الفقيه السيد الغالي السنتيسي على بعض ما كتبه في شرحه لميمية مولاي عبدالرحمٰن بن زيدان.

٥ ـ بلوغ الأمنية، شرح ثالث فصول الأنموذجية.

٦ ـ تعليق على كتاب شرب أصل الصفاء فيما خص به أبناء المصطفى للشيخ عبدالكبير الكتاني.

٧ ـ تقييد في حكم لبس السراويل.

٨ ـ تقييد على أوائل شرح البخاري.

٩ ـ تمهيد الحجة وتنظيف المحجة من دنس تمويه سياح الإفرنجة.

١٠ ـ تحرير في مسألة التأويل عند الأصوليين.

١١ ـ ترجمة الإمام مالك.

١٢ ـ تقييد بشرى وتأنيس بتعجيل شرح فصول الحديث المروي وفي التأسيس، مما لا يوجد مجموعاً في غير هذه القراطيس.

١٣ ـ خلاصة شروح البخاري، مرصعة بزيادات من فضل الباري.

١٤ ـ شرح حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**».

١٥ ـ شرح آخر حديث من البخاري.

١٦ ـ شرح بردة ابن زيدان مختوم بتقريظين للشيخ المكي البطاوري، وسيدي المدني بن الحُسني.

١٧ ـ فتاويه، فتعد بالمئات.

وظائفه:

بعد أن أبان العلامة محمد بن أحمد العلوي عن مقدرته العلمية بواسطة فتاويه التي أظهر فيها كفاءة نادرة، وتضلعاً واسعاً في مادة الفقه الإسلامي فشغل وظائف سامية فعيّن:

أولاً: قاضياً بمدينة زرهون في **١٢** ذي القعدة عام **١٣٣٦**هـ.

ثانياً: وبعد فترة زمنية مرت على تقديم استقالته من منصب قضاء زرهون عين عضواً بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى بالرباط.

ثالثاً: ثم رشح لقضاء مدينة مكناس أواسط سنة **١٣٤٤**هـ.

رابعاً: نقل لقضاء مقصورة القرويين بمدينة فاس في **٩** شعبان عام **١٣٤٦**هـ.

خامساً: ومن مدينة فاس نقل لقضاء مدينة وزان عام **١٣٥٠**هـ.

سادساً: بعد أن قضى بمنصب القضاء بمدينة وزان ثمانية أعوام وبضعة شهور، عين للمرة الثانية قاضياً بمدينة مكناس من أوائل سنة **١٣٥٩**هـ، وبقي بها قاضياً إلى حين وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ.

مجالسه العلمية:

لم يمنعه منصب القضاء، واشتغاله بالتأليف عن التدريس فقد كان مدة سكناه بمدينة مكناس يقوم بتدريس التفسير والحديث والشمائل بالجامع الكبير، وكان لتلك الدروس صدى كبير في الأوساط العلمية.

ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه تلميذه المؤرخ عبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة في كتابه (سَلّ النِّصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال)[١].

(العلامة المشارك المتضلع في جل العلوم الشرعية والنقلية، كالتفسير والحديث والسير وعلم الكلام والفقه الذي يُعد فيه مالك وقته بلا منازع. وكان في مجلس درسه يعد في الطبقة العالية في التدقيق والتحرير والإتقان، وكذلك في تآليفه التي تفصح عن طول باع وفضل وتمكين، وتخصيص

---

(١) ص: ١٣٠.

وتدقيق وتحرير، وبالجملة فالرجل صار في أخريات عمره نادرة عصره في الفقه وسائر العلوم الشرعية مع كرم نفس وتواضع ولين جانب وحرص على الإفادة والمذاكرة... جلست إلى دروسه بالقرويين بين العشاءين في صحيح البخاري لما كان قاضياً بفاس، واستفدت منه كثيراً فكان يملي في ذلك ما يدل على تحقيقه واطلاعه رحمه الله وبالجملة فهو آخر الناس بالمغرب علماً وورعاً).

ـ وأثنى عليه شاعر مكناس العالم الأديب عبدالقادر بن أحمد العرائشي العلمي المتوفى عام ١٣٥٠هـ في قصيدة نظمها في تهنئة المترجم بتعيينه الأول قاضياً بمكناس. فقال:

غنت ببلدتنا السكان من طرب	وعمها البشر وارتاحت من التعب
وأعلنت شكرها لله قائلة	سبحان خالقنا مفرج الكرب
لما أتاها شريف عالم العلما	قاضي القضاة أجل كل منتخب
ذاك الفقيه الشريف الأسعد العلوي	إمام أهل العلا ذو الفخر والحسب
محمد طيب طابت سريرته	أعني ابن أحمد تاج العلم والأدب
مفتي الأنام ومصباح الظلام وإكسير	ر الكلام رفيع القدر والرتب
جم المآثر لباس المفاخر من	فتواه سالمة من كل ما عطب
فما امتطى عزمه لحل مشكلة	إلا أجابته عن فور ولم يخب
ولا تصدر في فن ليقرئه	إلا أجاد وعمّ النفع ذا طلب
ولا تدبر في فتوى ليتقنها	إلا وأفرغها في قالب الذهب
ولا تصدى إلى نثر يحسنه	إلا تراه أخي قد جاء بالعجب
بشرى لكم معشر الطلاب والفقها	بذا الشريف الأجل الطاهر النسب
فكم يفيض عليكم من معارفه	أصفى من المزن أو أحلى من الضرب
صدق أخا العلم فيما قلته وسلن	عنه الخبير الذي قد فاز بالأرب
بعدله ابتهجت مكناسة وغدت	تقول أهلاً بنجل سيد العرب
محمد سيد الأرسال خاتمهم	إمام أهل التقى المطهر النسب

صلى عليه إلاه العرش ما شملت   كل امرىء رحمة المعطي بلا سبب
وآلــه كــلــمــا قــد قــال قــائــلــهــا   غنت ببلدتنا السكان من طرب
وافقاً بتاريخها عين الحسود وقل   (جا مشرق) عالم كالبحر ذي عبب

ويقول تلميذه الأستاذ محمد العرائشي:

(شخصية محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي شخصية لامعة في التاريخ فهو من بين الأفذاذ الذين أنجبتهم البيئة المغربية، وأحد الأعلام المشار إليهم بالبنان.

قضى زهرة عمره في الكتابة والتأليف والتدريس، وأنتج الكثير الجيد، فنفسه الطويل في علوم التفسير والحديث، واطلاعه الواسع على أصول التشريع الإسلامي، وتضلعه في فنون الفتوى والأحكام، كل ذلك شاهد بمقدرته العلمية، وبالتالي ففي كل فن من فنون المعرفة له صولة، وفي كل ميدان من ميادينها له جولة)[١].

ويقول العلامة محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج في كتابه (إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثُلّة من علماء المغرب المعاصرين)[٢]:

(فقيه علامة مشارك في كثير من العلوم إلا أنه له اليد الطولى والبراعة الكبرى والباع الطويل في حلبة الفقه والأصول والتفسير والحديث، وصناعة القضاء والنوازل).

وفاته:

فاضت روحه الكريمة وانتقل إلى الرفيق الأعلى صبيحة الجمعة **٢٨** محرم عام **١٣٦٧**هـ ودفن بقبة الضريح الإسماعيلي بمكناسة الزيتون.

وقال في رثائه العالم المفتي الشريف العلمي الغالبي:

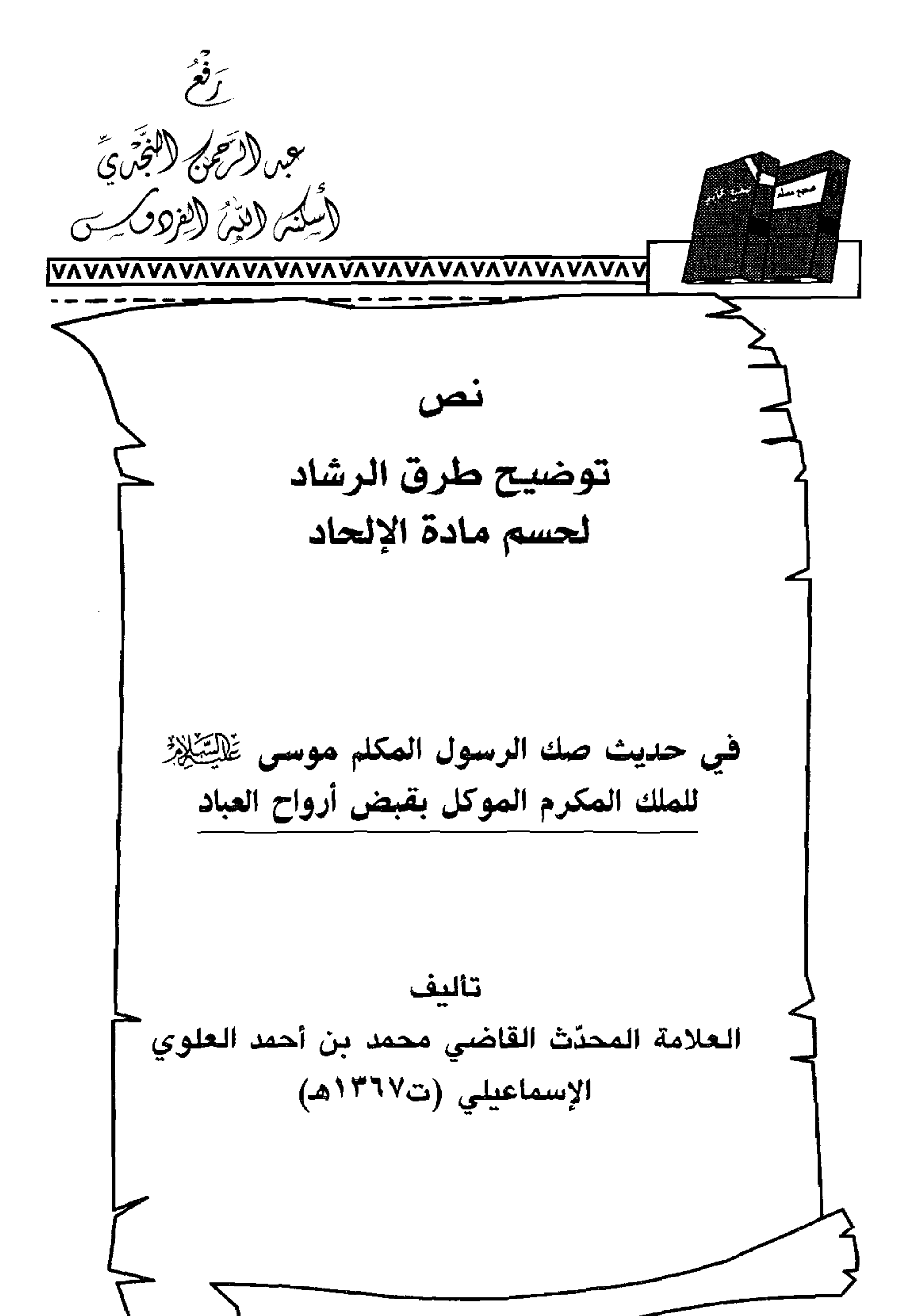
---

(١) مجلة دعوة الحق عدد ٢٢١ ص: ٢٣٨.
(٢) ص: ١٤٣.

حل القضاء فحلت الأهوال ... وتحولت لحلوله الأحوال
وتكدرت منه الخواطر كلها ... وتعطلت لوصوله الأوصال
وتناقلته بدمعة حرافطا ... حلة البلاد ونخبة عمال
وعرا عقول السامعين لرزئنا ... خلل مخل متلف وخبال
وغدا سؤال الوافدين منقبا ... عما قضاه الخالق الفعال
عدل القضاة الغر مفرق جمعهم ... شيخ الشيوخ القدوة المفضال
طود الرزانة والفخامة والعلا ... بحر العلوم الزاخر الهطال
ذو همة عليا وأعجب نخوة ... ومهابة تهواهما الأقيال
من لا يحيد بحدة وصرامة ... عن صوب ما لصوابه وصال
وإذا أتته عويصة وتعارضت ... حجج غدا لغموضها استفحال
أشفى الغليل مقرراً ومحبرا ... لا يخشى ما يدعي هوال
وتتابعت شهب الهداية مذ علت ... شبه المضل وزانها استيصال
وتفاخرت حلل النزاهة إذ غدت ... ولجسمه من نوعها سربال
لا يعدلن عن عدله إن اعتدى ... بعدولهم عن عدله العذال
ولكم درى من كان من إملائه ... وبيانه يوماً له انهال
ما شئت من هدى ومن ورع ومن ... حلم ومن خلق له إقبال
يكفيك منه بعاده عن حيلة ... سوأى غدت يحتالها المحتال
وبأنه دوماً لنهضة شعبه ... ولرقيه ونجاحه عمال
متفانياً ومشجعاً لا يعتريه ... تكاسل كلا ولا إغفال
متكاتفاً عوناً لا خلص مخلص ... ولمرتجى معنا لديه سؤال
علناً يحارب بالشريعة خائفاً ... وحرابه طعن بها ونزال
متحاشياً هذر الكلام ووصمه ... ولخوفه من ربه إجزال
يا عين فلتجر الدموع كما جرى ... الغيث العميم الهاطل السيال
ولتبك يا فخر المجالس مثلما ... يبكي على إيضاحه الأشكال
وليبكه قلم البيان وطرسه ... وليبكه التبليغ والإيصال

ولتبكه الفتوى وكل رجالها ... وليبكه التطبيق والأنقال
ولتبكه الأحلام وهو زعيمها ... ولصعب ما بسجلها سجال
وليبكه الكرسي كذلك منبر ... ومن الحداد كلاهما ميال
ولتبكه الكتب التي عنها وعن ... تدوينها لم تلهه أشغال
هيهات أن يهنى لدى فقدانها ... وبعدها فكر له أو بال
ءاهاً لفقدك يا ابن أحمد إننا ... بوفاتكم خابت لنا آمال
فليزعمن من شاء بعد مصابكم ... ما شاءه فلزعمه لمجال
صبراً فما ينفي البكا شجواً ولا ... يجدي الفدا بل إن ذا لمحال
ولنحتسب وبمن مضى فلنأتسي ... يا أيها التلميذ والأشبال
فمن السعادة لن يوالي حجه ... غير الممات وتمت الأعمال
فالله يرحمه ويجزل بره ... وينيله ملقى له إجلال
سنة الوفاة أمن يحاول ضبطها ... ويعدها لحياته إكمال
فلنقرنن تندب بلفظ مقولنا ... حل القضاء فحلت الأهوال

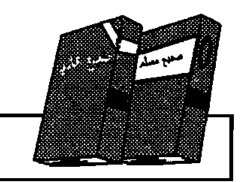




نص
توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد

في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد

تأليف
العلامة المحدّث القاضي محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي (ت١٣٦٧هـ)



توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد
في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام
للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد؛ فإن حديثَ صَكِّ الرسول المكلَّم سيدنا موسى عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام لمَلك الموت المعظَّم، هو مع تخريجه في الصحاح لم يزل في القديم والحديث إشكاله يدور. وطَعْن بعض الملحدين من أهل أواخر القرن الثاني أو أوائل الثالث وهلم جراً. فيما تضمنه يبدو تارة ويغور، والحال أن ذلك الطعن خطبٌ جَسِيم، وضَرَرُه وَخِيم، لتعلقه برسولين عظيمين مقدسين أحدهما من خاصة نوع البشر، والآخر من خاصة نوع المَلك، ولكونه يجرُّ كما تأتي الإشارة إليه إلى الطَّعن على رواته ومصححيه ومع كون ذلك الطعن قد تصدى في كل زمان أفراد من جلّة فحول علماء الأمة كابن عائشة المعروف بالعيشي من أهل العشرة الثالثة من القرن الثالث باللام بعد الألف فيهما. وابن قتيبة المعروف بالقتبي من أهل العشرة الثامنة بالميم بعد الألف منه. وابن خزيمة من أهل العشرة الأولى من الرابع. وابن حبان من أهل العشرة الخامسة منه. والخطابي من أهل العشرة الثامنة منه. وعياض من أهل

العشرة الخامسة من السادس. والمازَري وابن العربي المعَافِري من أهل العشرة الرابعة منه. والنووي من أهل العشرة السابعة من السابع. بسبق السين المهلمة فيهما. وابن حجر العسقلاني من أهل العشرة الخامسة من التاسع بتقديم المثناة فوق كل هؤلاء وغيرهم ممن عاصر بعضهم أو تأخر عنهم. تكلموا في حَلِّ إشكال الحديث. وفي ردِّ الملحد الطاعن فيه على أعقابه. وراموا إبطال إلحاده وقطع أوصاله لكنهم لم يستوعبوا تفاصيل ما أصلُوا ولا أتوا فيما انتدبوا إليه بجمع ما أملوا، بل منهم من ناضل بما لا يُطابق الحقيقة، ولا يوافق سوى الطريقة، ومنهم من حقق أصل المناط، وحرر ما به حقائق الحديث تُناط، إلا أنه لم يتنازل لبيان المكملات في البساط، وكان الذي أوقف أهل هذا القسم الثاني عند هذا التقليل مع احتياج المقام إلى ما يشفي العليل ويبرد الغليل، كونهم إنما تكلموا على الحديث في غمار شروحهم الحافلة بكل مهم، فلم يروا لأجل ذلك أن يتجاوزوا فيه ما ينوب قسطه من الشرح في جملة الأحاديث المهمّة التي انتدبوا لشرح جميعها، ولو كانوا كلهم أو بعضهم أفردوه بجميع ما يحتاج إليه فيه من الشرح والبيان لكان في ذلك مظنة إبراز ما تندفع به عنه جميع الشبه للعيان. ولكن إلى الآن لم يبلغنا عن أحد ممن تقدَّم أنه أفرد ذلك الحديث بتصنيف يشتمل على بيان جميع ما يطلب فيه من أوجه التعريف، ولذلك لا نزال نرى بعض من تأخر عمن تقدمت تسميته من الأئمة المُجِيبين عن الحديث يصرح بأن أجوبتهم وإن تنوعت لم تحسم مادة الطعن والنزاع بل لا زال عندهم ظاهر الحديث بعدها كلها معروضاً للدفاع حتى نقل في الروض الباسم أن بعض ملحدي القرن التاسع بتقديم المثناة فوق، صرَّح بأن الحديث لا يمكن جواب صحيح بحسم مادة إشكاله بل رأيت الفاضل الشيخ أبا الحسن السندي صاحب التعليق على الكتب الستة الحديثية وهو من أهل القرن الثاني عشر صرح في غير واحد من تعاليقه المذكورة بأن جميع ما أجاب به من قبله عن الحديث لا يدفع إشكاله. وأنه لأجل ذلك يرى هو أن الحديث من مُتشابه السُنَّة الذي

لا يوقف على حقيقة معناه. ولقد شافهني المرة بعد الأخرى بعض الأعيان من رؤساء علماء هذه الديار المغربية بما أفادني تمكن إشكال الحديث منه، وأنه لأجل ذلك يجزم بعدم صحته. وربما أكَّد ذلك بالأَيمان المغلظة. ويرشح ذلك تارة بدخول عبدالرزاق الملموز بالتشيع في رواته وطَوْراً بكون أبي هريرة راويه كان يتحمل عن كعب الأحبار التابعي الإسرائيلي فقد يكون هذا الحديث مما تحمله عنه. هذا مع تحقق هذا السيِّد بكون الحديث في الصحيحين وغيرهما.

فلذلك كله كانت تحركت مني القريحة الخامدة الجامدة إلى التطفل في هذا الموضوع، بإفراد الحديث بمجموع يرتبط بإيراد رواياته من أصوله بجميع ألفاظه. ثم بتحقيق رتبته عند أئمة الحديث بشرح سائر فصوله، وبيان محصوله. ثم ببسط أوجه الإلحاد المنقولة فيه، وكل ما عرض فيه من إشكال ثم ببسط ما تقدم للجواب به عنه غير واحد من عظماء الرجال ثم بتزييف المزيّف منه وتعضيد الناهج به نهج التحقيق والكمال. كل ذلك مع التهذيب والتنقيح، وتوضيح المشتبه وتحرير الملتبس بقدر ما أنا عليه من القصور، واستغراق جل الأوقات في الأشغال مؤملاً انتهاز الفرصة في كل وقت أجد فيه بعض الفراغ وإن كان نادراً. وقد كنت شرعت في تسويد كثير من ذلك، وبيضت مواضع منه بالفعل ثم غلب تراكم الأشغال، وأعانه ضعف القوة الذي ألجأ إليه طعن السِّن حتى أفضى ذلك إلى انتشار بعض ما كنت سوّدته، وإلى تلاعب أيدي العناكب وتراكم الغبار على ما كنت منه بيضته، حتى كاد اليأس أن يحصل من جمع ما من مسوداته انتشر، ومن تخليص ما من مبيضاته تحت أيدي العناكب خَفِيَ واستَتَر، فضلاً عن تتميمه على الوجه الذي كان يُراد. هذا والشمس على طرف النخيل، ولسان حال النذير ينادي الرحيل الرحيل، وبأن جراب الزاد خال مما عدى الإفلاس ويغري إلى البدار للسعي في الصلح ولو بأقل قليل، يرجى معه رضى رب الناس قبل أن يقال ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣٨]. فساعدني التوفيق حينئذ على تنجيز تخليص أهم ما كان يراد

في أُويقات هيّأ الرحيم الرحمٰن فراغها، وهو وإن برز في ورقات معدودة وكراريس لا تزيد على أدنى مراتب القلة المعهودة لكن المسترشد المنصف إذا وجد فيه إقناعاً عن أوجه الإشكالات الموجهة للحديث التي أشرت قبل. إلى أن غير واحد من ذوي النبوغ في العلم والفهم أعلن بأنها عجز عنها إدراك من تقدم ويعجز عنها إدراك من تأخر. فإنه والحالة هذه يعظم في عينه ويطبق عليه ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ مما كَثُر وألْهَى. وقول المثل السائر: كم ترك الأول للآخر، ويستغفر من تعجيز قدرة من ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] سبحانه لا إله إلا هو المنعم المنّان، وإني لأرجو الرحمٰن الرحيم الذي ابتدأ الإنسان بجميل نعمه وعلّمه ما لم يكن يعلم أن يكون ألهمني فيه الإتيان لكل شيء من بابه. ووضع كل شيء في نصابه وأن يتفضل بتصحيح السريرة وإخلاص العمل، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيد ولد آدم أجمعين.

وقد كنت عنونت ما أملته بـ (**توضيح طُرق الرَّشاد، لحسم مادة الإلحاد) في حديث صك الرسول المكلّم موسى عليه السلام للمَلك المكرَّم، الموَكَّل بقبض أرواح العباد**.

وهذا أوان الشروع فيما لخصته مما كنت قصدته. فأقول مستعيناً بالله:



تمهيد وتأسيس

أسوق فيه حديث الصَّك الذي هو موضوع الكتاب بسائر رواياته، وبنص ألفاظ رواته ومُخرجيه حيث إن ذلك هو الأساس الذي ينبني عليه كل ما بعده.

١ ـ روينا بالأسانيد المتصلة إلى الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري أنه قال في صحيحه: حدثنا محمود حدثنا عبدالرزاق قال: أخبرني مَعمَر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: أرسل مَلك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صَكَّه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرَدَّ الله عزّ وجل إليه عينه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور. فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال رسول الله ﷺ: «**فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر**» هذا لفظ البخاري في باب: من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها من كتاب الجنائز من صحيحه.

٢ ـ وبالأسانيد إليه أيضاً. قال في صحيحه: حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: أرسل مَلَك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يُريد الموت. قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم ماذا؟

قال: ثم الموت. قال: فالآن، فسأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فقال رسول الله ﷺ: **«لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»**.

قال: وأخبرنا معمر عن همام قال: حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ نحوه. هذا لفظ البخاري في باب: وفاة موسى من أحاديث الأنبياء من صحيحه وليس للحديث ذِكر في غير هذين الموضعين منه.

٣ ـ وروينا بالأسانيد المتصلة إلى الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري أنه قال في صحيحه: حدثني محمد بن رافع وعبد بن حُميد ـ قال عبد: أخبرنا، وقال ابن رافع: حدثنا ـ عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: أرسل مَلَك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صَكَّه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يُريد الموت. قال: فَردَّ الله عينَه وقال: ارجع إليه فقُل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال: أي ربي ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله ﷺ: **«فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»**.

٤ ـ وبالأسانيد إلى مسلم أيضاً زاد في صحيحه إثر ما تقدم: حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبدالرزاق قال: حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ: **«جاء مَلَك الموت إلى موسى عليه السلام وقال: أجب ربك، قال: فَلَطَم موسى عليه السلام عين مَلَك الموت ففقأها، قال: فرجع المَلك إلى الله عزّ وجل، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يُريد الموت وقد فَقَأَ عيني، قال: فردَّ الله عينه، وقال: ارجع إلى عبدي، وقُل الحياة تُريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه، قال: ثم الموت، قال: فالآن من قريب، رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر»** قال رسول الله ﷺ:

«والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» قال أبو إسحاق: حدثني محمد بن يحيى حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر بمثل هذا الحديث. هذا ما في باب فضائل موسى من صحيح مسلم.

رواية أبي إسحاق المذكور آنفاً واسمه إبراهيم بن محمد بن سفيان، وليس للحديث ذكر في غير هذا المحل من صحيح مسلم.

٥ ـ وروينا بالأسانيد المتصلة إلى الإمام أبي عبدالرحمٰن أحمد بن عبدالرحمٰن بن شعيب النسائي أنه قال في سننه: أخبرنا محمد بن رافع عن عبدالرزاق قال: حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: أرسل مَلَك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صَكَّه فَفَقَأ عينه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. فردّ الله عزّ وجل إليه عينه، وقال: ارجع إليه فقُل له: يضع يده عن متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب، ثم مه؟ قال: فالآن، فسأل الله عزّ وجل أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال رسول الله ﷺ: **«فلو كنت ثم لأريتكم قبره تحت الكثيب الأحمر»** هذا لفظ النسائي في الجنائز من سننه. وليس للحديث ذكر في غير هذا المحل منها.

٦ ـ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ رواية ابنه عبدالله ـ حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا عبدالرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل مَلَك الموت إلى موسى فلما جاءه صَكَّه ففقأ عينه فرجع إلى ربه عزّ وجل فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فردَّ الله عزّ وجل إليه عينه. قال: ارجع إليه وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«فلو كنت ثَم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»**.

٧ ـ وفي مسند الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا معمر عن عبدالرزاق بن همام بن منبه قال: هذا ما حدثني أبو هريرة عن

رسول الله ﷺ فذكر أحاديث ثم قال: وبإسناده قال رسول الله ﷺ: «**جاء مَلَك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عين مَلك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله عزّ وجل فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فردَّ الله عينه وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة، فإنك تعيش بها سنة. قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب. قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر**» قال: وقال رسول الله ﷺ: «**والله لو أنّي عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر**».

٨ ـ وفي المسند أيضاً: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس عن أبي هريرة قال أبي: لم يرفعه، قال: جاء مَلَك الموت إلى موسى فقال: أجب ربك، فلَطَم عليه السلام عين ملَك الموت ففقأها فرجع الملك إلى الله عزّ وجل، فقال: إنك بعثتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال: فردّ الله عينه، وقال: ارجع إلى عبدي، فقل الحياة تُريد، فإن كنت تُريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة. قال: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن يا رب من قريب.

٩ ـ وفي المسند أيضاً: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا أمية بن خالد ويونس قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. وقال يونس: رفع الحديث إلى النبي ﷺ قد كان ملك الموت يأتي الناس عياناً، قال: فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه فأتى ربه عزّ وجل، فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لعنفت به. وقال يونس: لشققت عليه. فقال له: اذهب إلى عبدي فقل له: فليضع يده على جلد أو مسك ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة، فأتاه فقال له: ما بعد هذا؟ قال: الموت، قال: فالآن، فشمَّه شمّة فقبض روحه. قال يونس: فردّ الله عزّ وجل عينه وكان يأتي الناس خفية.

١٠ ـ وفي المسند أيضاً: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا مؤمل حدثنا

حماد حدثنا عمار بن أبي عمَّار قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كان مَلك الموت عليه السلام يأتي**» فذكره.

فهذه نصوص ما في مسند أبي هريرة من مسند الإمام أحمد في هذا الحديث، ولا أعلم للحديث ذكراً في غير مسند أبي هريرة.

١١ ـ وفي كتاب الجامع أواخر مصنف الإمام عبدالرزاق بن همام ما صورته: أخبرنا عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**أرسل ملَك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فردَّ الله عينه فقال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله ما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر**» فقال رسول الله ﷺ: «**لو كنت هناك لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر**».

١٢ ـ قال معمر: وأخبرنا همام عن أبي هريرة مثله أخبرنا عبدالرزاق عن معمر عمن سمع الحسن يحدث عن النبي ﷺ، هذا كله نص عبدالرزاق في النسخة التي وقفت عليها من مصنفه بالخزانة الكتانية.

١٣ ـ وفي تاريخ الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ما صورته: حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مَلَك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه قال: فرجع فقال: إيت عبدي موسى فقل له فليضع كفه على متن ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة، وخيِّره بين ذلك وبين أن يموت الآن. قال: فأتاه فخيَّره فقال له موسى: فما بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: فالآن، إذاً فشمَّه شمَّة قبض روحه**» قال: فجاء بعد ذلك خفياً إلى الناس. هذا نص ابن جرير في باب وفاة موسى من تاريخه.

١٤ ـ وفي مجمع الزوائد للحافظ نور الدين الهيثمي ما صورته: وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**كان ملك الموت يأتي إلى الناس عياناً،**

قال: فأتي موسى فلطمه ففقأ عينه، فأتي ربه عزّ وجل فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لعتبت به. قال يونس: لشققت عليه، قال له: اذهب إلى عبدي، فقل له: فليضع يده على جلد أو مسك ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة، فأتاه فقال له: ما بعد هذا؟ قال: الموت، قال: فالآن، فشمّه شمّة فقبض روحه. قال يونس: فردَّ الله عينه فكان يأتي الناس خفية».

قلت: في الصحيح طرف منه: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح هذا نص مجمع الزوائد بحروفه.

وفي بداية الحافظ ابن كثير بعد سوق ما تقدم عن البخاري ما صورته: وقد روى مسلم الطريق الأول من حديث عبدالرزاق به. ورواه الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة، فقال: حدثنا أمية بن خالد ويونس قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يونس: رفع الحديث قال: كان مَلَك الموت يأتي عياناً فذكره إلى قوله: خفية. ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن مصعب بن المقدام عن حماد بن مسلمة به فرفعه أيضاً. وقال الإمام أحمد حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس يعني سليم بن جبير عن أبي هريرة. قال الإمام أحمد: لم يرفعه، قال: فجاء مَلَك الموت فذكر الحديث إلى قوله: من قريب.

قال ابن كثير: تفرد به أحمد وهو موقوف بهذا اللفظ. وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال معمر وأخبرني من سمع الحسن عن رسول الله ﷺ فذكره هذا ما في بداية الحافظ ابن كثير في ترجمة موسى منها.

وكذا خرّج الحديث الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في مستخرجه على صحيح البخاري عن محمد بن يحيى عن عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً، ونقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر.

وقد أورد الإمام الحافظ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الحديث

في قسم الصحاح من مصابيحه باللفظ الثاني المار من صحيح مسلم ولم يصرح برفعه.

وكذا أورد أوله من رواية حماد بن سلمة عن عمار الإمام ابن قتيبة واسمه عبدالله بن مسلم في كتابه في مُختلِف الحديث، وصرح بأنه حسن الطريق عند أصحاب الحديث.

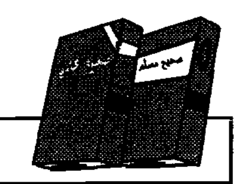
وكذا أورد أوله الإمام الحافظ أبو الفضل عياض في فصل عقده له من الباب الأول من القسم الثالث من كتابه الشفا. وصرح بصحته وكذا أورد الحديث الإمام أبو السعادات ابن الأثير في فضائل كتابه جامع الأصول.

وكذا أورد صاحب كتاب المجتبى الذي هو أحد مختصرات كتاب جامع الأصول. وأضافه كل منهما للثلاثة: البخاري ومسلم والنسائي من رواية أبي هريرة مرفوعاً.

وقد أتى ما أوردته في هذه الترجمة على روايات الحديث ورواته ومخرجيه وألفاظه وعلى من علمته. أورده في كتابه من الحفاظ والأكابر، إفادة تُريح الناظر هنا عن تعب طلب الزيادة.

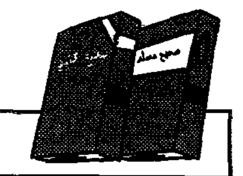
اعلم أن حديث الصك المراد هنا لم يخرجه مالك في موطئه ولا أبو داود الطيالسي في مسنده، ولا أبو داود سليمان بن الأشعث في سننه ولا الدارمي في سننه، ولا الترمذي في جامعه، ولا ابن ماجة في سننه، ولا أبو نعيم في دلائل النبوة، ولا في المظان من الحلية، ولا أورد السيوطي في كل من جامعيه الكبير والصغير مع تصريحه في طالعة الكبير بأنه قصد أن يسوق الأحاديث بأسرها فيه.





تلخيص

تبين مما تقدم أن الحديث خرّجه عبدالرزاق في مصنفه، وأحمد في مسنده، والبخاري ومسلم في صحيحيهما، والنسائي في سننه، والبزار في مسنده، وابن جرير في تاريخه، وابن حبان في صحيحه، وأبو إسحاق بن سفيان فيما زاده من روايته على مسلم، والحافظ الإسماعيلي في مستخرجه على صحيح البخاري. وتقدم أن أحد شيخي الإمام مسلم فيه هو عبد بن حميد، وهذا الشيخ له كتابان المسند والتفسير، أما المسند فقد روجعت منه نسختان اثنتان فلم يوجد الحديث فيهما حسبما أخبرني من وثقت بخبره ممن كلفته بذلك من أهل العلم. وبذلك قوي الظن أنه خرجه في التفسير فإن حقق الخارج هذا الظن كان عبد بن حميد من جُملة حفاظ الأمة الذين خرّجوا الحديث في مصنفاتهم، وعلى فرض عدم وجود الحديث في كل من كتابي عبد بن حميد فإن ذلك يكون نظير الواقع فيما رواه البخاري في علامات النبوة من صحيحه عن عبدالحميد فقد نقل ابن حجر اتفاق الحفاظ على أن المراد به عبد بن حميد. قال: (ولم أجد ما رواه عنه البخاري في كل من كتابيه المذكورين) وليس في عدم وجود مروي الشيخين في كتابي عبد بن حميد ما يثير أدنى شك في صحة روايتهما عنه. وإنما يكون ذلك من قبيل ما أخرجه الحفاظ من طريق الإمام مالك. والحال أنه لا وجود له في شيء من روايات موطئه. وقد قرر ذلك وأوضحه أشهر حفاظ المالكية والمغرب أبو عمر بن عبدالبر النمري في كتاب التقصي له، وقد تقدم أن إمام الأئمة أبا بكر بن خزيمة هو من جملة من تكلم في دفاع الإلحاد عن الحديث، وهل يكون ذلك وهو من أكابر متقدمي أئمة الحديث إلا بعد روايته وتخريجه له.



تنكيت

بما تقدم من كون هذا الحديث في الصحيحين وسنن النسائي وفي جامع الأصول ومختصره المجتبى، يعلم تقصير صاحب تيسير الوصول وهو أبو الفرج عبدالرحمٰن بن الديبع الشيباني الزبيدي، فإنه مع كونه تابعاً لأصوله جامع الأصول، وما تفرع عنه في التزام جمع أحاديث الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، أغفل إيراد هذا الحديث في مظانه من كتابه المذكور، وبمقتضى ذلك ينبغي أن لا يغتر بمجرد سكوته عن حديث في نفيه عن الأصول المذكورة أو بعضها، ولا سيما مع انتشار وجودها وتيسر الوقوف على الحقيقة منها، والإعانة بيد الله سبحانه.

* * *

تمحيص

علم مما سبق في التأسيس أن الحديث لم يروه من الصحابة إلا أبو هريرة وأنه كان مرة يصرح في أوله برفعه للنبي ﷺ، ومرة كان يستغني عن ذلك بما في آخره من الدلالة على رفعه كله حسبما سأبيّن وجهه، وأنه بالوجهين جاء في الصحيحين ومسند أحمد، ولم يأتِ في مصنف عبدالرزاق وتاريخ ابن جرير ومسند البزار إلا مصرحاً برفعه، وأنه لم يأتِ في الصحيحين والنسائي إلا من طريق عبدالرزاق، وجاء في مسند أحمد،

وتاريخ ابن جرير من طرق أربعة أخرى، وعليه فأما انفراد صحابي به فجماهير علماء الأمة على أن ذلك لا أثر له في ضعفه وعلى أنه لا يشترط في صحة المروي تعدد الراوي له لا من الصحة ولا ممن بعدهم. قال السيوطي في ألفيته الاصطلاحية:

وليس شرطاً عَددٌ ومنْ شَرَط رِوايةَ اثنين فصاعداً غلط

وقال الحافظ أبو محمد ابن حزم في كتاب الأحكام في أصول الأحكام (إذا روى العدل عن مثله خبراً حتى يبلغ به النبي ﷺ فقد وجب الأخذ به ولزمت طاعته سواء روي من طريق أخرى أو لم يروَ إلا من تلك الطريق) وقال الحافظ ابن القيّم في كتاب إغاثة اللهفان: لا ترد أحاديث الصحابة والأئمة بالتفرد، فكم من حديث تفرد به صحابي وقبلته الأمة كلها، ولا نعلم أحداً من أهل العلم قديماً ولا حديثاً قال: إن الحديث إذ لم يروه إلا صحابي واحد لم يقبل، وإنما يحكي عن أهل البدع ومن تبعهم في ذلك أقوال لا يعرف لها قائل من الفقهاء، وقد تفرد الزهري بنحو تسعين حديثاً لم يروها غيره. وعملت بها الأمة ولم يردوها بتفرده) وإذا كان تفرد مطلق الصحابي بحديث ليس بعلة يُرد بها فكيف ما تفرد به أحفظهم باتفاق وهو أبو هريرة. قال السيوطي:

والمكثرون في رواية الأثر أبو هريرة يليه ابن عمرو

أما كون المنفرد خصوص أبي هريرة، وقد كان يتلقى حتى من كعب الأحبار الإسرائيلي، فلعل قصة صَكّ موسى لمَلك الموت هي مما تلقاه عنه، كما أن كثيراً من متأخري الحنفية طعنوا في مروي أبي هريرة عن النبي ﷺ في الأحكام المخالفة للقياس. واعتلوا لذلك بأنه كان يروي بالمعنى ولم يكن فقيهاً حسبما نقل ذلك النسفي منهم في كتابه في أصولهم. والتقي السبكي في تكميل شرح المهذب، والحافظ في الفتح وغيرهم.

فجواب الطعن الثاني من وجهين:

أحدهما: أن هذا الذي تهورت به هذه الطائفة من خصوص الحنفية

هو كما تراه في موضوع مخصوص خروج ما نحن فيه منه أوضح من نار على عَلَم.

وأما ثانياً: فقد قال التقي السبكي في هذا الموضوع قولاً حسناً، نحن نرحمه عليه وهو لولا سبقية هذا التهور من هذه الطائفة الذي تعين رده عليها لطهرنا اللسان عن تلويثه بذكره، وكيف تزعم هذه الطائفة عدم فقه أبي هريرة، وقد ثبت أن عمر بن الخطاب زمن خلافته ولاه على البحرين، وهل يظن بعمر أنه كان يولي غير الفقيه. ثم تولى أبو هريرة على المدينة زمن معاوية).

ولما انتصب حفاظ خلق الأمة الذين منهم ابن حزم وابن القيّم لترتيب أهل الفتوى من الصحابة جعلوا أبا هريرة مساوياً للخليفتين أبي بكر وعثمان في الاندراج في الدرجة الوسطى وهي الطبقة الثانية عندهم، وهل كان يتصدر للإفتاء في خير القرون إلا من تأهل له حقيقة، ولذلك كله خالف تلك الطائفة غيرها من الحنفية أيضاً فقال ابن مالك الحنفي في شرح المنار راداً على تلك الطائفة: (يمنع كون أبي هريرة لم يكن فقيهاً كونه كان يفتي زمن الصحابة. ولم يكن يفتي في ذلك الوقت إلا الفقيه المجتهد) وقد حفظ التاريخ قصة عجيبة أظهر الله تعالى الانتقام فيها لجانب هذا الصحابي الجليل في هذا الطعن بالخصوص، فحكى الحافظ ابن النجار في ذيل تاريخه، والحافظ ابن العربي المعافري في عارضته وغيرها، والحافظ السخاوي في الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ واللفظ له: أن أبا إسحاق الشيرازي أحد عظماء الشافعية سمع القاضي أبا الطيب الطبري يقول: (كنا في حلقة النظر بجامع المنصور فجاء شاب خراساني حنفي فطلب الدليل في مسألة المصرات أي البقرة ونحوها التي بيعت بعد احتباس لبنها في ضرعها إيهاماً لكثرته فيها، قال: فأورده المدرس من حديث أبي هريرة فقال الشاب: إن أبا هريرة لم يكن مقبول الرواية، قال القاضي فما استتم الشاب قوله هذا حتى سقطت عليه حية عظيم من سقف الجامع فتبعته دون غيره. فقيل له: تب فقال: تبت فغابت ولم ير لها بعد أثر).

وجواب الطعن الأول أن هذا الحديث لا مجال لاحتمال كونه عن غير النبي ﷺ كما يأتي في الشرح، وأما كون أبي هريرة كان يصرح تارة برفع الحديث ويتركه أخرى، فعنه جوابان اثنان.

أحدهما إجمالي عمومي وهو أن المعتمد عند أئمة هذا الشأن عند تحقق التعارض وصحة الروايتين معاً. هو تقديم رواية الرفع على رواية الوقف لأن الرفع زيادة من ثقة وهي مقبولة. قال أبو محمد بن حزم في كتابه في أصول الأحكام: إذا روى العدل عن مثله شيئاً حتى يبلغ به النبي ﷺ فقد وجب الأخذ به وسواء أرسله غيره أو أوقفه سواه) انتهى مختصراً وقد قدمت أوله، وهذا الذي جزم به ابن حزم هو الذي صرح الحافظ ابن الصلاح والحافظ العراقي بأنه الأصح. نص الأول على ذلك في مقدمته في علوم الحديث، والثاني في ألفيته وشرحها وعليه جرى السيوطي في ألفيته الاصطلاحية بقوله:

وقدم الرفع كالاتصال   من ثقة للوقف كالإرسال

وثانيهما تفصيلي خصوصي وهو أن ابن الصلاح فمن بعده أشاروا في تفاريع النوع الثامن من أنواع علوم الحديث إلى أن محل الخلاف فيما جاء مرفوعاً تارة وموقوفاً أخرى إذا لم يكن دليل الرفع قائماً أثناء الحديث الظاهر في الوقف وإلا كان ذلك كافياً في الاتفاق على رفع ذلك الحديث. والواقع في حديث الصك المتكلم عليه فيه الدليل أثناءه على كون جميعه مرفوعاً وهو قول أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**والله لو كنت ثم لأريتكم قبره...**» وقد أوضحت ذلك فيما يأتي في شرح هذا الفصل من الحديث، وعليه فهو متفق على رفعه وينبني على هذا أن توهم كون هذا الحديث تلقاه أبو هريرة من الإسرائيليات لا مجال له بعد كون أبي هريرة صرح برفعه للنبي ﷺ تارة ولوح له أخرى. وقد بسطت ذلك في شرح الفصل المذكور.

وأما كون الحديث لم يأتِ في الصحيحين إلا من طريق عبدالرزاق وهو ملموز بالتشيع ومختلف في توثيقه ووقع في عقله تخليط أواخر عمره

فاحتمل أن يكون هذا الحديث من تخليطه. فالجواب عن ذلك أن نقول: إن الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح قد أتى في ترجمة عبدالرزاق بلباب اللباب الكاشف عن أحوال عبدالرزاق كل حجاب. فقال ما هذا نصه: عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني أحد الحفاظ الأثبات صاحب التصانيف وثقه الأئمة كلهم إلا العباس بن عبدالعظيم العنبري وحده، فتكلم بكلام أفرط فيه، ولم يوافقه عليه أحد، فقد قال أبو زرعة الدمشقي: قيل لأحمد: من أثبت في ابن جريج عبدالرزاق أو محمد بن بكر البرساني؟ فقال: عبدالرزاق.

وقال عباس الدوري عن ابن معين: كان عبدالرزاق أثبت في حديث معمر من هشام بن يوسف. وقال يعقوب بن شيبة عن علي بن المديني. قال لي هشام بن يوسف كان عبدالرزاق أعلمنا وأحفظنا. قال يعقوب: كلاهما ثقة ثبت. وقال الذهلي: كان أيقظهما في الحديث وكان يحفظ. وقال عدي بن حاتم: رحل إليه ثقات المسلمين وكتبوا عنه إلا أنهم نسبوه إلى التشيع وهو أعظم ما ذمُّوه به. أما الصدق فأرجو أنه لا بأس به. وقال النسائي: فيه نظر لمن كتب عنه أخيراً، كتبوا عنه أحاديث مناكير، وقال الأثرم عن أحمد: من سمع عنه بعدما عمي فليس بشيء، وما كان في كتبه فهو صحيح، وما ليس في كتبه فإنه كان يلقن فيتلقن. قلت: احتج به الشيخان في جملة من حديث من سمع منه قبل الاختلاف، وضابط ذلك: من سمع منه قبل المئتين فما بعدها فكان قد تغير، وفيها سمع منه أحمد بن شبويه فيما حكى الأثرم عن أحمد وإسحاق الديري وطائفة من شيوخ أبي عوانة والطبراني ممن تأخر إلى قرب الثمانين ومئتين. روى له الباقون. هذا لفظ الحافظ في هذه الترجمة برمته سقته كذلك وآثرته على غيره لما علم من تبريز الحافظ في هذا الشأن، وكل منصف يرى أن أول ما وضعه في أساسها كون عبدالرزاق من الحفاظ الأثبات وكونه موثقاً عند الأئمة كلهم إلا عباس العنبري، وكون العباس هذا جازف في الطعن على عبدالرزاق بما لم يوافقه عليه أحد. وكون ثقات الناس رحلوا إليه. وأعظم ما ذمُّوه به نسبته للتشيع نسبة لم تخرجه عن الصدق، وكونه وإن تغيّر بعد عماه فالشيخان لم

يحتجا به إلا بالمروي عنه قبله. ولا شك أن هذه الفصول التي ألمّ بها ابن حجر هنا هي عيون المحتاج إليه من ترجمة عبدالرزاق عند من له معرفة لأنها كشفت عن كون الشيخين وبقية الست الذين اتفقوا على الاحتجاج به لم يحتجُوا به إلا لما ثبت عندهم وعند الجمهور من كمال حفظه وثقته إلى وقت تغيره وعن كون الشيخين لم يحتجا إلا بما رواه الثقات عنه قبل التغير، وأنا بحول الله وقوته أزيد المقام إيضاحاً، فأقول طعن العنبري الذي نبّه الحافظ على إسرافه فيه هو قوله بعد رجوعه من صنعاء (والله إن عبدالرزاق لكذاب والواقدي أصدق منه)، وقد رأيت رد الحافظ بالإسراف له والشذوذ وأما ابن الصلاح فإنه في النوع الثاني والستين من مقدمته قد تأوله على ما شاهده العنبري من عبدالرزاق حين اختلاطه وبه وضح أن طعن العنبري في عبدالرزاق إن لم يحمل على وقت اختلاطه فهو عندهم مردود غير ملتفت إليه. وكل ذي خبرة لا يتردد في أنه لو وقف ثبوت فضل شخص على اتفاق الألسن على فضله لما صح الفضل لأحد إذ لكل إنسان مادح وقادح وقد قال الله تعالى لأكرم خليقته عليه وأتقاهم وأزكاهم وأعدلهم: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤].

وأما نسبة التشيع لعبدالرزاق فإن الخزرجي في الخلاصة (نقل عن الإمام أحمد أحد أكابر تلاميذ عبدالرزاق أنه لما ذكر له ذلك عنه أجاب بأنه لم يسمعه منه).

وابن عدي الذي تقدم عنه نسبته ذلك لعبدالرزاق سبق في النقل عنه أنه لم ينقل ذلك عن معين ولا يصح حمل كلامه على عموم من رحل إليه بدليل ما تقدم آنفاً عن أحد كبار الأئمة الراحلين إليه وهو الإمام أحمد. وهنا نترحم على بعض العصريين وهو الجمال القاسمي حيث قال: هنا أمر ينبغي التنبه له وهو أن رجال الجرح والتعديل عدُّوا في مصنفاتهم كثيراً ممن رمي ببدعة وسندهم في ذلك ما كان يقال عنهم من كونهم من الشيعة أو الخوارج أو نحو ذلك من البدع، والحال أنك إن حققت نسبة ذلك إليهم لم يوجد لها أصل ألا ترى أن كثيراً ممن رمي بالتشيع من رواة الصحيحين لا تعرفهم الشيعة. قال: ولقد راجعت من كتب الشيعة كتابي الكشي والنجاشي

فما وجدت ممن نقل السيوطي في التقريب رميهم بالتشيع من رجال الصحيحين إلا أبان بن تغلب وعبدالملك بن أعين. قال: فاستفدت بذلك مهما من العلم وهو الرجوع في تحقيق من رمي ببدعة إلى مصنفات رجال تلك البدعة. هذه خلاصة ما نبّه عليه الجمال القاسمي في كتابه قواعد التحديث.

وقد بان منها أن عبدالرزاق الملموز بالتشيع هو غير مذكور في كتب الشيعة فكان ذلك مؤكداً لما أجاب به تلميذه الإمام أحمد من عدم معرفته ذلك فيه. ثم على فرض تحقق ذلك عن عبدالرزاق. والحال أنه لم يوجد أحد صرح بأنه كان من الغالين في تلك البدعة ولا من دعاتها. فإن ذلك يحقق ما تقدم عن ابن عدي الناقل لتلك النسبة فيه من كون ما نسب إليه لم يمس صدقه ولا ثقته والذي يزيد ذلك بياناً هو قول الذهبي صدر ميزان الاعتدال: البدعة على ضربين صغرى: كالتشيع بلا غلو، أو بغلو كالطاعن فيمن حارب علياً من الصحابة فهذا موجود في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق فلو ردّ صاحبه لذهب جملة من الآثار. وبدعة كبرى: كالرفض الكامل والغلو فيه فهذه تُرد رواية صاحبها. هذا كلام الذهبي.

وقال ابن الصلاح في علوم الحديث: ذهب الكثير أو الأكثر إلى قبول رواية غير الداعية لبدعته، وهو أعدل المذاهب وأولاها، فإن كتب الأئمة طافحة بالرواية عن غير الدعاة من المبتدعة. وفي الصحيحين كثير من أحاديثهم في الأصول وغيرها. هذا كلام ابن الصلاح.

وقال ابن حجر في المقدمة: (المبتدع الذي لا يكفر ببدعته إذا كان معروفاً بالتحرز من الكذب موصوفاً بالديانة مشهوراً بالسلامة من خوارم المروءة، لأهل السنة في قبول روايته ثلاثة أقوال: أعد لها قبول روايته، وإليه صارت طوائف من الأئمة حتى ادعى ابن حبان بنقل ذلك الإجماع، بل مثله للباجي وابن القطان، وتعقب ابن حجر له، سبقه إليه ابن دقيق العيد، والأقوال التي نقلها ابن حجر هي شاملة للداعية وغيره، وقد صرح

بذلك في جمع الجوامع، فقال: يقبل مبتدع يحرم الكذب. ثالثها قال مالك: إلا الداعية). وأقره المحلي.

وعلى قبول الداعية جرى الشيخان في صحيحيهما خلاف ما أوهمه كلام ابن الصلاح المتقدم فقد رويا معاً عن داعية الإرجاء أبي يحيى عبدالرحمٰن الحماني رواية البخاري عنه في فضائل الأعمال. ورواية مسلم عنه في المقدمة. وروى البخاري عن داعية الخوارج عمران بن حطان حديث «**إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة**».

وكذا روي عن غيرهما من الدعاة فدلّ ذلك كله على قوة القول بالقبول حتى في الداعية المتصف بالديانة والصدق. وقد قال الآمدي في أحكامه (قبول رواية المبتدع الذي يحرم الكذب هو قول الشافعي وأصحابه وأكثر الفقهاء، وكثير من الأصوليين) وإذا انجلى هذا كله فإنه ينكشف به سقوط الطعن في عبدالرزاق بتلك النسبة للتشيع التي قدمت شرح حالها لكونها إن ثبتت فهي كما تقدم عن الذهبي من البدع الصغرى التي جزم هو بعدم الرد بها، وقد ترادف كلام الأئمة الذي أوردته بعده على ما حقق اعتماد ما جزم به وأما الطعن في عبدالرزاق بالاختلاط الذي حدث له أواخر عمره وباحتمال كون ما وقع في حديث الصك من تخليطه، فالجواب عنه ما تقدم ـ وما بالعهد من قدم ـ عن الحافظ ابن حجر من كون ما في الصحيح عن عبدالرزاق هو كله من حديثه قبل الاختلاط، وقد سبقه لذلك ابن الصلاح في النوع الثاني والستين من مقدمته، وأتى في ذلك بعبارة عامة فقال بعد ذكر اختلاط عبدالرزاق ما نصه: (من كان من هذا القبيل محتجاً به في الصحيحين أو أحدهما فإنا نعلم على الجملة أن ذلك مما تميّز وكان مأخوذاً عنه قبل الاختلاط).

وكذا سبق إلى ذلك النووي في مقدمة شرح مسلم وغيرها قائلاً: (إن المخرج عنه وعن غيره من نظرائه في الصحيحين هو من حديثه المروي عنه قبل الاختلاط).

ولا شك أن كل من كانت عنده معرفة وإنصاف إذا استحضر مبلغ حفظ الشيخين ومعرفتهما بعلم الحديث عند أهل المعرفة به ثم ضم لذلك

ما اتفق عليه هؤلاء الحفاظ الثلاثة ابن الصلاح والنووي وابن حجر من الجزم بأن جميع ما في الصحيحين من حديث الرواة الذين حدث لهم اختلاط هو من حديثهم المروي عنهم قبل حدوث الاختلاط لهم. فإن ذلك يلجئه إلى أن يطمئن لذلك ويجزم به هو أيضاً، ويحكم برفض احتمال وقوع شيء فيهما من أحاديث المخلطين بعد اختلاطهم لا الحديث الذي نحن فيه ولا غيره ولكن لبعض الأقلام هفوات كما أن لبعض أصحابها عثرات. فقد رأيت لبعض من ظهر فضل علمه من العصريين المصريين اعتماد هذا الاحتمال في حديث آخر لأبي هريرة، رواه مسلم في صحيحه من طريق بعض الرواة الثقات الذين حدث لهم الاختلاط أواخر عمرهم، ولرد ذلك ولسد باب ذلك الاحتمال هناك وهنا وفي كل مُشاكل لذلك أقول: كان لسان حال مجوز ذلك الاحتمال يقول إن ابن الصلاح ومن وافقه من الحفاظ في الجزم بكون ما في الصحيحين أو أحدهما من أحاديث المختلطين ليس هو من أحاديثهم بعد الاختلاط لم يأتوا على ما جزموا به ببرهان وتقليد معرفة الشيخين في ذلك قد لا يجدي؛ لأن الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو، والسهو في نوع الإنسان أصيل، والغلط له خليل، فلا بد من برهان يكشف الحقيقة ويبهت من يروم الميل عن سوى الطريقة وجوابه أن الذي يندفع به ذلك الوهم وينجلي به الخفا ويبرز الحقيقة على التمام والوفا هو ما أسطره ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧][1] وهو أن يعلم أولاً أن الاختلاط الذي حدث لعبدالرزاق قد ثبت عن جل المعتمدين ممن قدمت رواية الحديث من طريقهم عنه علمهم به وتصريحهم بأن حديث عبدالرزاق بعد الاختلاط لا يشبه حديثه قبله. أما البخاري فينقل العيني عن تاريخه الكبير قوله: (ما حدث به عبدالرزاق من كتابه فهو أصح) والذي حدث به عبدالرزاق من كتابه هو ما حدث به قبل عماه واختلاطه، وأما الإمام أحمد والنسائي فقد تقدم التصريح بذلك عنهما فيما نقله ابن حجر في ترجمة عبدالرزاق وهؤلاء الأئمة الثلاثة: أحمد والبخاري والنسائي هم معظم

(١) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

المعتمدين ممن قدمت روايتهم لحديث صك موسى لمَلك الموت من طريق عبدالرزاق، وبعد استحضار السامع هنا لهذا نقول ثانياً تواطؤ أولئك الأئمة على رواية حديث الصك من طريق عبدالرزاق هو بالنظر لمجرد الاحتمال العقلي لا يخلو من إحدى صور ستة:

إحداها: أن يكون أولئك الذين الاعتماد على تخرجيهم لحديث النزاع مع تقدم علمهم بأن الاختلاط حدث لعبدالرزاق وبأن حديثه بعده لا تناسب رتبته مقصود كتبهم وبأن جديث النزاع هو من حديثه بعد الاختلاط ذهلوا عن ذلك حين تخريجهم له واستمروا عليه إلى وفياتهم.

ثانيها: أن يكونوا مع علمهم باختلاطه وبأنه موجب الانحطاط حديثه بعده اشتبه عليهم أمر هذا الحديث حين تخريجهم له فلم يتحققوا بأنه من حديثه بعد الاختلاط ولا من حديثه قبله.

ثالثها: أن يكونوا علموا بأنه من حديثه بعد الاختلاط ولكنهم لم يعلموا حين تخريجه بأن حديثه بعد الاختلاط لا يشبه حديثه قبله.

رابعها: أن يكونوا حين تخريجهم له لم يكن لهم علم باختلاط عبدالرزاق ولا بما يترتب عليه في حديثه.

خامسها: أن يكونوا علموا بالاختلاط وبحكمه. وبأن هذا الحديث هو من حديثه بعد الاختلاط ومع ذلك تعمدوا تخريجه في كتبهم.

سادسها: أن يكونوا أخرجوه لكونهم يتحققون أنه من حديث عبدالرزاق قبل اختلاطه ولا سابع لهذه الاحتمالات، وعليه فلا جائز أن يكون الواقع هو الصورة الأولى التي هي حصول السهو لمخرجي هذا الحديث حين تخريجه عن كونه من حديث عبدالرزاق بعد الاختلاط، واستمر سهوهم بعد ذلك إلى وفياتهم لوضوح شدة بعد اتفاق تواطؤ ذلك السهو على جميعهم مع اختلاف أزمنة تخريجهم له. وأشد بُعداً منه استمرار هذا السهو على جميعهم إلى وفياتهم والحال أنه كثر منهم فيما بين أزمنة تخريجهم له والأزمنة التي انتقلوا فيها للآخرة، إسماعهم الكتب التي تضمنته في أوقات مختلفة لمن يكاد خروجهم عن الحصر من رواتها عنهم من غير

أن يقع من جميع المخرجين ولا من بعضهم ولا من بعض الرواة عنهم تذكر ذلك السهو أثناء تلك الأزمنة المختلفة ولا تذكير بعض السامعين منهم لهم أو لبعضهم به، لا تردد عندي في كون هذا مما تحيله العادة، ولا جائز أن يكون الواقع هو الصورة الثانية التي هي إيداعهم هذا الحديث في كتبهم وهم لا يدرون هل هو من حديث عبدالرزاق بعد اختلاطه أو بعده، إذ لا مساغ لهذه الصورة في حق الشيخين لأن اشتراطهما صحة ما يرويانه يناقضه شكهما فيها في هذه الصورة. وكذا لا مساغ لها في حق الإمام أحمد لما تقدم عنده من إعلانه بأن ما سمع من عبدالرزاق بعد الاختلاط هو لا شيء. ولما وصل إلى آذان عموم ذوي العلم مما كان عليه الإمام أحمد من شدة التثبت والتحري. ولما نقله الحافظ العراقي في شرح ألفيته من تصريحه بأنه أتى هو عبدالرزاق قبل المئتين وهو صحيح البصر وبأن من سمع من عبدالرزاق بعدما ذهب بصره فهو ضعيف السماع. وقد أكد العراقي هذا بقوله بعده: (إن ممن سمع من عبدالرزاق قبل اختلاطه أحمد بن حنبل).

وكذا لا مساغ لذلك في حق النسائي لقوله السابق: كتبوا عن عبدالرزاق مناكير بعد اختلاطه، فكيف مع اعتراف النسائي بهذا ومع ما كان عليه من كمال العدالة والمعرفة يستجيز رواية حديث في كتابه يجزم أو يتردد في كونه من المناكير من غير تنبيه منه عليه. وقد قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: (إذا كان الراوي ليس بمعدن الصدق والأمانة ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ولم يبين ما فيه لغيره مما جهل كان آثماً بفعله غاشًا لعوام المسلمين).

وقد صرح ابن الصلاح وغيره بأن المشكوك في كونه من حديث المختلط قبل الاختلاط هو كالمحقق في كونه من حديثه بعده، وبمقتضى هذا كله علم بأن النسائي حيث خرج الحديث في كتابه ولم ينبه على أنه من حديثه بعد الاختلاط أفاد بذلك أنه قائل بأنه من حديثه قبله.

وكذا لا جائز أن يكون الواقع هو الصورة الثالثة التي هي عدم تقدم علم للمخرجين لهذا الحديث باختلاط عبدالرزاق وما يترتب عليه لما تقدم من ثبوت علمهم به.

وكذا لا جائز أن يكون الواقع هو الصورة الرابعة التي هي عدم علمهم حين تخريج الحديث بأن حديث المختلط بعد الاختلاط لا يشبه حديثه قبله لما تقدم من ثبوت علمهم بذلك أيضاً ومن تحذيرهم غيرهم من التسوية بينهما.

وكذا لا جائز أن يكون الواقع هو الصورة الخامسة التي هي تعمدهم لتخريج ما هو من حديث عبدالرزاق بعد اختلاطه، وسنداً لمنع في هذه الصورة هو ما فيها من تواطؤ أولئك الأئمة الهداة الثقات الأثبات على تعمد الخيانة وارتكاب ما هو نقيض الأمانة، هذا وهُم من أركان الملة ومن عيون قاداتها لا تردد عندي في أن كل من يختلج في فكره ويجري لسانه وبنانه ما يسقط عدالة أركان الملة الذين أوصلوا لنا شرائع الدين، وحملوها على كاهلهم منقاة مهذبة لعموم المؤمنين بمجرد أمثال هذه الاحتمالات التي هي في الحقيقة محض عراقة في الجهالات، فهو إنما يسعى في هدم أسس الدين وتضليل المؤمنين بإبطال ما فرغ من صحته من سنن سيّد المرسلين، وبتكذيبه ﷺ في قوله: «**يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله..**» الحديث.

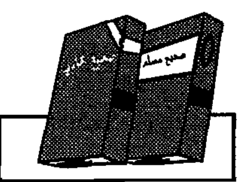
وإذا وضح بهذا البيان البرهاني الذي جلوته هنا، وقربت به مسافة الوقوف على الحق والحقيقة للقاصي والداني سقوط احتمالات الصور الخمسة المشروحة بطريق السبر والتقسيم فإنه لا محالة يتعين به انحصار حقيقة الواقع في الصورة السادسة التي اتفق على الجزم بها سابقاً ابن الصلاح والنووي وابن حجر ومن وافقهم، وهي كون صاحبي الصحيحين ومن وافقهما ما خرجوا من أحاديث من حدث لهم الاختلاط إلا ما ثبت عندهم أنهم حدثوا به قبل اختلاطهم، فعلى طالب الرشد الوقوف عند حد ذلك، وعدم الحوم حول غيره.

اللهم علِّم جهلنا وثبِّت قلوبنا بمحض فضلك على دينك واتباع سبيل المؤمنين فيه، يا حليم، يا رؤوف يا رحيم.

وبعد ذلك التأسيس، وهذا المهم من التمحيص نشرع في شرح

الحديث الذي هو بيت القصيد شرحاً يستوعب فصوله كلها، وألفاظ الروايات الواردة فيه جميعها مقرباً لنواله، دافعاً لسائر وجه إشكاله، مسلوكاً فيه نهج الإيضاح، وإن لم يعد بعض ذلك بعض ذوي المعرفة من أكيد الإصلاح، وعذري فيه ما نبهت عليه في الخطبة من تقليل شارحيه وإحالتهم ما سكتوا عنه على إدراك عارفيه هو الذي أوقع غير واحد ممن أتى بعدهم في الحيرة حتى تعدد كما تقدم هناك التصريح من جانبهم بأنه لا يتسطيع تمشية الحديث على النهج المستقيم ذو خبرة، وسيتضح من الشرح أنهم إنما حجروا واسعاً، وإنما أعلنوا بما قالوه عن مبلغ علمهم وعن قصور نظرهم، والحكمة كما قال تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وإن لم يكن ممن تظن به.





[شرح الحديث]

فأقول: قول الحديث (أرسل) كذا تقدم هذا الفعل في كثير من الروايات بالبناء لما أغنى عن تسمية فاعله، وهو الله تعالى، حصول العلم به من قوله تعالى عن الملائكة: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] ومن قوله سبحانه أيضاً: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧].

ومن تصريح الملك به أثناء هذا الحديث نفسه بقوله (إنك أرسلتني) وقد أبدل ذلك الفعل في بعض ما تقدم من الروايات مرة بلفظ [جاء] ومرة بلفظ [أتى] والمراد مجيئه وإتيانه بإرسال من الله تعالى وبأمر منه حسبما شرحته.

وقول الحديث (مَلَك الموت) كذا جاء ملك الموت غير مسمى في هذا الحديث، وفي سائر ما ثبت ذكره فيه عن الشارع، وما شاع من تسميته عزرائيل إنما جاء في بعض الأحاديث الموضوعة، ولم يثبت به حديث مرفوع، وما وقع في الجزء الأول من شرح الواهب نقلاً عن الطبراني وابن منده وأبي نعيم من أنهم رووا أن عزرائيل قال للنبي ﷺ: (طب نفساً وقر عيناً فإني بكل مؤمن رفيق، والله لو أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت حتى يأذن الله بقبضها) هو رواية بالمعنى الذي ظنه بعض الرواة حسبما يتضح ذلك مما أذكره. وقد أورده الدميري في (حياة الحيوان) والسيوطي في (شرح الصدور) وليس فيه إلا مَلَك الموت. وكذا أورده الألوسي بتمامه في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]. من رواية

ابن أبي حاتم وأبي الشيخ بلفظ ملك الموت، قائلاً: أخرج نحوه الطبراني وأبو نعيم وابن منده.

ويأتي لفظ رواية الطبراني ومن معه في شرح قول الحديث: كان ملك الموت يأتي الناس عياناً وهو مع ما يأتي هناك عن الحافظ الهيثمي من جهالة راويين في سنده، ليس فيه إلا التعبير بملَك الموت، وإنما ثبت التصريح بتسمية مَلَك الموت عزرائيل فيما رواه أبو الشيخ في (العظمة) عن وهب بن منبه التابعي من قوله. ولم ينقل ذلك الحافظ السيوطي في غير واحد من كتبه إلا عن هذه الرواية عن وهب، نعم، في كتابه (شرح الصدور) أورد رواية لابن أبي الدنيا وأبي الشيخ عن أشعث بن سليم موقوفاً عليه وفيها التصريح بأن اسم ملك الموت عزرائيل. وقد ذكر الغزالي في كتاب ذكر الموت من (الإحياء) أثر أشعث المذكور من غير عزو، وأضافه شارح الإحياء لابن أبي الدنيا وأبي الشيخ.

وقول الحديث «**فلما جاءه**» ظاهره مجيء مَلَك الموت حقيقة بنفسه لمباشرة ما أمر به ويعضد هذا الظاهر ما صرحت به الروايات المتقدمة من رجوعه إلى ربه، ومن كونه كان يأتي الناس عياناً، والتعبير عنه بمَلك الموت في هذا الحديث يقتضي تخصيصه بهذه المأمورية، كما أن الإخبار عنه بالمجيء إليها هنا يقتضي أن ذلك هو شأنه دائماً في تنفيذها. ويعضد الأول ظاهر عموم قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ولا ينافيه ظاهر قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام: ٥٠] وكذا قوله جلّ وعلا: ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣] لأن الصحيح في الجمع بين هذه الآيات وبين آية المفتتح بها هو كون الجمع فيما بعدها من الآي اعتبر فيه دخول أعوان ملك الموت من الملائكة. ومن الجلي أن إعانة أي شخص على عمل ما لا تقتضي نفي أصل مباشرته عنه ولا تضاد أصل إسناده وظيفة إليه وكذا بضده ما خرجه ابن أبي الدنيا عن الحكم أن النبي يعقوب عليه السلام قال لمَلك الموت: ما من نفس منفوسة إلا وأنت تقبض روحها؟ قال: نعم. وقد خرج جويبر في تفسيره عن ابن

عباس نحوه، ولكن جويبر الراوي هنا قال السيوطي: هو ضعيف جداً. وقال الذهبي في الميزان: جويبر بن سعيد أبو القاسم الأزدي البلخي المفسر صاحب الضحاك. قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي والدارقطني وغيرهما متروك.

وقد روى جويبر نفسه ما يخالف مرويه هذا، كما يأتي، وقد جاءت آثار في بعضها أن مَلَك الموت يدعو الأرواح المتنائية التي حان قبضها فتجيبه، وفي بعضها أن الدنيا جعلها الله كطست أو مائدة بين يديه يتناول منها ما شاء. وفي بعضها وهو لمعاذ بن جبل عند أبي نعيم أن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، فإذا انقضى أجل عبد ضرب رأسه بها، ونحوه خرجه ابن عساكر عن ابن عباس وزاد فيه وصف الحربة بكونها مسمومة. قال السيوطي على هذه الرواية جرى الغزالي في الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، وإن لم يقف عليها القرطبي في تذكرته، وقد أورد الآثار المشار إليها كلها السيوطي في شرح الصدور، ويخلص من مجموع ما ذكر أن المَلك تارة يجيء لقبض الروح وتارة يستغني عن المجيء، وتارة يباشر بنفسه وتارة بأعوانه.

قال الألوسي: وأما ما رواه الضحاك عن ابن عباس من أن ملائكة الموت أربعة أحدهم للإنس، والثاني للجن، والثالث للشياطين، والرابع للطير والوحوش والحيتان والسباع والنمل، فالله أعلم بصحته، والجمهور على خلافه.

قلت: أثر الضحاك عن ابن عباس هذا أورده في شرح الصدور عن رواية جويبر، وقال عقبه: جويبر ضعيف جداً، كما أورده أيضاً من رواية أبي الشيخ والديلمي والعقيلي في الضعفاء عن أنس مرفوعاً: «**آجال البهائم وخشاش الأرض كلها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس إلى ملك الموت من ذلك شيء**» وقال عقبه: قال ابن عطية والقرطبي: كأن معنى ذلك أن الله يقبض أرواحها بلا مباشرة ملك الموت ولكن أخرج الخطيب في رواة مالك عن سليمان بن معمر أنه سمع مالكاً

يجيب بأن ملك الموت يقبض أرواح البراغيث مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢].

قلت: هذا الاستدلال يشير إلى أنه لا تنافي بين هذه الآية وبين آية ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] لكونه تعالى هو الخالق لكل فعل، ومنه الموت وإن باشره الغير وقد تبقى الآية على ظاهرها فيما جاء فيه أن الله يقبض روح صاحبه بيده، ومنه حديث ابن ماجة عن أبي أمامة رفعه أن الله تعالى وكَّلَ مَلَك الموت بقبض الأرواح إلا شهداء البحر فإنه سبحانه وتعالى يتولى قبض أرواحهم.

وقول الحديث «**صكه**» يقال صكه إذا ضرب قفاه أو وجهه باليد مبسوطة، والمراد هنا الثاني بدليل رواية لطمه أي ضرب وجهه بباطن كف الضارب كما أن رواية ففقأ عين ملك الموت عينت ما نشأ من الصك واللطم المذكورين وتحقق بها أمران اثنان:

أحدهما: أن الصك وقع بقوة وشدة وإلا لما أفضى لفقء العين وقد أيّد ذلك ما كان لموسى عليه السلام من القوة التي أشعر القرآن بها في قوله: ﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وفي قوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

وثانيهما: أن ملك الموت جاء في صورة يمكن فقء البشر لعينها، والمعهود في مجيء الملك للبشر هو مجيئه له على صورة البشر، كما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] وكما أفادته النصوص القرآنية التي ذكر فيها مجيء الملائكة لإبراهيم وللوط وداوود. وكذا نصوص الأحاديث التي ذكر فيها مجيء جبريل لنبينا ﷺ، وبه تبين أن فقأ العين هنا هو على ظاهره، وأنه وقع في الصورة البشرية التي جاء ملك الموت عليها وهي ممكن فيها ذلك إلا في الصورة الملكية الأصلية النورانية البعيدة عن ذلك، إذ لم يعهد مجيء الملائكة للبشر فيها. وأما رؤية نبينا ﷺ لجبريل على صورته الأصلية في السماء مرة وبين السماء والأرض أخرى، فهي خارجة عن مجيء الملك الذي الكلام فيه، وبمجموع هذا الذي قررته هنا

وضح انحلال استشكال وصول صك موسى لعين الملك وحصول فقء عين الملك من أثره.

وقول الحديث **«فرجع إلى ربه»** كذا هو في غالب ما تقدم من رواياته وقد تقدم في بعضها فرجع إلى الله عزّ وجل. وتقدم في بعض آخر إبدال (رجع) بلفظ (أتى) وكل ذلك يدل على أن ملك الموت رجع إلى المحل الذي أرسله ربه منه، ولئن كان محلاً سماوياً حسبما يقتضيه كون السماء مسكن الملك الجاءي. وكان كالمحل الذي رجع إليه نبينا ﷺ في قضية الإسراء لسؤال التخفيف من الخمسين صلاة المفروضة أولاً. فإن الله تعالى نادى وأرسل رسوله موسى عليه السلام وهو - أعني موسى عليه السلام - في محل أرضي الذي هو الوادي المقدس: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝﴾ [طه: ١١، ١٢] وفي الأرض أيضاً كانت ميقات مناجاة موسى وتكليم الله تعالى له بها المرة الأخرى التي قال فيها: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فتحقق بذلك كله أن الأمر كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤] أنه منزّه عن أن تحصره الجهات، كيف وهو خالقها ومكونها فنصوص العلو التي كثر مجيئها في جانبه تعالى يجب التصديق بها على مراد الله فيها لا على الكيفية التي تسبق للأوهام وتخل بنص قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] وهذا هو حقيقة مذهب السلف التي نبّه علينا منهم عالم المدينة مالك بن أنس في قوله: التصديق بالاستواء على العرش واجب، والكيف مجهول. وبهذا الشبيه من مالك اقتدى كل من بين مذهب السلف بعده. وقد اتفق المعتبرون في الفن على أن مذهب السلف في هذا الباب هو لباب اللباب، وعين الحق في العقيدة والصواب.

وقول المَلك في الحديث خطاباً للرب جلّ وعلا **«إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت»** ليس هو شكاية للّه تعالى من إرساله إياه لمن هو من عبيده بالصفة التي ذكرها إذ شأن كل رسالة بما لا يلائم الطبع أن يرى الرسول بها من المرسل إليه عند أدائها له ما يشق عليه. كما قال موسى وهارون عليهما السلام لما أرسلهما الله تعالى لفرعون: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ

﴿عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]. وكما قال ورقة لنبينا ﷺ ليتني فيها جدعاً إذ يخرجك قومك، ولن يأتي أحد بمثل ما جئت به إلا عودي والملائكة وخصوصاً رسلهم وخصوصاً من عين منهم للرسالة في سلب الأنفس وإعدام الأرواح يعلمون خطر ما أرسلوا فيه علماً محققاً وإنما هو شكاية لله تعالى من عبد هو مع كون الله تعالى جعله من خاصة الخاصة من عبيده وهو كليمه موسى لم يرَ الملَك الشاكي منه ما يلائم خصوصيته عنده، فكأن ملَك الموت يقول لربه جلّ وعلا: ما قابلني به عبدك موسى لا يناسب خصوصيته عندك، فإني قلت له: أجبْ ربك، فكان جوابه لي بصكي وبفقوء عيني.

ثم إن هذا الصك وما نتج عنه هو كما ترى صادر من رسول بشري مصطفى برسالة الله وبكلامه لرسول ملكي مكرم جاء حاملاً لأمر إلهي محتم، فتكون هذه الصورة الظاهرية منه مخلة بما يليق بكل من جانب الله وجانب هذين الرسولين. أما الجناب الإلهي فلما فيها من إهانة رسوله الملكي من غير نصرة والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، ولما فيها من رد قضائه ولا راد لما به قضى ولما فيها من تأخير الموت بعد حلول أجلها إذ لم يأتِ ملك الموت لقبض تلك الروح إلا عند حلول الأجل، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ﴾ [يونس: ٤٩] وأما جانب الرسول الملكي فلما فيها من إهانته والتعدي عليه وعدم أخذ حقه بعد شكايته ولأن ما خلقه الله تعالى عليه من القوة التي أمكنه معها قبض أرواح أهل الأرض كلهم تحميه من وصول أذى البشر الضعيف. وأما جناب الرسول البشري فلما فيها مما لا يليق بالعصمة من غيرما وجه فلتبادر هذه الإخلالات المتنوعة كلها كان هذا المحل من هذا الحديث أعظم ما أشكل فيه في القديم والحديث.

والجواب أن هذا الإشكال هو عند التحقيق لا ورود له بحال لأنه إنما نشأ عن الإخلال بما تجب مراعاته وعن توهم علم موسى في المرة الأولى بأن الجائي إليه ملك والحالة أن هذا التوهم ليس في الحديث ما يدل عليه ولا في كون موسى رسولاً ما يقتضي علمه بكل ملك جاء إليه. أما الأول فواضح، وقول الجائي أجب ربك قد تجرد عن مصدق له في الرسالة في

ذلك وعما يحقق كونه ملكاً. والدعوة المجردة لا تقوم بها حجة. وأما الثاني فلأن الملائكة ثبت في القرآن مجيئهم إلى الأنبياء والرسل ولم يعرفوهم. فمن عدم معرفة إبراهيم الخليل عليه السلام بهم مجيئه إليهم ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٦٩] ومن عدم معرفة النبي لوط عليه السلام بهم مخافته عليهم من قومه حتى قال: ﴿هَٰؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾ [هود: ٧٨] ومن عدم معرفة داوود عليه السلام بهم إصغاؤه بعد الفزع من المتسورين عليه المحراب لقولهما: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا﴾ [ص: ٢١].

ثم لتحكيمهما له. ومن عدم معرفة نبينا ﷺ في أول الأمر بجبريل لما جاءه لبيان الإيمان والإسلام والإحسان في حديثه المشهور. أمره للصحابة بأن يردوه عليه وقد صرّح ﷺ بكونه لم يعرف أنه جبريل حين حضوره عنده بقوله في بعض روايات الحديث: ما خفي علي إلا في هذه الساعة. وموسى الكليم عليه السلام هو أسوة إخوته الرسل في مثل هذا المقام. وقد قال الله تعالى لعموم خلقه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ولا شك أن رتبة موسى عند ربه مما تزيد جانبه بُعداً عن صدور الصك منه لمن يعلم أنه ملك رسول إليه من عند ربه بل كونه من أعظم الرسل الذين من شرط رسالتهم للعصمة بعد الرسالة عن الكبائر وصغائر الخسة بالإجماع كما نقله السبكي وغيره يستحيل أن يصدر منه بعد رسالته ما ينافي عصمته الذي منه هنا صكه للمَلك وفقؤه لعينه بغير حق. وإذا وضح بهذا كله بطلان علم موسى حين الصك يكون المصكوك ملكاً رسولاً إليه من عند الله انكشف منه أنه لا ورود لشيء من تلك الإخلالات ولا للإشكال المبني عليها عدى ما يرجع للتأخير بعد حلول الأجل، فسيأتي قريباً ما يدفعه، ولا يقال إذا لم يعرف موسى عليه السلام أنِ جاء به مَلك وإنما عرف كونه رجلاً، فمن أين ساغ له صك ذلك الرجل وفقؤه لعينه. والحالة أن موسى عليه السلام هو الآتي بالتوراة التي فيها ما أعلن به القرآن في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥] لأنا نقول: ساغ له ذلك في رجل تسور عليه منزله ومحل أهله بغير

إذنه وطلب سلب روحه، وقد ثبت في الحديث إنما جعل الإذن من أجل البصر، كما ثبت في الشرع إباحة دفع الصائل بكل ممكن وإن آل إلى قتله. فإن قلت: الملائكة ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧] حسبنا ذلك كله هو نص الذكر الحكيم، وبمقتضى ذلك. فمَلك الموت ما جاء لقبض روح موسى إلا بعد أمر الله له بذلك. ولا يأمره الله تعالى بقبضها إلا وقد حان أجلها. وإذا حان أجلها فلا تستأخر ساعة. وحينئذ فما وجه في هذا الحديث من التأخير حتى حصل الصك وحتى رجع الملك إلى ربه شاكياً، وحتى رده الله تعالى بتخيير موسى، وحتى اختار موسى التعجيل. قلت: لا شك أن المعتقد الحق ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢] وأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريده. وأنه كا أخبر عن نفسه ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[1] [الحج: ١٨] و﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[2] [الحج: ١٤] و﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[3] [الأعراف: ٩٩] وأنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وأنه ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾[4] [الأنعام: ١٤٩] وبمقتضى ذلك كله فإنا لا نشك أن الله تعالى ما أرسل ملك الموت لقبض روح موسى إلا وقد علم أن أجل موسى لا يتم إلا بعد تلك المراجعات، واختيار موسى للتعجيل، وحينئذ فقول هذا السؤال: ولا يأمره تعالى بقبضها إلا وقد حان أجلها عنه جوابان:

أحدهما: أن هذا تحجير على الله ورد لقوله يفعل ما يشاء.

وثانيهما: أنه تعالى قد علِم حين إرساله أنه حان أجلها على الوجه الذي كشفه الواقع في الحديث لا على ما تراءى لقاصر العلم، وقد أرشدنا الله تعالى لمثل ذلك لو كنا ممن يلقي السمع وهو شهيد في قوله عن رسوله عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾

---

(١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.
(٢) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، وفي المائدة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].
(٣) ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].
(٤) ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾.

[المائدة: ١١٦] والآي المرشدة لمثل ما في هذه الآية من وسع العلم الإلهي وقصور العلم البشري بحيث يمتنع أن يحكم على علمه تعالى الواسع بمقتضى علم البشر، هي كثيرة تغني الإشارة إليها عن ذكرها، ولأجل وسع العلم الإلهي وكونه تعالى يفعل ما يشاء بحيث لا يقضي ظاهر ما يعلم به تعالى عبيده على باطنه كان من نبينا ﷺ ما سيذكر فإنه بعد أن واعده الله تعالى في قضية بدر غنيمة إحدى الطائفتين كما في القرآن عظم خوفه ﷺ حين التقى الجمعان واشتد إلحاحه في الدعاء لربه حتى قال: إن تهلك هذه العصابة لم تعبد بعد، وحتى أنكر عليه أبو بكر شدة ذلك الإلحاح حسبما صحّ ذلك كله في كتب الحديث والمغازي ولأجله أيضاً كان تخلفه ﷺ أخيراً عن الصحابة لما اجتمعوا لتهجد رمضان وكان توجيهه لتخلفه عنهم بقوله: خشيت أن يفرض عليكم. كما في الصحيح. والحالة أنه تقدم له حين فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء قول الله تعالى له: هي خمس وهي خمسون ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩] فكان كل ذلك منه ﷺ تحقيقاً لكون باطن وسع العلم الإلهي لا يقضي عليه ظاهره.

فإن قلت: حيث علم الله تعالى بقاء تلك البقية في أَجَل موسى وإن إرساله ملك الموت لقبض روحه لا يقطعها، فهلا أراح مَلك الموت بكشف ذلك له حين إرساله أو بتأخير إرساله حتى تتم تلك البقية. وهلا أراح موسى من هول مجيء ملك الموت لقبض روحه قبل تمام أجلها، وقبل ما جرت به سنته مع أنبيائه من كونه لا يقبض أرواحهم إلا بعد تخييرهم.

قلت: مثل هذا هو الذي نفت التحجير عليه فيه آية ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وهو الذي حالت بين كل مؤمن وبين السؤال عنه آية ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ وهو من المكر الإلهي الذي حذرتنا من الأمن منه آية ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وهنا ينبغي للمسترشد أن يتنبه إلى أن هذه الآيات الثلاثة متفقة على إفادة أن لله تعالى أن يمتحن من شاء من خلقه بما شاء. وقد حقق تعالى هذا المستفاد من الآيات بما أصدره فعلاً في وقائع كثيرة خارجاً. فقد امتحن ملائكته الكرام بأمرهم بالسجود لآدم وبقوله لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة: ٣١] وامتحن خليله إبراهيم

بأمره بذبح ولده، وامتحن غير واحد من أنبيائه بأن سلَّط عليهم من قتلهم بغير حق كما نطق به القرآن. وامتحن رسله يونس وأيوب ويعقوب ويوسف عليهم السلام بما قامت بنشره آي القرآن. وامتحن أكرم رسله نبينا ﷺ في مواطن كثيرة منها في قضية بدر حيث أراه جيش العدو قليلاً وهو في نفسه كثير كما في القرآن. ومنها في قضية الحديبية حيث تقدم له وعد الله تعالى كما في القرآن بدخول المسجد الحرام آمنا. وأعلم ﷺ الصحابة بذلك وظنوه يقع في عامهم ثم لما تجهزوا لذلك ووصلوا للمحل المعروف بالحديبية وجدوا المشركين مستعدين لمنعهم من دخوله. واضطره ﷺ ذلك إلى قبول منعهم لهم من دخوله في ذلك العام، وأنه إنما يكون في العام الآتي. وحمل ذلك الفاروق عمر على أن واجه النبي ﷺ وقتئذ بقوله له: ألست رسول الله حقاً، ألم تخبرنا أنا ندخل المسجد الحرام آمنين. وحتى حمل ذلك كثيراً من الصحابة على التأخر عن امتثال أمره ﷺ لهم وقتئذ بقوله لهم أثر انبرام الصلح: «**قوموا فانحسروا ثم احلقوا**» حسبما ذلك كله في الصحيح وغيره، ومنها في تسليط لبيد بن أعصم اليهودي عليه في سحره له حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء وهو لم يفعله. ومنها تسليط يهودية عليه في سُمِّها له، حتى قال قرب موته هذا أوان وجدت فيه انقطاع أبهري من ذلك السم أو كما قال حسبكما كل ذلك في الصحيح. وقد أخبر تعالى في كتابه بأنه يمتحن رسوله وكلمته عيسى بعد علمه ببراءته بقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] إلى غير ذلك من امتحاناته لأكابر خاصته من عبيده التي يقصر عنها الاستقصاء والتي لا نشك في أن منها امتحان الله لمَلك الموت في هذا الحديث بإرساله لقبض روح موسى وهو سبحانه يعلم أنها لا يتم أجلها إلا بعد أن يصكه موسى وبعد أن يأتيه مرة أخرى بالتخيير ويختار التعجيل فعلاً. وامتحان الله تعالى فيه أيضاً لرسوله موسى في إتيان ملك الموت إلى قبض روحه قبل التخيير، والحال أن تخييره لا بد منه في علمه تعالى وفي وصول ملك الموت إليه في حالة لم يعرفه فيها حتى نشأ عنه صكه له. فامتحان الله تعالى في هذا الحديث لهذين الرسولين ليس هو ببدع بعد امتحاناته الكثيرة لغير واحد من رسله

ولكبراء الخاصة من عبيده بل هو من خصيصات كمال ألوهيته، ومن مقتضيات كونه يقضي ولا يقضى عليه من جانب العبودية. ولو تذكر المسترشد هنا الامتحان الإلهي العام للآخرين من الأمة في قضية الدجال حيث يأتي ومعه جنة ونار وتطيعه الأرض والسماء في حال كونه يدّعي الألوهية ويميت ويحيي، بل نقول لو استحضر المسترشد امتحان الله تعالى للأولين والآخرين بتسليط إبليس المقول له ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ﴾ [الإسراء: ٦٤] لأغناه ذلك عن طلب كل دليل يحقق له كونه سبحانه يفعل ما يشاء، ويمتحن من شاء بما شاء.

ولعَلِم أنه إنما جاءه إشكال حديث الصك من فساد في إدراكه حيث توهم أن من لازم كون موسى رسولاً علمه بكون الجائي إليه في الحديث هو مَلَك الموت، ومن فساد في عقيدته حيث صار يحجر على الله بضد ما صرح الله تعالى في محكم كتابه بقوله: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ و﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ وفي قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وفي قوله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ومن فساد في سمعه، وإن شئت قلت من عميق سباته عن كثرة وقائع الامتحانات الإلهية الخاصة والعامة التي لا زالت الآي القرآنية وصحاح الأحاديث النبوية تقرع الأذان بها وتجد بها وقرأ هذا. وإن هذا الفساد الذي شرحت أنباءه هنا على أمثاله لم يقف عند الحد المشروح، ولكنه أفضى ببعض إسرافه إلى زيادة توهم كون الواقع في هذا الحديث هو من قبيل خبر الواحد الذي جاء مضاداً للقطعيات التي تقدم في بيان الخلل المتبادر للقاصر من الحديث التنبيه على تعلقها فيه بجانب الله ورسوله. وأدخله بمقتضى توهمه هذا تحت قاعدة كون خبر الآحاد إذا جاء مضاداً للقطعي فإن القطعي يبطل ما ضاده من الآحاد لكونه لا يقاومه وبهذه الطريق التي هي مجرد مزيد تخليط زعموا أن الحديث يتعيّن رده وإن صححه المحدثون ولحسم مادة هذا الوهم أقول قد وضح مما شرحته آنفاً أن هذا الوهم الخيالي انبنى على غير أساس حيث أن الحديث ليس فيه أدنى تضاد لقاطع، وإنما هو ناهج نهج عقيدة الحق وتابع، وأنه من مصداق قوله تعالى: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨] ﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١] وأن علم

موسى حين الصك بكون المصكوك ملكاً لا دليل عليه. بل الدليل القاطع وهو عصمة الرسول موسى قائم على خلافه وحينئذ فإدراج هذا الحديث في تلك القاعدة إنما هو محض تخليط نشأ عن جهل هو مركب وليس بالبسيط، وهنا أترحم على حجة الإسلام الغزالي في قوله (لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف).

وقول الملَك في موسى (لا يريد الموت) هو مبلغ علمه من ظاهر ما صدر له منه. حيث قابل أمره له بالإجابة لربه بصكه وفقوء عينه. ولكن قد تبيّن من قول موسى في آخر الحديث (فالآن) المفيد لمحبته لتعجيل موته بعد تمكينه من تأخيره إلى غاية بعيدة جداً لم يبلغها عُمْر أحد من البشر فيما نعلم سوى ما يقتضيه ظاهر ما يأتي في تخيير نبينا ﷺ من قول بعض الروايات ما شاء أن يعيش، تبين من ذلك أن موسى في الواقع بخلاف ما تراءى منه لملك الموت من كونه لا يريد الموت، وقد علم الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية أن كليمه موسى ليس هو كما ظنه فيه ملك الموت. وإنما هو على الحالة التي اختارها أخيراً في قوله: فالآن. وعلم الله تعالى بذلك منه الظاهر أنه هو الذي لأجله أمر ملَك الموت برجوعه إليه وبتخييره في طول الحياة وتعجيل الموت، وينبغي للمسترشد هنا أن يتذكر بهذا المقال من أحد كبار رسل الملائكة وهو ملك الموت في كليم الله ورسوله موسى نظيره من الملائكة كلهم أوجلهم في أصل البشر آدم عليه السلام، الواقع في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] فهذا الذي ظنه الملائكة بآدم عليه السلام هو نظير ما ظنه ملك الموت هنا بموسى عليهما السلام، وهذا الذي أجاب الله تعالى الملائكة به في هذه الآية هو عين الجواب لملك الموت هنا المستفاد مما اختاره موسى أخيراً، وبه يتضح سقوط التمسك بقول الملَك هنا في موسى على إشكال هذا المحل من حيث كونه لا يليق بموسى. وقد تقدم في رواية لأحمد وغيره إسقاط لا يريد الموت وإبدال ذلك بقوله: عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه أو لعتبت به. وهذه الرواية محققة لما قدمته من

أن شكاية ملك الموت في الحديث إنما هي من موسى لا من ربه. وقوله فيها (ولولا كرامته) هو مشعر بأن الملك يعتقد أن له حق الانتصاف من موسى فيما فعله معه، وأنه إنما تركه من أجل ما يعلمه من كرامته عند الله. ولكن عدم انتصاف الله تعالى له من موسى ولو بالعتاب وثناؤه تعالى عليه بعد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ [الأعراف: ٥١] كل ذلك دلّ على أن الله تعالى يعلم أن ما اعتقده الملك لا حق له فيه في الواقع. وقد تحقق ذلك من جهة أن ما صنعه موسى تأبى رتبته في الرسالة والتكليم اللذين اصطفاه الله بهما أن يُسام بقصد الاعتداء فيه بل اللائق بذلك أن يحمل صنيعه على أنه لم يقصد إلا أن يدافع عن نفسه وعن روحه من ظنه لها لما تسور عليه منزله بدون إذنه، ورام بسلب روحه في حال كونه لم يعرف أنه ملك الموت ولا أتاه بعلامة صدقه في كونه جاء من عند الله التي هي التخيير بين الموت والحياة الذي عهد به الله تعالى لأنبيائه قبل قبض أرواحهم كما يأتي عن الموطأ والصحيحين وغيرهما. وقد قدمنا البيان على أنه لا يلزم من نبوة موسى علّمه بكل من يجيء إليه من ملائكة الله. ولا ينبغي للمسترشد هنا أن يغيب عنه كون وقوع التشاجر الشديد بين خاصة عباد الله اعتماداً من كل من المتشاجرين على التأويل، وهما معاً في نفس الأمر برآء، ليس خاصاً بما هنا، وليذكر من ذلك تشاجر البضعة النبوية سيدة نساء أهل الجنة مع أول الخلفاء الراشدين المبشرين بالجنة أبي بكر الصديق وهجرها له بعد موته ﷺ إلى أن توفيت كما تكرر التشاجر بين الخليفتين أبي بكر وعمر قيد حياته ﷺ حتى أفضى مرة بعمر إلى أن أغلق بابه في وجه أبي بكر وهو يطلب عفوه ومسامحته حسبما في الصحيح. والحالة أن الخليفتين هما أكمل العشرة المبشرين بالجنة أو من أكملهم على رأي. وتتبع هذا النمط في تشاجر مجتهدي علماء الأمة وصلحائها مما يطول. وقد أرشدت إليه فلمريد الزيادة طلبتها من أماكنها، ثم إن شكاية الملَك من موسى فقئه لعينه أفادت أن الفقء على ظاهره وأن من تأوله على الغلبة بالحجة فقد أبعد النجعة إذ المحجوج بالحجة الصحيحة لا حقّ له في الشكاية بغالبه بل هو أحق بالشكاية منه. وكرامة موسى على

ربه هي تكريمه إياه ورفع منزلته عنده برسالته وبكلامه كما صرح به الذكر الحكيم في قوله: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] وقول الملك في رواية عمار بن أبي عمار عند أحمد وابن جرير من طريق حماد ابن سلمة (لشققت عليه) معناه لقابلته بما يشق عليه. وتحصل له به مشقة. وقد أبدل لفظ لشققت فيما تقدم عن الرواية الأخرى عند أحمد من طريق يونس بلفظ (لعنفت) كذا هو فيما سبق فيها بنون مشدّدة بين عين مهملة وفاء أخت القاف. كما أنه أبدل فيما تقدم عن مجمع الزوائد بلفظ (لعتبت به) أي بعين مهملة بعدها تاءان بينهما باء موحدة.

ولفظ (لعنفت) بالنون هو قريب من لشققت لأنه من التعنيف الذي هو اللوم والتوبيخ. وأصل العنف كما في القاموس وغيره هو ما يضاد الرفق. وأما لفظ (لعتبت) بالتاء بعد العين المهملة فهو قريب التصحيف من (لعنفت) بالنون، فإن صح فهو من العتب بفتح فسكون وهو الموجدة أي الغضب الذي يقع من صديق على صديقه حسبما في القاموس وشرحه، ومنه معتب كمقعد الآتي قريباً، فتكون هذه الرواية نظير ما أنشده في شرح القاموس عن الضبي وهو قوله:

أخلاي لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الدهر معتب

والحمام في هذا البيت على وزن كتاب هو قضاء الموت الذي لا مفر عنه.

وقول الحديث «**فردّ الله عز وجل عينه**» فيه تصريح أيضاً بكون فقء العين على حقيقته وفيه جبر من الله تعالى بما انفرد به من تكوين كل شيء عن إرادته وأمره ومن كون إعادة الخلق عنده هي كابتدائه وتعويض منه جلّ وعلا لعين الصورة التي جاء فيها الملك التي أتلفها صك موسى بالتأويل المتقدم وهو الدفاع عن النفس الذي يجوز شرعاً أن يفضي إلى إتلاف نفس المدافع بالفتح إن تعيّن فكيف بغيره. وذلك التعويض هو بمثل ما أتلفه منه حتى صار المحل في الحين إلى مثل ما كان عليه قبل الصك من غير أدنى نقص كما اقتضاه إطلاق الرد وتعجيل الأمر للملك بالرجوع

حيناً لإتمام المأمورية فاستحضر هذا البيان هنا فإنه كاف في دفع ما أشكل في هذا المحل.

وقول الحديث **«ارجع إليه»** كذا هو في غالب ما تقدم من رواياته وقد سبق في بعضها **«اذهب إليه»** وفي بعضها **«ائت عبدي موسى»** واللفظان الأخيران وإن شاركا الأول في الدلالة على الإرسال الإلهي لملك الموت في تتميم القضية لكن كون ذلك الإرسال عوداً وثنوياً إنما يستفاد بالنظر لخصوص الأول وهو **«ارجع»** وقد تميزت رواية **«ائت عبدي موسى»** بالتصريح بمعاد الضمير في قوله غيرها **«ارجع»** أو **«اذهب إليه»**.

وقوله الحديث **«فقل له يضع يده»** كذا هو في غالب ما سبق من رواياته وفيه اختصار بينته الروايات التي فيها زيادة **«وقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع..»** ولفظ الحياة في رواية زيادته هو على حذف همزة الاستفهام ثم هو إما منصوب بفعل محذوف يفسره المذكور بعده والتقدير: أتريد الحياة، وهذا هو الأرجح عندهم في مثل هذا المقام المشمول لثاني الأمرين في قول ألفية ابن مالك:

واختير نصف قبل فعل ذي طلب   وبعد ما إيلاؤه الفعل غلب

إذ مما يغلب إيلاؤه الفعل همزة الاستفهام، ويجوز رفع الحياة على أنه مبتدأ خبره ما بعده، ويضع في الرواية الأخرى هو مضارع بمعنى الأمر المراد منه مجرد الإذن، كما هو أحد إطلاقات الأمر والسؤال المتوجه لموسى هنا، أحد شقيه وهو المصرح به هو إرادة الحياة أي طولها فهو على حذف مضاف أو صفة، وليس المراد دوامها بدليل قوله الآتي: ثم الموت. والشّق الآخر من السؤال مطوي في هذه الرواية وقد صرح به في رواية وخيّره بين ذلك، وهذا التخيير ليس خاصاً بموسى عليه السلام بل هو عام في جميع الأنبياء، ففي جامع الجنائز من موطإ مالك أنه بلغه أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ما من نبي يموت حتى يُخيّر»** قالت: فسمعته يقول: **«اللهم الرفيق الأعلى»** فعلمت أنه ذاهب.

وحديث عائشة هذا الذي رواه مالك بلاغاً، قد رواه البخاري في صحيحه من غير طريق مالك متصل الإسناد، ففي باب مرض النبي ﷺ ووفاته: حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن سعد عن عروة عن عائشة قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة. فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بحة يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: ٦٩] فظننت أنه خُيِّر فيه، حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري، قال عروة بن الزبير: إن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «**إنه لم يقبض قط نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى أو يُخَيَّر**» فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شَخَصَ بصره نحو سقف البيت وقال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**» فقلت: إذاً لا يجاورنا فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح، وفيه في باب: آخر ما تكلم به النبي ﷺ حدثنا بشر بن محمد حدثنا عبدالله قال يونس: قال الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب في رجال من أهل العلم أن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح إنه لا يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخيَّر، فلما نزل به رأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: «**اللهم الرفيق الأعلى**» فقلت: إذاً لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يُحدِّثنا وهو صحيح. قالت: وكانت آخر كلمة تكلم بها: «**اللهم الرفيق الأعلى**».

وكذا رواه مسلم في صحيحه من غير طريق مالك أيضاً. وكذا رواه الترمذي في جامعه. وقد أورد الحديث عن كل من سمي من مخرجيه وهم: مالك والبخاري ومسلم والترمذي، وأبو الفرج عبدالرحمٰن بن الربيع اليماني الزبيدي في كتابه تيسير الوصول تبعاً لأصوله أبي الحسن رزين العبدري وأبي السعادات ابن الأثير الجزري وشرف الدين ابن البارزي الحموي. وكذا أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده، والإمام الطبراني في معجمه الأوسط لكن من حديث أبي مويهة الصحابي. قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد بعد إيراده لحديث أحمد والطبراني

المذكور، روياه بإسنادين: أحدهما: رجاله ثقات وفيه أبا مويهة: إني قد أوتيت خزائن الدنيا والخلود فيها ثم الجنة وخُيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربي عزَّ وجل ثم قال: «**اخترت لقاء ربي ثم الجنة**».

وكذا روى تخييره ﷺ أبو الأسود في مغازيه، وكذا عبدالرزاق عن طاوس. وفيه: «خيّرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل» وهو مبين لمعنى الخلد في رواية أبي مويهة وأنه هو طول المقام، فلا ينافي بذلك آية ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ولآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠].

وكذا أخرج حديث عائشة مرفوعاً في تخيير الأنبياء قبل قبضهم أبو العباس ابن الفضل في كتاب [المتفجعين] من طريق ابن إسحاق.

وكذا أخرج حديث جابر بمجيء جبريل لنبينا ﷺ بمفاتيح الدنيا وتخييره بين قبولها مع الجنة بعدها وبين اللحاق بربه، فاختار اللحاق بربه.

وقد أورد ذلك عنه في شرح الإحياء، وقد خطب ﷺ في مبادي مرض موته على منبره الشريف بتخيير الله تعالى له في ذلك، ولكنه لم يصرح بأنه هو المخَيَّر بالفتح بل عنون عن نفسه الشريفة بعبد. فقال: «**إنَّ عبداً خَيَّره الله بين أن يوتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده**» فلما سمع ذلك منه أبو بكر علم أنه إنما عَنَى نفسه الشريفة، فبكى حينئذ، وقال مجيباً له ﷺ: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله. قال راويه أبو سعيد الخدري: فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به. خرجه القعنبي في زيادات الموطأ، والبخاري في موضعين من صحيحه. وكذا أبو بكر بن أبي شيبة، وكذا ابن حبان في صحيحه، وكذا الترمذي في جامعه: الكل من حديث أبي سعيد الخدري. وأخرجه الترمذي أيضاً من حديث أبي المعلى بلفظ أن رجلاً خيّره الله بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش، ويأكل في الدنيا ما شاء أن يأكل وبين لقاء ربه. الحديث. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وكذا رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، وكذا روى الحديث أبو

يعلى في مسنده قال الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناد رجاله ثقات. وروى الدارمي وأبو العباس بن الفضل نحوه كما في شرح الإحياء. فتبيّن من مجموع ما أوردته هنا أن تخيير الله تعالى لأنبيائه وخصوصاً نبينا ﷺ قبل قبضهم بين طول الحياة الطيّبة وبين تعجيل الممات هو أمر ثابت صحيح مشهور. وفي كتب صحيح السنة مسطور. وبين عظماء علماء أئمة الأمة منشور بحيث لا يسع أحداً ممن يدّعي العلم جهله والله أعلم.

قول الحديث: «**يضع يده على متن ثور**» اتفقت الروايات السابقة على إفراد اليد هنا، واختلفت في لفظ «**متن**» ففي جلها متن. بميم مفتوحة، وتاء مثناة ساكنة وبالنون آخره. وفي بعضها «**مسك**» بميم مفتوحة فسين مهملة ساكنة وآخره كاف، وفي بعضها «**جِلد**» بكسر الجيم المعجمة فلام ساكنة وآخره دال مهملة. واللفظان الأخيران مسماهما متحد وهو ظاهر البشرة الذي جعله الله غشاءً للحيوان. وكذا يتفق معهما مسمى الأول إن ذهبنا على ما قاله البعض من أن متن كل شيء ما ظهر منه. وأما إن مررنا على ما هو المعروف في كتب اللغة وغيرها من أن متن الشيء هو ظهره، فلعل وجه تخصيصه بالذكر من بين بقية أجزاء الثور الظاهرة كونه أعلاه، أعلا الشيء هو أول ما يظهر من ذاته، وهو أقرب ما تقع عليه يد الإنسان من الثور إذ حاول مباشرته بها حال وقوف المباشر، ومقتضى ذلك كون هذا الحكم لا يختص من الثور بظهره بل كل محل وضعت عليه اليد من ظاهر جسد الثور يكفي في حصول المقصود هنا. ثم لفظ ثور في الحديث هو بفتح المثلثة وسكون الواو بعدها راء مهملة، ومسماه هو الكبير من ذكور البقر. وينظر في وجه تخصيصه بالذكر هنا دون البقرة، والحالة أنها خصت بالذكر في القرآن في آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧] كما ذكر جمعها في قوله تعالى: ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ﴾ [يوسف: ٤٦] ولم يذكر في القرآن إلا ولده العجل في إتيان الخليل به حنيذاً الضيفة، وفي عجل السامري. نعم إن كان شعر ذكور البقر أكثر من شعر إناثه كان ذلك وجهاً بيناً في ترجيح ذكره هنا على بقرة. والله أعلم.

وقول الحديث: «**فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة**» كذا هو

فيما تقدم عن أول روايات البخاري كرر فيه لفظ كل مرتين وزيدت لفظة به بعد غطت، وقد وافقها في تكرير كل ما تقدم عن رواية النسائي. وسقط فيها لفظ به. كما سقط أيضاً هو وكل الأول في باقي الروايات المتقدمة. وعلى ثبوت لفظ كل الأول فهو زائد لمجرد تأكيد عموم ما المذكورة بعده. والمزيد لمجرد التأكيد يجوز حذفه ولهذا ساغ حذفه في باقي الروايات. والباء في به يمكن أن تكون للسببية وأن تكون بمعنى على كما في آية ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥] وهو أظهر وأظهر منه حذف به كما هو الواقع في غالب الروايات وما في قول الحديث: «**فكل ما غطت**..» هي واقعة على الشعر في هذه الرواية. وجملة غطت هي الواقعة في غالب ما تقدم من الروايات. ووقع فيما تقدم في الرواية الثانية عن مسلم: فما توارت يدك من شعرة. كذا توارت بالتاء في أوله ويدك بدون زيادة باء. وحدة في أوله. وتقدم في بعض روايات أحمد «**فما توارت بيدك من شعرة**» بالتاء في توارت، وبالباء الموحدة من أسفل الداخلة على يدك، ووقع في أخرى «**وارت يده**» وفي أخرى «**دارت يدك**» فأما «**توارت يدك**» بالتاء أول الكلمة الأولى، وبسقوط الباء الموحدة من أول الكلمة الثانية، فالمعروف في معنى توارت في اللغة: استترت. ومقتضى ذلك أن يد موسى يسترها الشعر الذي توضع عليه. وهذا المعنى هو ضد المقصود من الحديث لأن اليد فيه ساترة، وما وضعت عليه من شعر الثور هو المستور والمغطى بها. وبهذا كان قوي عندي أن سقوط الباء الموحدة في يدك هنا، إنما هو تحريف من الناسخ وأن الصواب ما تقدم عن بعض روايات أحمد من ثبوتها إذ بها يصير المعنى فما استترت يدك من شعرة أي فكل شعرة استترت. ولما كان لفظ ما مبهماً بيّنه بقوله من شعرة، لكن وجدت القاضي أبا الفضل عياضاً في الإكمال أقر لفظة «**توارت**» بالتاء أوله، وتأولها فقال: قوله: «**فما توارت يدك من شعرة**» معناه: فما وارت أي استترت هذا نص الإكمال بحروفه، ومقتضاه أن التاء أو الكلمة زائدة وأما رواية «**وارت يده**» فمعناه: سترت وغطت وهي واضحة. وأما رواية «**دارت**» بالدال المهملة، فمعناه: طافت، أي أحاطت، والمحاط بالشيء مستور به.

فرجعت لمعنى غيرها الذي هو التغطية والاستتار باليد، ولا نكارة عندهم في اختلاف ألفاظ المروي إذا اتحد معناه، وتقارب لما صححوه من جواز الرواية بالمعنى للعارف.

وقول الحديث: «**بكل شعرة سنة**» وهو بدل من قوله: فكل ما غطت يده بدل جملة من أخرى. ومفصل من مجمل نحو الواقع في قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء: ١٣٢، ١٣٣] وفائدته مع التفصيل المذكور رفع احتمال إرادة الكل المجموعي في الجملة الأولى، وقد وقع الاقتصار في بعض الروايات المتقدمة على الجملة المفصلة المذكورة. وقول بعض روايات أحمد المتقدمة فأتاه. زاد ابن جرير فيما سبق عنه فخيّره، وكلاهما تصريح بما حذف في باقي الروايات المتقدمة اختصاراً للعلم به إذ لا يتم المعنى به بدونهما، وأيضاً أئمة هذا الشأن اعتمدوا أن الزيادة من الثقة مقبولة، والمعنى أن ملك الموت لما أمره ربه جلّ وعلا بالرجوع إلى موسى عليه السلام وبتبليغه ما هو صريح في أن الله تعالى وكل طول حياته المنحسرة بسنوه في مبلغ عدد الشعر الذي يضع عليه يده من الثور إلى خيرته وفي ضمن هذا الذي صرح له بأنه وكله إلى خيرته شق آخر مطوي فيه لكونه هو المقابل للمصرح به وهو تعجيل موته امتثل الملك فرجع إلى موسى وأدى له الرسالة كما أمر وفيها التخيير لموسى الذي أمر الملك به. ولم يعد الملك الصفة التي أمر بتبليغ ملك الرسالة عليها من طي شق تعجيل الموت الذي هو أحد شقي التخيير فلم يفصح له به حتى استفسره هو عن المآل كل ذلك جرياً عن نهج سنن إظهار المليح وإخفاء القبيح وعلى نهج ما في الحديث القدسي الصحيح: «**عبدي يكره الموت وأنا أكره مساءته**» وعلى نهج السياسة الإلهية القرآنية من تقديم ما فيه تبشير على غيره هذا كله على غير رواية وخيّره بين ذلك وبين الموت، وقد قدمت الإشارة لترشيح كونها رواية بالمعنى والله أعلم.

وقول الحديث: «**قال أي رب**» كذا وقع في غالب ما تقدم عن رواياته

بلفظ أي بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة تحت الذي هو أحد حروف النداء وبعده لفظ رب الذي هو منادى حذفت منه ياء المتكلم على إحدى لغات المضاف إليها المقررة في كتب العربية وقد تقدم في بعض ما سقناه من الروايات حذف هذين اللفظين معاً، والاقتصار على ما بعدهما وعلى كل حال ففاعل قال هو موسى عليه السلام، وجملة أي رب هي دعاء من موسى لربه في هذا الأمر الذي أهمّه كما يدعو كل مؤمن ربه فيما يهمه.

ويظهر أن هذ النداء من موسى لربه ليس هو من قبيل المكالمة التي عرف بها موسى في هذه القصة؛ لأن مقصد الحديث المتكلم عليه يدور على ما أوحاه الله تعالى بواسطة ملك الموت لموسى وعلى ما جرى بين موسى وبين ملك الموت، والمكالمة بدون واسطة خارجة عن ذلك هذا هو الذي يقوي عندي هنا، وإن كان قول روايات أي رب ثم ماذا قال ثم الموت يتبادر منه أن المراجعة هي بين موسى وبين ربه عزّ وجل بلا واسطة ولكن الروايات التي حذفت فيها جملة النداء مع الرواية التي فيها فأتاه، فقال له: وكذا الرواية التي فيها فأتاه فخيّره فقال له، كل ذلك يتبادر منه تبادراً أقوى من الأول أن المراجعة إنما هي بين موسى وبين ملك الموت. والذي يزيد هذا التبادر الثاني قوة هو كون روايات حذف جملة النداء لا يصح أن يقال إن جملة النداء التي ذكرت في غيرها هي مقدرة فيها لأنه لم يثبت في العربية الجمع بين حذف المنادى بالفتح وأداته وقاعدتهم كما في المعنى أن تخريج أي كلام كان على وجه يظن أنه عربي إنما يقبل إن ثبت في العربية ذلك الوجه الذي يراد التخريج عليه وحينئذ فحيث اختلفت الروايات هنا في إثبات جملة ذلك النداء الموهمة للمكالمة وفي إسقاطها ولم يكن سبيل لرد روايات السقوط لروايات الأثبات لما ذكرناه. ولا لإبطال إحدى الروايتين لثبوتهما معاً، ولكون زيادة الثقة مقبولة عند المعتبرين من أهل هذا الفن.

فإن الأقوى حينئذ هو تأويل روايات الزيادة بما يجمع بينها وبين روايات عدمها، وذلك بأن تحمل روايات جملة النداء على أن موسى بعد أن دعا ربه التفت إلى المَلك الذي ينتظر هو ـ أي الملك ـ منه جواب التخيير الذي أبلغه إياه، فقال له: ثم ماذا؟ يريد به أنه لم يتم له شقي التخيير، وأن

جوابه هو عن الشق الذي صرح به، وبالتخيير فيه يتوقف على معرفة مآله إن وقع اختياره عليه، وحينئذ أمره الله تعالى الملَك بأن يجيبه بقوله: ثم الموت، فبلّغ ذلك ملك الموت لموسى، بأن قال له: ثم الموت. وكان في تبليغه له إجابة الرب تعالى لدعاء موسى. وجواب الملك لموسى عن سؤاله له، وتكون روايات سقوط جملة النداء اقتصر فيها على جواب الملك المرسل لمباشرة القضية الذي شافه هو موسى عليه السلام بتبلغه تخيير ربه له. وشافهه موسى عليه السلام بالسؤال عن مآله. ثم بعد أن أعلن له به شافهه أيضاً باختياره تعجيل الموت المبني عن شدة محبته للقاء ربه لا كما ظنه ملك الموت به، والله أعلم.

فإن قلت: ومن أين يعلم على هذا أن قول ملك الموت ثُمَّ الموت هو من عند الله.

قلت: يعلم بما تقدم وما بالعهد من قدم في تقرير شرح أول جملة من الحديث وهي أرسل ملك الموت.

وقول الحديث: «**ثم مَه**» هو ميم مفتوحة ثم هاء ساكنة. وقد سبق أن هذا هو لفظ رواية عبدالرزاق في مصنفه. وروايتي مسلم في صحيحه من طريقه. وكذا الإمام أحمد عن عبدالرزاق مباشرة. وكذا النسائي من طريقه. وسبق أن البخاري رواه في صحيحه من طريق عبدالرزاق المرة بعد الأخرى بلفظ: ثم ماذا، وبهذا اللفظ شرحه العيني والقسطلاني، ولم يتعرض له الكرماني ولا ابن حجر داخل الفتح، وأما في مقدمته فقد صرح بأنه وقع بلفظ «**ثم مَه**» في حديث موسى المذكور. ولكن بمقتضى ما تقدم يتعين حمله على أنه وقع فيه في غير رواية البخاري، كما سبق أن هذا اللفظ الثاني الذي هو في رواية البخاري هو الواقع في رواية الإمام أحمد من طريق حسن. وسبق أن الإمام أحمد وابن جرير والبزار رووا الحديث من طريق عمار بن أبي عمار بلفظ «**ما بعد ذلك**» فأما رواية «**ثم مَه**» فيها كلمة استفهام أصله ما الاستفهامية. والهاء إنما هي للسكت بمعنى ماذا. وقد تأتي «**مه**» بمعنى الزجر، على هذا اقتصر في شرح هذا اللفظ ابن حجر في

المقدمة. ومثله للسيوطي في شرح النسائي. وأما رواية «**ثم ماذا**» فإنه يجوز فيها أن تكون ما اسم استفهام، وذا بعدها اسم موصول أي ثم بعد إرادة الحياة وحصول طولها ما الذي يقع بعد، ويجوز أن يكون اسم الاستفهام هو مجموع ماذا أي، أي شيء يقع بعدما ذكر من طول حياتي أن اخترته، ومن استرساله حينئذ حتى يمر عليه عدد السنين الذي يطابق عدد ما أضع عليه يدي من شعر الثور فهل هو موتي عاجلاً حينئذ أو هو تخييري أيضاً في الحياة بعده إلى غاية أخرى أو نحو هذا من الاحتمالات والأطوار الجائزة في المسؤول عنه هنا. ولا يدخل في المسؤول عنه هنا ما هو ممنوع وهو احتمال الخلود وعدم الوفاة. أما أولاً: فلأن ما احتمل الصحة والفساد يتعين فيه الحمل على الصحة وفق المقرر في مثله، وأما ثانياً: فلأن سائل هذا السؤال هو من أكابر الرسل الذين علم كون الموت مآل كل مخلوق حي، وأن الله تعالى لم يجعل الخلد لبشر، هو من أول علوم رسالاتهم وهو معظم ما بعثوا فيه مبشرين ومنذرين لا سيما والسائل هنا ليس بعهد مشاهدته لموت أخيه شريكه في النبوة والرسالة هارون عليهما السلام من قدم. فاحتفظ في بيان المراد من السؤال «**ثم ماذا**» و«**ثم مَه**» على ما شرحته فيه ليتضح لك به أن أشكال اقتضاء سؤال موسى هذا لكونه كان شاكاً في كون مآله لموت لا ورود له، وإنما أوقع فيه من توهمه ضيق العطن مع المجازفة في الفهم، وعدم تحقق النظر. والتوفيق بيد الله.

وقول الحديث: «**قال: فالآن**» كذا تقدم الاقتصار على لفظ فالآن في كثير من الروايات. وتقدم في بعضها زيادة عن قريب. وتقدم لأحمد من طريق ابن لهيعة زيادة: يا رب، وتقدم في رواية ابن جرير فالآن إذاً.

فأما لفظ «**الآن**» فهو منصوب على الظرفية اسم للزمان الحاضر، وعليه فرواية، زيادة: من قريب، إنما هي تأكيد لمسماه. وأما زيادة: يا رب، فقد تبيّن مما تقدم انفراد ابن لهيعة بها، وقبول ما انفرد به ابن لهيعة هو مما اختلف فيه أئمة هذا الشأن وعلى قبوله، فقد تقدم من الكلام على نظيره وهو أي رب ما يغني عن إعادته هنا.

وأما زيادة «**إذاً**» بالتنوين، فليست إذاً فيها هي الناصبة للمضارع إذ لا

مضارع هنا، ولأنه لا يجوز حذف منصوبها، ولأنها في عجز الجملة هنا. وقد علم أن شرط النصب بها تصديرها، وحينئذ فالظاهر أن أصلها هنا «إذ» بغير ألف بعد الذال، وأنها تعليلية، وأن تنوينها عوض عن مضاف إليه محذوف، وأن فتح ذالها، والحالة هذه هو على لغة من يفتحها في هذه الحالة، وقد نقل هذه اللغة السيوطي في جمع الجوامع النحوي، وكذا في شرحه، وتقدير المعنى لأجل كون سني طول الحياة يعقبها الموت فإني أختار تعجيل الموت الآن إيثاراً لمحبة لقاء ربي وشوقاً إليه وجرياً على حدها قيل:

رأى الأمر يفضي إلى آخر فصير آخره أولا

وقول الحديث: «**فسأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة**» كذا تقدم عن جل الروايات. وسبق في بعضها: قال رب أدنني من الأرض المقدسة. وسبق سقوط هذا السؤال وما ترتب عليه في رواية عمار بن أبي عمار عند أحمد وغيره وقد قدمت أن المعتمد أن زيادة الثقة مقبولة ومعنى سأل الله دعاه وناداه بقوله: أدنني، والمضارع وهو يدنيه بالدال المهملة وبضم الياء أوله من الإدناء والأمر منه أُدن بضم أوله، والأرض المقدسة هي في الأصل أرض الشام كلها. قال في القاموس وشرحه القدس البيت المقدس، والتقديس: التطهير، ومنه الأرض المقدسة أي المطهرة وهي أرض الشام، وقال الفراء: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن. واقتصر الكرماني والقسطلاني على أن المراد بها هنا خصوص بيت المقدس، وتقديس تلك الأرض هو بسكنى المطهرين بها سابقاً وهم الأنبياء، وسؤال موسى عليه السلام الإدناء من الأرض المقدسة مشعر بأنه كان وقت هذه القصة بغيرها، وهو كذلك فقد نقل البيضاوي عن الأكثر أنه كان وقتئذ بأرض التِيه بكسر المثناة الفوقية وهي في الأصل المفَازة التي لا علامة فيها يهتدى بها للطريق. والمراد بها هنا أرض صحراء بين مصر والشام، قضى الله على بني إسرائيل بالتيه، فيها أي إضلال الطريق وعدم الاهتداء إليها، وذلك لما أمروا بدخول الأرض المقدسة لقتال مَن فيها من الكفار الجبارين أولي القوة إفساداً وبطشاً من بقية عاد الذين هم ممن طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد.

وامتنع بنو إسرائيل مما أمروا به امتناعاً كلياً حتى قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)﴾ [المائدة: ٢٢ - ٢٤] فدعا موسى عليه السلام حينئذ بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥] فأجاب الله تعالى دعائه بقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦] فكانوا بعد حصرهم في أرض التيه، وبعد رجوعهم فيه عن ذلك العصيان إلى الإنعام بالامتثال كثيراً ما يجدون السير ليقطعوا أرض التيه، ويدخلوا الأرض المقدسة يسيرون النهار فإذا أمسوا وجدوا أنفسهم بالمحل الذي ابتدؤوا السير منه. فكان ذلك هو تيههم في تلك الأرض إلى أن أتى الهلاك فيها على كبارهم وانتهت الأربعون سنة المقضي عليهم بالتيه فيها فدخل الأرض المقدسة حينئذ أبناؤهم مع النبي يوشع عليه السلام، كما أجاب الله تعالى دعاء موسى على قومه بالغرق والفصل بينه هو مع أخيه القائمين بطاعته وبالمبادرة إلى مرضاته وبين أولئك الفاسقين العاصين بأن أذاق هؤلاء وبال فسقهم بطول سجنهم في تلك القطعة الأرضية، وبتعذيبهم فيها بكثرة تكرر أسفارهم التي يردون فيها على عقبهم ولا تنتج لهم مخرجاً ولا يجدون بها مفراً، وبأن جعل حال رسوليه موسى وهارون في التيه التنعم في الكرامة والرحمة فباين سبحانه بين حالي السابقين للرضي والرضوان والمتساقطين كل حين في درك الفسق والعصيان وإنما سأل موسى عليه السلام الدنو في هذه الحالة من الأرض المقدسة لما سبق فيها مما أبان عن شرفها، وليدفن قرب إخوته من النبيئين، وليحصل له بذلك دخول مبادي الأرض المقدسة التي أمره الله بدخولها. وقد سبق أن البخاري ترجم على الحديث بقوله: باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها. فأشار بهذه الترجمة إلى أن ذلك مما يحبه أهل الإيمان لكون نبينا ذكر ذلك عن موسى على نبينا وعليه

الصلاة والسلام وأقره، ثم لم يأتِ في شرعه ما يخالفه فهو في الحقيقة من شرعه عليه السلام أيضاً، وعلى مثل هذا الموضوع يتنزل القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا، وإليه ذهب المالكية ومن وافقهم، وقد ثبت عن ابن عباس في البخاري والنسائي وغيرهما الإشارة إلى الاستدلال على هذا القول في مثل هذا الموضوع بقوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] حيث قال في تفسير آية ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] فكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به، زاد النسائي: فسجدها داود توبة، ونحن نسجدها شكراً.

وبما حررته في موضوع القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا، يتبين أنه بمعزل عما أورد عليه من أن شرع من قبلنا أن كان الاعتماد فِيه على ما في التوراة والإنجيل، فكتابنا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مصرح بأن أهل الكتاب قد حرّفوا وبدّلوا، وإن كان الاعتماد فيه على رواية أهل الكتاب فحديث الصحيح ينادي لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم.

وكذا يتبين أنه بمعزل عما أورد عليه أيضاً من قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ومن قول الحديث الصحيح: «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة**» الحديث.

وعلى استحباب الدفن في أماكن الخير، وفي مجاورة أهلِه التمشي في مذهب مالك والشافعي وابن حنبل. وأما ما جاء في ترجمة سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه من حلية الحافظ أبي نعيم من أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما أن هلم إلى الأرض المقدسة. فأجابه سلمان أن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الإنسان عمله، فهو صحيح في الجملة؛ لأن الأماكن الثلاثة المقدسة المدينة ومكة وبيت المقدس كلها كان يسكنها العدد الكثير ممن كفر أو نافق واستمر على كفره أو نفاقه إلى أن توفي فلم تزدهم سكنى تلك الأراضي المقدسة إلا بُعداً من الله تعالى ومضاعفة في نقمته. قال الله تعالى في منافقي المدينة المنورة: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١] وقال في أهل المسجد الحرام بمكة المشرفة: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] فدل ذلك أن

الأساس الأولي لتقديس الإنسان ولسعادته هو الإيمان الخالص والعمل الصحيح، لكن ذلك لا يُعارض ما نحن فيه الذي هو التقديس الثنوي بعد حصول الأصل الأول بشهادة ما أعلنت به نصوص الشريعة من مضاعفة ثواب الصلاة في المساجد الثلاثة التي اشتملت عليها تلك الأراضي المقدسة إذ لا شك في كون ذلك مُنبئاً بأن تقديس المؤمن فيها أكثر من غيرها. وأن لمكث المؤمن بها دخلاً في مزيد تقديسه وقد عضد ذلك أن النبي ﷺ لما ذكر فتح البلاد في الأقطار وتسارع الناس للتنقل إليها. قال حسبما في الصحيح. والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون إلى غير ذلك من نصوص الشريعة الناصة على فضل سكنى الأماكن الفاضلة هذا كله فيمن لا زال بصدد صدور الأعمال الصالحة منه، وهو المؤمن الحي، أما موت المؤمن بأحد الأماكن المقدسة ودفنه به وهو الذي سيق هذا الحديث كله من أجله فقد خرج الطبراني في معجمه الأوسط والصغير عن جابر مرفوعاً: من مات في أحد الحرمين بعث آمناً يوم القيامة. قال الحافظ نور الدين الهيتمي في مجمع الزوائد إسناده حسن. كما خرج البخاري في الصحيح شدة حرص ثاني الخلفاء الراشدين الفاروق رضي الله عنه حين طعن وعلم أنه قد حان رحيله إلى الآخرة على الدفن بالروضة النبوية في مجاورة خير البريّة، فهل كان ذلك منه في آخر رمق. والحال أنه هو القدوة الأعظم وقتئذ لأهل الإسلام كلهم إلا رغبة في نيل مزيد تقديس بالدفن في تلك الروضة العاطرة، ومجاورة سيِّد أهل الدنيا والآخرة، وقد حضره وقتئذ أعيان الصحابة ولم ينقل أن أحداً منهم أنكر ذلك عليه، فكان ذلك من قبيل ما أجمعوا عليه.

يقول جامع هذا التقييد: بعد أن حررت هذا البحث هنا بمدة وقفت في قبس ابن العربي على ما يعضده ففيه في ترجمة كراهة القضاء ما صورته (وأما حديث سلمان وأبي الدرداء وقوله: إن الأرض لا تُقدس أحداً فيعني أن الذنوب إنما تكفرها التوبة والأعمال ليست البقاع أما أنه يتعلق بالبقعة تقديس ما وهو إذا عمل العبد فيها عملاً صالحاً ضوعف له بشرف البقعة مضاعفة تكفر سيئاته وترجح ميزانه وتدخله الجنة وتقدسه على معنى التبع

لصالح الأعمال وإن كان لا يوجب التقديس ابتداء فافهموا هذه النكتة).

وهو كما ترى واف بالموافقة في مضمن ما قررته، وزائد فيما يضاعف بالأماكن المقدسة بالتعبير عنه بالأعمال التي تشمل غير الصلاة أيضاً كما أن ما قررته أتم منه بسطاً وأكمل إيضاحاً والحمد لله، وإنما اقتصر موسى عليه السلام على طلب الدنو من الأرض المقدسة دون الكون فيها نفسها لما بيّنه ابن عباس فمن بعده وشرحه أن دفنه في نفس أرض بيت المقدس يستلزم ظهور قبره بها وتعينه فيها، وذلك يدعو لسرعة افتتان أهل الجهل به ولا سيما قومه بني إسرائيل الذين يعلم موسى حق العلم أنه ليس بعهد قولهم ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقول قائلهم في العجل المصنوع بمرأى منهم من الحلي: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] وعكوفهم على عبادته كل ذلك ليس به من قوم فاتقى بعدم طلب الكون في نفس الأرض المقدسة مفسدة رجوع قومه بعده في قبره إلى مثل ما عهده منهم فيما ذكر من غيره. ولا يقال إن قبر نبينا ﷺ في روضته في المدينة المنورة هو معين المحل بالتواتر والإجماع القطعيين وافتتان أمته به على الوجه الذي اتقاه موسى عليه السلام في قبره هو، غير واقع والحمد لله. كما أن تحذير جلة علماء الأمة، وقيام الولاة بالمنع من كل ما يجر للحوم حوله لا زال مسترسلاً إلى الآن بفضل الله، لأنا نقول إن ذلك من مميزات هذه الأمة المزكاة بقول ربها في محكم ذكره الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ومن معجزات رسولها المعظم في إجابة دعائه ﷺ فيما صحّ عنه بقوله: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد**» وهذان المميزان العظيمان كلاهما فقدهما بنو إسرائيل، والله سبحانه يختص برحمته من يشاء فضلاً منه ومِنّة.

وقول الحديث: «**رمية بحجر**» فيه حذف واختصار والأصل: رب أدنني من الأرض المقدسة دنواً مثل دنو رمية بحجر. فدنواً مصدر للفعل قبله، ومِثل نعت له، وهو مضاف لدنو الثاني، ورمية مضاف إليه ما قبله فحذف المصدر وأقيم نعته مقامه، فصار التقدير: أدنني من ٱلأرض المقدسة

مثل دنو رمية.. ثم حذف مثل وأقيم المضاف إليه وهو دنو الثاني مقامه، فصار التقدير: دنو رمية، ثم حذف دنو الثاني وأقيم المضاف إليه وهو رمية مقامه. فانتصاب انتصابه وفي مثله قال ابن مالك:

وما يلي المضاف يأتي خلفاً عنه في الإعراب إذا ما حذفا

وحينئذ صار على ما جاءت به رواية الحديث رمية بحجر، والمراد بيان قدر قرب المحل الذي طلب موسى أن يكون قبراً له من بيت المقدس بأن يكون مبينا كما بين المحل الذي يرمي منه الشخص بحجر من يده، وبيّن المحل الذي يسقط فيه ذلك الحجر من تلك الرمية نفسها، وإطلاق هذه الرمية عن التقييد يقتضي أنها محالة على ما تصل إليه قوة الرامي ثم إن لوحظ فيها كونها مثل رمية الداعي بها، وهو موسى عليه السلام كانت في ذلك الزمان أقرب لضبط قدر الدنو عند أهله وأبعد لغاية الرمي نفسه لما كان عليه موسى عليه السلام من المزيد في فضل القوة المستفاد من وصف إحدى ابنتي شعيب عليه السلام اللتين سقى لهما له بقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] ومن قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] ولكن العلم بذلك القدر الذي كان معروفاً في زمن موسى يتعذر في زمن صدور هذا الحديث والأزمنة بعده إلا بتوقيف تعيين لا إجمال فيه. ولم نره منقولاً وإن لوحظ فيها كونها مثل رمية أهل زمان موسى فإن ذلك يوجب أيضاً بُعدها عن تحقيق الضبط، وتمنعها عن أن يوقف الآن على الحقيقة في قدرها بغير التوقيف الموصوف أيضاً لما علم من كون قوى رمي النوع الإنساني في كل زمان تختلف باختلاف قوى ذواته ومن أن اختلافها بذلك لا يزال مسترسلاً مع استرسال نقص ذوات الإنسان إلى الآن وبعده، كما أعلن به ما في الحديث الصحيح من أن الله تعالى خلق آدم طوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده. وكل ذلك يؤكد ما يأتي في شرح بقية الحديث من كونه لا يتعين به المحل الخصوصي لقبر موسى عليه السلام وإن تعينت به جهته في الجملة.

وقول الحديث: قال رسول الله ﷺ: **«والله لو أني عنده لأريتكم قبره»**

كذا تقدم في بعض روايات الحديث. ذكر قال مرتين مع التصريح بالقسم باسم الجلالة وقد تقدم سقوط قال الأول مع القسم في رواية أخرى. وتقدم أن الروايات التي ذكر فيها مضمون هذه الجملة متفقة على ذكر لفظ **«لو»** ولفظ **«لأريتكم»** وإنما اختلفت فيما بين هذين اللفظين فبعضها فيه ما حكيته آنفاً وهو **«أني عنده»** وبعضها فيه **«كنت ثم»** فأما قال الأول في رواية ذكره ففاعله هو أبو هريرة راوي الحديث وأما حذفه في غيرها فإنما هو اختصار سواء في هذا الحديث وفي غيره مما يماثله، والاختصار الذي جوّزه أهل الحديث صرح غير واحد من المعتبرين بأنه إنما هو في كتابته للعلم به. وأما في نطق القاري للحديث فحذف قال منه خطأ عند غير واحد منهم وإن نازع فيه بعض آخر، وعلى كل حال فالرواية لا تبطل به لجواز حذف القول في العربية حسبما حرر ذلك كله في محله. وأما قال الثاني مع فاعله وهو رسول الله ﷺ فذكرهما معاً متفق عليه في الروايات التي تقدم ذكر مضمون هذه الجملة فيها، وينبغي أن لا يغفل هنا عن كون هذه الجملة هي مرتبة على قصة الحديث المصدر بها في قوله: **«أرسل ملك الموت»** بحيث لا يمكن أن تستقل هذه عن القصة قبلها، إذ لا يقول: **«لو كنت ثم لأريتكم قبره»** إلا عقب ذكره لما تقدمه من أول الحديث، وإلا كانت إشارته بثم ومعاد ضمير قبره كلاهما لم يتقدم ما يفيده. وكذا لا يغفل عن كون نتيجة هذا البيان هي كون هذا الفصل الأخير من هذا الحديث دلّ دلالة جليلة على أن القصة المصدر بها في الحديث التي ترتبت هذه الثانية عليها هي في الواقع عند أبي هريرة مرفوعة أيضاً للنبي ﷺ، فهو ﷺ القائل: **«أرسل ملك الموت»**.

وهذا الرفع الذي أفاده آخر الحديث هنا، قد سبق تصريح أبي هريرة به في بعض الروايات الثابتة عنه في الصحيحين وغيرهما. وقد دلنا هذا الفصل الأخير من الحديث على كون الروايات كلها عن أبي هريرة متفقة في المعنى على أن الحديث مرفوع عنده كله بدؤه وتمامه وبذلك وضح انغلاق باب احتمال كون أبي هريرة تلقى هذا الحديث من الإسرائيليات فلا مجال لذلك أصلاً في هذا الحديث إلا بتكذيب الصحابي أبي هريرة أو بعض

الرواة الثقات عنه الذين عَدَّلَهُم أعلم وأزكى العارفين بالفن، ولا شك أن تكذيب الصحابي أو بعض الرواة الثقات عنه وخصوصاً في الصحيحين هو عين الفتح لباب متسعة لهدم أسس الدين ولإبطال نصوص أحاديث الشريعة المحمولة على كاهل أحفظ الصحابة أبي هريرة، ولإبطال خاصية الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول في التعويل عليهما في شرائع دينها، وأجمعت على ذلك فيما عدى ما تقدم لانتقاده أكابر الحفاظ بعد الشيخين، والحالة أن الساعي في فتح أبواب هذه المفاسد التي تعم الأمة وتهدم أسس دينها غير معتمد على برهان من الله ورسوله فيما يحاوله، وإنما يعتمد أوهاماً وخيالات نشأت عن اختلال في الإدراك وفساد في تصور المراد من الحديث انبنى على التحكم على الله والاعتراض عليه فيما جاء على وفق قوله العزيز: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨] ﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١] وفي قوله: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

وأما التصريح بالقسم في بعض الروايات المتقدمة فهو دليل كونه مقدراً فيما جاء من الروايات غير مصرح به فيها، فتكون في ذلك نظير آية ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] ولو في قول الحديث «**لو أني كنت عنده**» هي التي يسميها النحاة شرطية لأنها تقتضي شرطاً وجواباً، كما تسمى امتناعية لدلالتها على امتناع جزائها من أجل امتناع شرطها، وقد جرت رواية «**لو كنت**» على ما هو الأصل في «**لو**» من دخولها على الفعل ومن كونه ماضياً المنبه على ثاني هذين الأمرين، بقول ابن مالك:

- لو حرف شرط في مضى..

وعلى أولهما بقوله أيضاً:

- وهي في الاختصاص بالفعل كأن.

وأما رواية «**لو أني عنده**» فهي جارية على ما نبّه عليه ابن مالك أيضاً بقوله:

- لكن لو أن بها قد تقترن.

وعلى هذه الرواية الثانية تكون ياء المتكلم في أني هي اسم أن وعنده هو خبرها والمصدر المنسبك من أن واسمها في محل رفع إما على أنه فاعل بمحذوف والتقدير (لو حصل كوني عنده) وإما على أنه مبتدأ والخبر محذوف والتقدير (لو كوني عنده ثابت لأريتكم قبره) وعلى الرواية الأولى فالفعل في كنت هو فعل الشرط ولأريتكم معناه لأبصرتكم وضمير المخاطبين وهو كم هو مفعول أول لأرى وقبره هو المفعول الثاني، وضمير قبره لموسى عليه السلام، وقد اجتمع هنا القسم ولو الشرطية، والسابق هو القسم وحينئذ فإن جرينا على إطلاق القاعدة المنبَّه عليها بقول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

فإن لأريتكم يكون جواباً عن القسم وتكون اللام فيه لام القسم، ويكون جواب القسم أغنى عن جواب الشرط لكونه في معناه. وإن جرينا على ما نقله بعض محشي ألفية ابن مالك عمن عدا ابن عصفور من النحاة من كون القاعدة المذكورة مخصوصة بغير الشرط الامتناعي أما هو فإنه إذا اجتمع مع القسم فإن الجواب المصرَّح به يكون للشرط وإن تأخر فإن لأريتكم حينئذ يكون هو جواب لو وتكون اللام الداخلة عليه ليست للقسم بل هي التي تدخل في جواب لو. وحينئذ إما أن يقال إن جملة الشرط والجواب معاً هي جواب القسم ولا حذف، وهذا هو ما نقله ذلك البعض عن اختيار الدماميني، وإما أن يقال إنه أغنى عنه جواب الشرط لكونه في معناه.

وقول الحديث: «**إلى جانب الطريق**» كذا هو في أكثر ما سبق ذكر هذه الجملة فيه من رواياته بلفظ إلى وبإثبات الألف بعد الجيم في جانب، وسبق في بعض رواياته من بدل إلى. كما سبق في بعضها «**جنب**» بإسقاط الألف وسكون النون فأما «**إلى**» فالمتبادر فيها الانتهاء كما أن المتبادر في «**من**» هو الابتداء، فتكون رواية «**من**» بينت ابتداء القبر، ورواية «**إلى**» بينت انتهاءه والمعنى أن القبر الموسوي يبتدىء من جانب الطريق بذلك المحل بدءاً وتماماً ويمكن أن تكون «**إلى**» بمعنى عند نظيرها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ وهي بهذا المعنى أوفق بقول الحديث الآتي عند الكثيب. كما أنها والحالة هذه لا تخالف ظاهر رواية «من» لأن القبر الموسوي إذا كان ابتداؤه من جانب الطريق فهو كائن عند ذلك الجانب، وأما جانب الطريق بالألف وجنبها بدونه فمسماهما معاً متحد وهو ناحيتها وجهتها.

وقول الحديث: «**تحت الكثيب الأحمر**» كذا سبق في بعض رواياته وسبق في بعضها عند بدلٍ تحت فأما تحت فهو ضد فوق. وأما عند فمعناه الحضور والدنو والقرب ويجمع المعنيين كونه أسفل الطريق بقرب منها. وأما الكثيب بالمثلثة بوزن فعيل بفتح فكسر فمسماه ما اجتمع من الرمل. ولون الرمل غالباً الحمرة، فلذلك وصفه بقوله الأحمر، وملخص البيان الذي أعطاه الحديث في القبر الموسوي، هو أن موسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يجعل بينه وبين الأرض المقدسة رمية بحجر، وأن نبينا ﷺ عيّن محله بكونه أسفل الكثيب الأحمر إلى جانب الطريق، ولا خفاء أن هذا البيان هو وإن تعين به كون ذلك القبر هو في الجهة التي بها الطريق. والكثيب الأحمر وكونه أسفل ذلك الكثيب وإلى جانب تلك الطريق قرب الأرض المقدسة، ولكن لا يتم تعيينه بذلك إلا إن كان كل من الكثيب والطريق المتصلة به لا يوجدان إلا في جهة مخصوصة من بيت المقدس وإلا بقي الاشتراك في ذلك كما يبقى في قدر الرمية لما سبق في شرحها من موجبات عدم ضبطها. وبه يتضح أن الحديث لم يرد منه تحقيق تعيين محل القبر الموسوي. وإنما أريد التنبيه على بعض ما يقل معه الاحتمال ولا تنحسم به مادة الإجمال وهذا كما ترك ﷺ أصل البيان في قبور من عدى موسى من أكابر الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ولذلك صرح غير واحد من أهل العلم بأنه لم يثبت تعيين قبر نبي على القطع إلا قبر نبينا عليه الصلاة والسلام. أما مطلق الثبوت فقد قال ابن العربي المعافري في القبس شرح موطأ مالك بن أنس قد رأينا بالشام قبور كبار الأنبياء كان الثابت منها قبر الخليل وإسحاق ويعقوب في مسجد

الخليل، ومنها قبر موسى شرقي الطور عند الكنيسة الغربية قال: ووقفت على قبر إسماعيل بالحجر تحت الصخرة، ومدينة الخليل معروفة بالشام وهي مدينة حبرون الحاء المهملة كزيتون قرية من بيت المقدس. قال الشيخ مرتضى في شرح القاموس: بها غار يقال له: غار حبرون فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وقال في شرح الإحياء: اتفق لي أني لما وردت لزيارته كان معي جماعة نحو الخمسة فلما فرغت من الزيارة إذا أنا بسماط ممدود، وفيه من أنواع الأطعمة فتعجبت لكوني ما أعرف هناك أحداً، فقال لي شخص: لا تعجب هذه ضيافة الخليل وهي لكل قادم إلى زيارته، وقال الغزالي في الإحياء: (كان الخليل عليه السلام يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا) وهذا كله يؤكد صحة كون القبر هناك له. أما قبر موسى عليه السلام، فلأجل كون الحديث لا كافي ببيان فيه له. كثرت الأقوال ممن خاض في ذلك من أهل العلم، فقال ابن العربي ما تقدم عنه آنفاً، وقيل بالتيه وقيل بباب له ببيت المقدس، وقيل بدمشق، وقيل بواد بين بصرى والبلقاء، وقيل بمدين بين المدينة وبيت المقدس، وقيل بأريحاء من الأرض المقدسة. حكي بعض هذه الأقوال الستة في الفتح، وجلها في العمدة وجميعها في الإرشاد وفي القاموس: الطور جبل قرب أيلة يضاف إلى سيناء وسينين وجبل بالشام، وقيل هو المضاف إلى سيناء، وجبل بالقدس عن يمين المسجد، وآخر عن قبليه به قبر هارون عليه السلام، وجبل برأس العين، وآخر مطل على طبرية. وفي القاموس أيضاً لا بالضم قرية بفلسطين يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند بابها وفيه أيضاً فلسطون وفلسطين وقد تفتح فاؤهما كورة بالشام، وقرية بالعراق، وفيه أيضاً دمشق قاعدة الشام سُمِّيت باسم بانيها دماشق بن كنعان. وفيه أيضاً بصرى كحبلى بلاد بالشام، وقرية ببغداد، وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات قال ابن عساكر بصرى هي أول مدينة فتحت بالشام. قلت: وذلك مصرح به أوائل تاريخ ابن

عساكر وفيه أن ذلك كان في خلافة أبي بكر. وقال ابن حجر في مقدمة الفتح قيل إن بصرى هي مدينة حوران.

وفي شرح القاموس: البلقاء بباء موحدة وبالقاف هي كورة بالشام ذات قرى كثيرة ومزارع واسعة. وفي القاموس أيضاً مدين قرية شعيب عليه السلام وفيه أريحاء كزليخاء وكربلاء بلاد بالشام.

وإذا علم هذا فلنعرض الأقوال المتقدمة في محل قبر موسى عليه السلام على ميزان التمحيص فنقول القول بأن القبر الموسوي بالتيه هو وإن صححه العيني في عمدته وأضافه لرواية الضحاك عن ابن عباس لا يأتي إلا على أن بين ذلك المحل من التيه والأرض المقدسة أعني بيت المقدس رمية بحجر، فإن كان ما بينهما في البُعد ما لا يحتمل الدخول تحت رمية الحجر المحدث عنها، لم يطابق هذا القول دعاء موسى المستجاب بكون قبره يكون من الأرض المقدسة على رمية بحجر، والقول بأنه بباب لُد ببيت المقدس وفيه جمع بين ما هو مفترق لأن قرية لُد هي وإن كانت من فلسطين حسبما تقدم عن القاموس، فليست هي من بيت المقدس بل بلدة ببيت المقدس غيرها، ولو فرضنا اتحادهما فإن ما تضمنه هذا القول من كون القبر الموسوي ببيت المقدس ينافي نص الحديث من كون مطلوب موسى القرب من بيت المقدس دون الكون فيه والقول بأن القبر الموسوي بدمشق نقله ابن عساكر في تاريخه عن عبدالله بن سلام وعن كعب الأحبار لكن يبعده كون دمشق هي من المدن المتقدمة البناء قبل الزمن الموسوي بدهور طوال ففي القاموس وشرحه هي قاعدة الشام سميت باسم بانيها دماشق بن كنعان وهي إرم ذات العماد. وكانت دار نوح عليه السلام. وحكى ابن عساكر أوائل تاريخه في بانيها أقوالاً، فقال: قال وهب بانيها هو غلام حبشي كان وهبه نمرود للخليل عليه السلام كان اسمه دمشق وقيل هو ذو القرنين لما رجع من بناء السد بين أهل خراسان وبين يأجوج ومأجوج. وقال كعب الأحبار: أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط حران ودمشق.

ودفن موسى عليه السلام بهذه المدينة القديمة أوصاف محل القبر في الحديث المتكلم عليه لا تكاد تطابقه لاقتضائها أن محله ليس هو في مدينة ولا فيه بناء وكذا يبعده التباعد الحسي الواقع بين دمشق وبين بيت المقدس الذي لا يطابقه قدر رمية الحجر، والقول بأنه بواد بين بصرى والبلقاء قد علم مما تقدم في بيان مسمى هذين البلدتين، أن صاحب هذا القول يقول إن ذلك القبر بالشام وحينئذ ينظر في المسافة التي بين ذلك الوادي وبين بيت المقدس، هل يمكن أن ينطبق عليها قدر الرمية بالحجر التي في الحديث ليتبين من ذلك إمكان قبول القول المذكور وعدمه والقول بأن القبر الموسوي بمدين بين المدينة وبيت المقدس نسبه في الفتح لزعم ابن حبان قال: وتعقبه الضياء بأن أرض مدين ليست قريبة من المدينة ولا من بيت المقدس. والقول بأنه بأريحاء، نقل في الفتح عن الضياء أنه اشتهر في قبر هناك عنده كثيب أحمر أنه هو، وجزم في المقدمة بأن أريحاء قريبة من بيت المقدس. زاد صاحب الإرشاد: وما يرى في القبة المبنية عليه من أشباح مختلفة الهيئات والأفعال، فالله أعلم بحقيقته لكن أخبرني شيخ الإسلام البرهان ابن شريف أنه إذا وقع هناك فعل ما لا يجوز تحصل ظلمة واضطراب حتى يزال فعل ذلك فتتجلى.

وفي مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله: قبر موسى عليه السلام بالقرب من أريحاء، وتعرف القرية بسيمان. رأيت بخط العلاء بن الكلاس. قال الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن يونس: زرت قبر موسى قرب أريحاء، فقلت في نفسي اللهم أرني ما أزداد به يقيناً في صحة هذا القبر، فرأيت في النوم كأن القبر انشق وخرج منه إنسان طوال فسلّمت عليه، وقلت له: مَن أنت؟ قال: موسى بن عمران وهذا قبري، ثم ذكر أنه كاشفه بما كان يروج في ضميره، وبأنه لا يكون وإنما يكون كذا مما طابقه ما وقع بعد مما دَلَّ على صدق الرؤيا. وقول بعض ما تقدم من روايات الحديث «**فشمَّه شمّة فقبض روحه**» قال ابن حجر والسيوطي والقسطلاني، يقال إنه أتاه بتفاحة من الجنة فشمها

فمات. وعن وهب بن منبه (أن الملائكة تولُوا دفنه والصلاة عليه) زاد ابن حجر: وذكر السدي في تفسيره أن موسى لما دنت وفاته مشى هو وفتاه يوشع بن نون، فجاءت ريح سوداء فظن يوشع أنها الساعة، فالتزم موسى فانسل موسى من تحت القميص، فأقبل يوشع بالقميص، وزاد القسطلاني قال وهب: خرج موسى لبعض حاجته فمرّ برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم يرَ شيئاً قط أحسن منه، فقال لهم: لمن تحفرون هذا القبر؟ قالوا: أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا: فانزل واضطجع فيه، وتوجه إلى ربك فتنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه، ثم سوّت عليه الملائكة التراب.

قلت: ظاهر الحديث المشروح يرد هذا المنقول عن وهب بن منبه لأن الفاء في قول الحديث «**فشمَّه شمّة فقبض روحه**» تؤذن باتصال الشم والقبض بقول موسى فالآن، والمنقول عن وهب صريح في التراخي والانفصال، ولا يقال إن دعاء موسى وطلبه حينئذ للدنو من الأرض المقدسة قد استجيب له فيه كما اقتضاه إطلاق الحديث. ومن الممكن أن يكون المنقول هنا عن وهب، وقع لموسى حالة إدنائه للمحل الذي طلبه لأنا نقول اتصال الشم والقبض الذي بيَّنَّاه قاض بأن الإدناء وقع بعد الموت، والله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يَس: ٨٢] من غير توقف على معونة حياة ولا غيرها. ولا يليق ترك ما دلت عليه السنة الصحيحة الثابتة للمنقول عمن كثر نقله عن الإسرائيليات والله أعلم.

وقول الحديث فيما زادته رواية عمار بن أبي عمار: «**كان ملك الموت، يأتي للناس عياناً**» تقدم أن هذه الرواية ذات هذه الزيادة وقعت في مسند أحمد والبزار وتاريخ ابن جرير، ومستدرك الحاكم، وأن الحاكم صححها، وأن الحافظ الهيثمي قال: إن رجالها رجال الصحيح، وقد ذكرها الحافظ في الفتح ولم يتعقبها بشيء، وكذا أورد ذلك الشيخ مرتضى في شرح كتاب ذكر الموت وما بعده من الإحياء. وقَبِله فدلَّ ذلك مع ما تقدم عن الحافظين الحاكم والهيثمي على تسليم صحتها،

والمتبادر من كون ملك الموت كان يأتي الناس عياناً، أن ذلك كان من أول النشأة الإنسانية إلى أن وقع له مع موسى ما في هذا الحديث.
ويؤيد إرادة هذا آثار منها:

ـ حديث أبي هريرة عند الترمذي وصححه. قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب مَن هؤلاء؟ قال: ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب مَن هذا؟ قال: داود، قال: كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: رب زده من عمري أربعين سنة**» قال رسول الله ﷺ: «**فلما انقضى عمر آدم عليه السلام إلا أربعين سنة جاء ملَك الموت، فقال آدم: أوَلم يبق من عمري أربعون سنة؟ فقال: أوَلم تعطه ابنك داود؟**» الحديث. وفي رواية: «**أن آدم قال لملك الموت عند مجيئه قد عجلت أليس قد كتب لي ألف سنة؟ قال: بلى ولكنك جعلت البقية لابنك داود**».

فهذه محاورة سبقت بين آدم وملك الموت عند قبضه لروحه أنبأت عن كونه جاءه عياناً، والحال أن آدم أصل النوع الإنساني، فكان هذا الحديث الذي صرّح به الترمذي بصحته معضداً لصحة زيادة رواية عمار بن أبي عمار المتقدمة. ولما أفادته من كون مجيء ملك الموت عياناً لقبض الروح كان من أول لنشأة الإنسانية. ومراجعة آدم لملك الموت في هذا الحديث هي شبيهة بمراجعة موسى لملك الموت في حديث الصك المتقدم.
والوَبِيص بفتح الواو وكسر الباء الموحدة بعدها ياء مثناة تحت فصاد مهملة هو البريق واللمعان.

ومن الآثار المؤيدة لذلك أيضاً حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعاً: «**كان داود فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، فخرج ذات يوم ورجع، وإذا في الدار رجل قائم، فقال له: مَن أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمنع مني**

الحجاب. قال داود: أنت والله إذاً ملَك الموت، مرحباً بأمر الله، فزمل داود مكانه فقبضت نفسه».

ومنها رواية أبي الشيخ عن محمد بن المنكدر، «**أن ملك الموت قال لإبراهيم عليه السلام: إن ربي أمرني أن أقبض نفسك بأيسر ما قبضت نفس مؤمن، قال: فإني أسألك بحق الذي أرسلك أن تراجعه في، فقال: إن خليلك سألني أن أراجعك فيه، فقال: ائته، وقل له: إن ربك يقول: إن الخليل يحب لقاء خليله فأتاه فقال: امض لما أُمرت به**» الحديث.

ومنها: رواية أبي نعيم عن الأعمش قال: كان ملك الموت يظهر للناس فيأتي الرجل، فيقول: اقض حاجتك فإني أريد أن أقبض روحك.

وقد أورد هذه الآثار كلها السيوطي في (شرح الصدور) وإطلاق مجيء ملك الموت عياناً في هذه الآثار يظهر أنه لا يتناول معاينة حاضري الموتى لملك الموت أيضاً لكون الناس المقصود مجيء ملك الموت إليهم هم المراد قبض روحهم، فدلنا ذلك على خروج من عداهم من حاضري أوقات الموت كما يدلنا على ذلك أيضاً أمر آخر وهو: أن معاينة غير المقبوض روحه لملك الموت حال مجيئه لذلك قد تنشأ عنها وقائع ومزيد إفراط في الضجيج والعويل ونحوهما مما يفهم من مقاصد الشرع حسم مادته ما وجد إليه سبيل. ولكن هذا في العموم، أما في الخصوص فقد روى البزار في مسنده والطبراني في كبير معاجمه عن الحارث بن الخزرج عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال: **يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: طب نفساً وقر عيناً، واعلم أني بكل مؤمن رفيق**. إلى هنا رواية البزار. وقد زادت فيه رواية الطبراني ما لم يتعلق به غرض هنا. قال في مجمع الزوائد بعد إيراده في سنده عمر بن شمر الجعفي، والحارث بن الخزرج ولم أجد من ترجمهما، وبقية رجاله رجال الصحيح. وهذا هو حديث الطبراني الذي تقدم في شرح قول الحديث ملك الموت المدعو بمجيئه لتأييد ما تقدم هناك من أنه لم يجىء فيه ولا في حديث آخر ثابت مرفوع تسمية ملك الموت

عزرائيل، ولا خفاء أنه قد تبين به براءة حديث الطبراني هذا من التصريح باسم ملك الموت فيه خلافاً لمن زعم ذلك هناك، وأنه إن ثبت يدل على أن ملك الموت قد يعاينه بعض الخاصة من حاضري بعض الموتى. ويوافق ذلك الحديث الذي رواه الطبراني عن ابن عباس في مجيء ملك الموت لقبض روحه عليه الصلاة والسلام، واستيذانه عليه، وتبليغه سلام ربه، وقد صرح في مجمع الزوائد بأن في سنده راوياً ضعيفاً، فالله تعالى أعلم.

وقول زيادة رواية ابن أبي عمار المذكورة عند ابن جرير «**وخيّره بين ذلك وبين أن يموت الآن**» هو تصريح بما وقع اختصاره في رواية غيره من حذف ثاني شقي ما فيه التخيير، والأقوى عندي أن هذا التصريح إنما جاء من الرواية بالمعنى الذي يفهمه الراوي يُرشد إلى ذلك ما قدمت تقريره في شرح قول الحديث «**فما بعد ذلك**» أو «**ثم ماذا**» وقول رواية ابن جرير المذكورة «**فأتاه فخيّره**» كذا هو في النسخة، فخيّره بخاء معجمة فياء مثناة. وهذه الزيادة مرتبة على التي قبلها وهي «**وخيّره بين ذلك**» ولكن لا يستقيم مع هذه الجملة ومع التي قبلها اتصالاً قول موسى في هذه الرواية «**فما بعد ذلك**» حيث إن ما بعد ذلك وهو الموت الآن قد صرح له الملك به في تخييره له، ولعل هذا من آفات الرواية بالمعنى الذي أشرت آنفاً إليه. وقول زيادة رواية ابن أبي عمار المذكورة فجاء بعد ذلك إلى الناس خفياً، وفي رواية: خفية، به تم ما قدمته من روايات هذا الحديث والجائي هو ملك الموت، والإشارة في بعد ذلك هي لصك موسى لملك الموت وخَفِيا بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء هو اسم فاعل خفي كرمي وهو يأتي للضدين استتر وظهر، والأول هو المراد هنا لمقابلته بالمعاينة التي كانت قبل. وخفية في الرواية الأخرى هم بضم الخاء المعجمة ويجوز كسرها مع سكون الفاء معناه: جاء مستوراً عن الأعين يريد غالباً بدليل ما قدمته في رؤية نبينا ﷺ، والله سبحانه ولي التوفيق بمَنّه وبه تتم الصالحات. فأسأله سبحانه أن يكسو هذا التقييد جلابيب القبول، وأن يعم النفع به وفق المأمول، وأن يحفظه من كل عابث، وأن يجعله من خير العمل الثابت.

وصلّى الله وسلّم على من صحّ عنه أنه قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد**» كما صحّ عنه أنه قال: «**أنا سيّد ولد آدم**» زاده الله تشريفاً وتكريماً.

قال مقيده: محمد بن أحمد بن إدريس بن الشريف العلوي الإسماعيلي الزرهوني نشأة، المكناسي الآن قراراً، كان الفراغ من هذا التقييد قرب زوال يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شعبان الأبرك عام واحد وستين وثلاثمئة وألف.



فهارس[1]

الدفاع عن الصحيحين

- فهرس الآيات الكريمة.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.

(1) هذه الفهارس من إعداد والدي الأستاذ أحمد بن عزوز جزاه الله خيراً.



فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
- أ -			
﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾	٥٢	يوسف	٢٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾	٥٧	الأحزاب	١١٢
﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾	٥٥	يوسف	١٩
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾	١٧٣	آل عمران	١١٣
- ر -			
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾	١٥	الأحقاف	٦٥
- ف -			
﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	المدثر	١٢٨
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾	١٢٠	طه	١٠٧
﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾	٦٩	النحل	١١٣

الآية	رقمها	السورة	الصفحة

- ل -

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٨	الفتح	١٢٦
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	١١١	يوسف	١١٦
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	الأحزاب	١٩
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾	٧٣	المائدة	١١٤

- م -

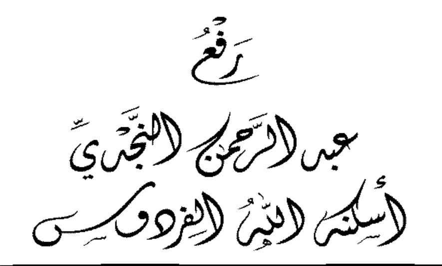
الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾	١٨	غافر	١٢٨
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	٢٥٥	البقرة	١٢٨
﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	٨٠	النساء	١١٠

- و -

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾	٦١	المائدة	١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١١٠ ـ ١١٧
﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	١٥٨	الأعراف	١١٠
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾	١١	الجمعة	٢٨
﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾	٥٣	الأحزاب	١٣٠
﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ﴾	١١٩	الأنعام	١٢٩
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾	١٥٩	النساء	١٢٨
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾	٤٤	النحل	١١٢
﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	٣٦	آل عمران	١٠٧
﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢٥	الحديد	٦٢
﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	٤٨	الأحزاب	١١٢
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٦١	التوبة	١١٢
﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾	٨٢	يوسف	١١١
﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾	١٥	مريم	٢٠

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	الذاريات	٣٥
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾	٦٤	المائدة	١١٤
﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾	٩٠	الإسراء	٦٢
﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾	٣١	النور	١٣٠
﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾	٢٨	الأنبياء	١٢٨
﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾	٦٩	طه	١٠٤
﴿وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾	١٣٥	النساء	٩٧
﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾	٦١	البقرة	١١٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾	٦١	المائدة	١١٧
﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾	١٢٠	طه	١١١ ـ ١١٧







فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
- أ -	
«إن لله ملائكة سياحين»	٩٤
«أنا أول الناس يشفع في الجنة»	١٢٨
«أنا النبي لا كذب»	١٩
- خ -	
«الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً»	١٢٣
- ر -	
«الراحمون يرحمهم الرحمن»	٨٨
- س -	
«سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق»	١٠٣

- ل -

«لا تقوم الساعة حتى لا يبقى من يقول: الله الله» ١٢٣
«لا يزل هذا الدين عزيزاً إلى» ١٢٢
«لكل نبي دعوة مستجابة» ١٢٨

- م -

«من رغب عن سنتي فليس مني» ١١٠

- و -

«والله لا تجمع بنت نبي وبنت عدو الله» ١٢٥
«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً» .... ١٢٦ ـ ١٢٧



فهرس الأعلام

- أ -

إبراهيم بن عبدالحق الهاشمي: ٨١.
إبراهيم بن موسى: ١٠٣.
إبراهيم التازي: ٨٩.
إبراهيم الرياحي: ٧٨.
إبراهيم القادري: ٨٨.
إبراهيم الكوراني: ٨١.
ابن الإمام: ٢٠.
ابن تيمية: ١٠ ـ ١٤.
ابن الجصاص: ١٠٥ ـ ١٠٧.
ابن جماعة: ٩٦.
ابن الحاج البلقيني: ١٤ ـ ٧٦.
ابن حجر: ٩٦ ـ ١٠٧ ـ ١١٩ ـ ١٢٢.
ابن حزم: ١٤.
ابن حموية السرخسي: ٧٦.
ابن الخطيب: ٢٠.
ابن خلدون: ٢٠.
ابن الخياط: ٨٤.
ابن الزبير: ٧٦.
ابن زيدان: ٤٥.
ابن سعادة: ٧٣ ـ ٧٦.
ابن سيد الناس: ١٠.
ابن عباس رضي الله عنهما: ١٠٤ ـ ١٠٧ ـ ١١٠.
ابن العباس الحاج عبدالله القباج: ٧٠.
ابن عبدالهادي: ١٠.
ابن العربي: ١٤.
ابن غازي: ٧٥.
ابن القطاع: ٢٠.
ابن القيم: ١٤.
ابن ماجه: ٩٠ ـ ١٢٢.
ابن واجب: ٧٦.
أبو إسحاق المستملي: ٧٦.
أبو بكر الصدِّيق: ١٢٣.
أبو بلال عمرو بن صالح: ٨٨.
أبو الحسن بن سعيد: ٢٠.
أبو الحسن القابسي: ٧٤.

أبو داود السجستاني: ٦٣ ـ ٩٠ ـ ١٠٧ ـ ١٢٣.
أبو ذر الهروي: ٧٦.
أبو زيد الثعالبي: ١١٢.
أبو سعيد النيسابوري: ٨٨.
أبو شعيب الدكالي: ٨٦ ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٥.
أبو علي الصدفي: ٧٣ ـ ٧٦.
أبو علي اليوسي: ٢١.
أبو عمر البصري: ٣٤.
أبو الوليد الباجي: ٧٦.
أحمد الأبي: ٧٨.
أحمد بن أحمد بناني كلا: ٢٧ ـ ٧٢ ـ ٧٥ ـ ٨١.
أحمد الجيلاني الأغماري: ٤٦.
أحمد الجوهري: ٨٧ ـ ٨٩.
أحمد بن حنبل: ١٤ ـ ١٢٢.
أحمد بن خالد الناصري: ٢٢.
أحمد بن الطالب بن سودة: ٧٧.
أحمد بن عبيد العطار: ٩٣.
أحمد بن العجل: ٧٩ ـ ٨٠.
أحمد بن المأمون البلغيثي: ٦٣.
أحمد بن المبارك اللمطي: ٦٤ ـ ٧٩.
أحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج: ٤٥.
أحمد بن محمد بن الخياط: ٤٤.
أحمد بن محمد المدني السرغيني: ٦٩.
أحمد بن موسى: ٣٥.
أحمد الرفاعي: ٩٥.
أحمد رافع الحسيني: ٦٦.
أحمد سكيرج: ٧١.
أحمد الشريف التونسي: ٨٠.
أحمد المرنيسي: ٤٥.
إسماعيل الإدريسي: ٦٨.
إسماعيل التميمي: ٧٨.
الأمير الصغير: ٧٩ ـ ٨٧ ـ ٩١.

ـ ب ـ

بابا يوسف الهروي: ٨١.
الباقلاني: ١٤.
بدر الدين الحموي: ٧٥ ـ ٨١ ـ ٨٤.
البرزالي: ١٠.
بوحجار: ٢٦.
بونافع: ٧٧.
بيرم الثالث: ٧٨.

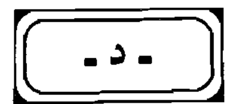
ـ ج ـ

جعفر بن أبي طالب: ٢٢.
جعفر بن إدريس الكتاني: ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٥ ـ ٨٢ ـ ٩٤ ـ ٩٧.

ـ ح ـ

الحجاري: ٢٠.
الحسن بن حنيني: ٢٦.
الحسين بن عبدالكبير كنون: ٢٣.
الحسن بن العربي الحجوي: ١٠ ـ ١١

- ١٧ - ١٩ - ٢٢ - ٣٣ - ٤٢ - ٨٢
- ٨٤ - ٨٩ - ٩٣ - ١٠٨.
الحسن بن علي العجمي: ٧٩.
حسن بن عمر الشطي: ٨٧.
حمدون بن الحاج: ٧٩.



الدارقطني: ١٠٤ - ١١٨ - ١١٩.
الداودي التلمساني: ٤٥.
الدمياطي: ١٠.



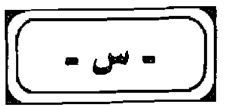
الذهبي: ٩.



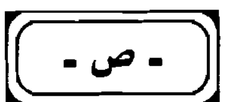
رضوان بن عبدالله الجنوي: ٧٥.



زكرياء الأنصاري: ٩٢ - ٩٦.
زيد بن أرقم: ١٠٤ - ١٠٧ - ١١٠.



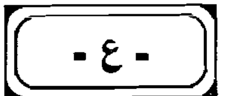
سالم بوحاجب التونسي: ٨٠.
سفيان بن عيينة: ٩٨ - ٩١.
سقين العاصمي: ٧٥.
سليم البشري: ٩٣ - ٩٥.



الشاطبي: ١٤.



صالح العمري: ٨٣.
صالح الفلاني: ٨٠.
الصديق الفاسي: ٦٩.
صفي الدين الخزرجي: ٩٠.



الطاهر بن عاشور: ٦٧.
الطاهر بن محمد الفاسي: ٦٩.
الطرطوشي: ١٤.

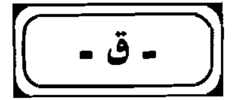
- ع -

عائشة رضي الله عنها: ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٠ - ١١٧.
عبدالله الأهوازي: ٨١.
عبدالله البكراوي: ٤٥.
عبدالله بن جعفر: ٢٢.
عبدالله بن سالم البصري: ٨٩ - ٩١.
عبدالله بن الصديق: ١١٥.
عبدالله بن عمرو بن العاص: ٨٨.
عبدالله الجراري: ٢١ - ٧٠.
عبدالله القدومي: ٨٧ - ٩١.
عبدالله الكامل الأمراني: ٣٧.

عبدالباري الأهدل: ٨٩.
عبدالحميد بن باديس: ٦٧.
عبدالحي الكتاني: ٤٣ ـ ٦٧.
عبدالرحمٰن الفاسي: ٧٥.
عبدالرحمٰن الفرغاني: ٨١.
عبدالسلام بن الطايع بوغالب: ٤٥.
عبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة: ٧٠.
عبدالسلام بن محمد بن الطاهر الهواري: ٤٢.
عبدالسلام القادري: ٢١.
عبدالصمد بن التهامي كنون: ٦٩.
عبدالعزيز الغساسي: ٩٥.
عبدالفتاح أبو غدة: ١٠ ـ ٦٦ ـ ٨٠ ـ ١٠٨.
عبدالقادر بن شقرون: ٧٣.
عبدالقادر المغربي الدمشقي: ٦٦.
عبدالقادر الفاسي: ٧٣ ـ ٧٥ ـ ٨٤ ـ ٨٩ ـ ٩١.
عبدالملك التجموعتي: ٧٥.
عبدالملك الضرير: ٤٥ ـ ٨٠.
العجلوني: ٩٢.
علاء الدين الزبيدي: ٨١.
علال بن كيران: ٢٧.
علال الفاسي: ١٤.
علي بن صالح الحجازي: ٨٨.
علي بن مكرم الصعيدي: ٧٩.
علي الحريشي: ٧٣ ـ ٧٥ ـ ٧٩.
علي سويسي: ٧٨.
عمار بن ياسر: ٢١.
عمر بن حسن الشطي: ٩١.
عمر الفاسي: ٧٣.
عمرو بن دينار: ٨٨ ـ ٩١.
عيسى بن يونس: ١٠٥.
عياض ـ القاضي ـ: ١٤.

ـ ف ـ

فاطمة البتول: ٢٢.
الفِربري: ٧٦ ـ ٧٩ ـ ٨٢ ـ ٨٣.



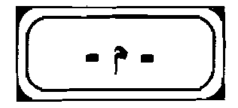
قدور الجزائري: ٨٧.
القسطلاني: ٧٧.
القصار: ٧٥ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٤.



الكشميهني: ٧٦.



لبيد بن الأعصم: ١٠٣.



المازري: ١٠٥.
مالك ـ الإمام ـ: ٨١.
محمد بن إبراهيم العامري: ٢٠.
محمد بن أحمد الرملي: ٩٦.

محمد بن أحمد العبدي الكانوني: ٦٩.

محمد بن أحمد العلوي: ١٣.

محمد بن إسماعيل البخاري: ٧٩ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ ١٠٤.

محمد بن بشير العبدي: ٨٨.

محمد بن التهامي الوزاني: ٣٣ ـ ٤٦ ـ ٧٢.

محمد بن جعفر الكتاني: ٢١.

محمد بن خليل السكوني: ٧٦.

محمد بن خوجة: ٦٧ ـ ٧٨.

محمد بن سعيد المقري: ٨٧.

محمد بن سليمان الروداني: ٨٧ ـ ٨٩ ـ ٩١.

محمد بن سنة: ٨٣.

محمد بن شاذبخت: ٧٩.

محمد بن صدقة الدمشقي: ٧٩.

محمد بن عبدالرحمٰن الحجراتي: ٤٥.

محمد بن عبدالسلام بناني: ٧٥ ـ ٨٤.

محمد بن عبدالسلام كنون: ٣٩.

محمد بن عبدالسلام الناصري: ٧٩.

محمد بن عبدالقادر الفاسي: ٨٤.

محمد بن عبدالكريم السمان: ٨١.

محمد بن علي السنوسي: ٧٩.

محمد بن عمر البابي: ٨٢.

محمد بن عمر السودي: ٢٩.

محمد بن الفقيه الورياجلي: ٢٩.

محمد بن قاسم القادري: ٢٧ ـ ٤٢.

محمد بن محمد كنون: ٨١.

محمد بن المدني كنون: ٢٧ ـ ٤٥.

محمد بن يحيى السراج: ٧٥.

محمد بن يوسف الحنفي: ٦٧.

محمد التاودي بن سودة: ٧٢ ـ ٧٥ ـ ٧٨ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٤.

محمد توفيق أوكيج: ٧١.

محمد الخامس: ١١.

محمد الخصاصي: ٢٧.

محمد الرافعي: ٦٣.

محمد السنوسي: ٨١.

محمد عابد السندي: ٨٠.

محمد عبده: ١٠٤.

محمد العربي بن يوسف الفاسي: ٢١.

محمد عقيلة المكي: ٧٩.

محمد علي بن ظاهر الوتري: ٩٠.

محمد كرد علي: ٦٥.

محمد المنوني: ٢٢.

المزي: ١٠.

مسلم ـ الإمام ـ: ٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ١٠٤ ـ ١٢٢.

المكودي: ٧٨.

المهدي بن الطالب السودي: ٤٥.

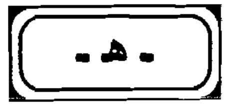
ـ ن ـ

النسائي: ١٠٤ ـ ١٠٧.

النضر بن شميل: ٩٠.

نعيم بن مسعود: ١١٣.

النووي: ٩٦.



هشام بن عبدالملك: ١٢٣.

هشام بن عروة: ١٠٣.

- و -

الوليد العراقي: ٧٢ ـ ٧٣.



يحيى بن زكرياء: ١١٧.

يحيى بن مكرم الطبري: ٧٩.

يحيى بن يعمر: ١٠٦.

يحيى القطان: ٩٠.



عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



فهرس الأماكن

- أ -

أسفي: ٤٠.

إشبيلية: ٢٠.

أوربا: ٣٠.

- ب -

باب عجيسة: ٤٤.

باب الفتوح: ٣٥.

- ت -

تونس: ٥٢ ـ ٥٧ ـ ٦٧.

- ج -

جامع الزيتونة: ٧٨.

جامع القرويين: ٣٠ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٥٣ ـ ٥٩.

جرنيز: ٢٣.

الجزائر: ٦٠ ـ ٦٧ ـ ٧٩.

- ح -

الحرم الإدريسي: ٢٣.

- خ -

خزانة القرويين: ٧٤.

- د -

دار المخزن: ٤٨.

دار الوزير الجباص: ٨٦.

دمشق: ٢٠ ـ ٨٧.

- ر -

رأس القليلعة: ٤١.

الرباط: ١٣ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٨ ـ ٦٥ ـ ٨٦ ـ ١٢٦.

روضة الصقليين: ٤٤.

- ز -

زقاق البغل: ٢٩.

- س -

سلا: ١٣ ـ ٥٣.

سويقة بن صافي: ٦٠.

- ش -

الشام: ٢٠ ـ ٢٨.

- ص -

صقلية: ٢٠ ـ ٤٨.

الصويرة: ٣٤ ـ ٤٢ ـ ٤٣.

- ض -

ضريح أبي غالب: ٤١.

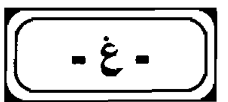
الضريح الإدريسي: ٥٢ ـ ٥٩.

- ط -

طنجة: ٢٧.

- ع -

العراق: ٢٠.



غرناطة: ٢٠.

- ف -

فاس: ٢٣ ـ ٢٧ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٥ ـ ٣٩ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٩ ـ ٥١ ـ ٥٧ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٧ ـ ٧٩.

فلسطين: ٨٧.

- ق -

قصر كتامة: ٤٢.

قلعة يحصب: ٢٠.

- م -

مدرسة الباشية: ٧٨.

المدرسة العليا ـ بالرباط: ٧٤.

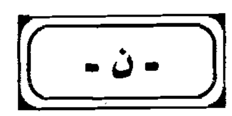
المدرسة العنقية: ٧٨.

المدرسة المرادية: ٨٧.

مراكش: ١٣ ـ ٥٢ ـ ١٢٦.

مصر: ٢٠ ـ ٦٦ ـ ٧٧ ـ ١٠٨.

مكناس: ٣٦ ـ ٤٨ ـ ٦٣.



نابلس: ٨٧.



هوارة: ٤٢.



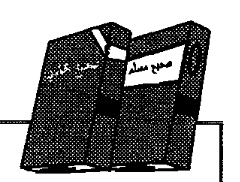
وجدة: ٤٨.
وهران: ٨٩.

فهارس[1]

توضيح طرق الرشاد

- فهرس الآيات الكريمة.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.

(١) هذه الفهارس من إعداد والدي الأستاذ أحمد بن عزوز جزاه الله خيراً.



فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
		- أ -	
﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾	١١٦	المائدة	٢٠١
﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ﴾	٤٦	يوسف	٢٠٩
﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾	٤٢	الزمر	١٩٥
﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾	١٣٢	الشعراء	٢١١
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾	١٣١	الزمر	٢٠٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾	٦٧	البقرة	٢٠٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾	١٨	الحج	١٩٩
﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾	٥١	غافر	١٩٧
﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾	٣١	البقرة	٢٠٠
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾	٥٠	ق	١٨٧
﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾	٤٥	طه	١٩٦ ـ ١٩٧
﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾	١٤٤	الأعراف	٢٠٥

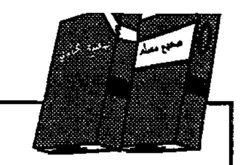
الآية	رقمها	السورة	الصفحة
- ب -			
﴿بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾	٩٣	الأنعام	١٩٣
- ت -			
﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾	١١٦	المائدة	١٩٩
﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾	٦١	الأنعام	١٩٣
- خ -			
﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا﴾	٢١	ص	١٩٨
- ر -			
﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾	٨٥	المائدة	٢١٦
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾	٨	آل عمران	٢٢٢
ف			
﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ﴾	٤٩	يونس	١٩٧
﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾	١٧	مريم	١٩٥
﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾	٩٩	الأعراف	١٩٩
﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ﴾	٦٩	هود	١٩٨
﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾	١٥	القصص	١٥ ـ ١٩٥
- ق -			
﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ﴾	١١	السجدة	١٩٢ ـ ١٩٣

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
- ع -			
﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾	٢٧	الأنبياء	١٩٩
- ك -			
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	آل عمران	٢١٩
﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	الأنبياء	١٩٢
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٨٨	المائدة	٢١٧
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	١١	الشورى	١٩٦
- م -			
﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾	٢٩	ق	٢٠٠
- هـ -			
﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾	٧٨	هود	١٩٨
- و -			
﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾	٦٤	الإسراء	٢٠٢
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	البقرة	٢٠٣
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾	٥١	الأعراف	٢٠٤
﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	١٩	الطلاق	١٩٩
﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾	٤	فاطر	١٨٤
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾	٤٥	المائدة	١٩٨
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٥٠	الأنعام	١٩٣
﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	الإسراء	١٩٨

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾	٣٤	الأنبياء	٢٠٨
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾	٦٤	مريم	١٩٢
﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾	٧٥	آل عمران	٢١٠
﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾	٢٥	الحج	٢١٧

- ي -

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾	٢٦٩	البقرة	١٩١
﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾	١٢	طه	١٩٦



فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
- أ -	
«آجال البهائم وخشاش الأرض»	١٩٤
«اللهم لا تجعل قبري وثناً»	٢١٩
«أُرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام»	١٧١
«إن الله تعالى وكل ملك الموت»	١٩٥
«إن تهلك هذه العصابة»	٢٠٠
«إن عبداً خيره الله تعالى بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا»	٢٠٨
«إنما يلبس الحرير في الدنيا من»	١٨٦
«إنه لم يقبض قط نبي حتى»	٢٠٧
- ج -	
«جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام»	١٧٣
- خ -	
«خيرت بين أن أبقى حتى أرى»	٢٠٨

- ك -

«كان النبي يبعث إلى قومه خاصة» ٢١٧

- م -

«ما من نبي يموت حتى يخيَّر» ٢٠٦
«من مات في أحد الحرمين بعث» ٢١٨

- ي -

«يحمل هذا الدين من كل خلف» ١٩٠



فهرس الأعلام

- أ -

أبان بن تغلب: ١٨٥.
إبراهيم السقا: ١٥٠.
ابن جرير الطبري: ١٨٠.
ابن حبان: ١٦٧.
ابن حجر: ١٦٨ - ١٧٦ - ١٨٣ - ١٨٤.
ابن حزم: ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢.
ابن خزيمة: ١٦٧.
ابن السراج: ١٥١.
ابن العربي: ١٨١.
ابن عطية: ١٩٤.
ابن غازي: ١٥١.
ابن قتيبة: ١٦٧.
ابن القطان: ١٨٥.
ابن القيم: ١٨٠ - ١٨١.
ابن كثير: ١٧٦.
ابن معين: ١٨٣.
ابن النجار: ١٨١.
أبو إسحاق الشيرازي: ١٨١.
أبو العباس المنجور: ١٥١.
أبو البركات البلفيقي: ١٥١.
أبو بكر الإسماعيلي: ١٧٦.
أبو زرعة الدمشقي: ١٨٣.
أبو عوانة: ١٨٣.
أبو الطيب الطبري: ١٨١.
أبو هريرة: ١٧١ - ١٧٢.
أحمد بن حنبل: ١٧٦.
أحمد بن خالد الناصري: ١٤٦.
أحمد بن الطالب بن سودة: ١٤٧.
أحمد بن عبيد العطار: ١٥٢.
أحمد بن موسى بن عجل: ١٥١.
إدريس العراقي: ١٥١.
إسماعيل العجلوني: ١٥٢.

- ب -

بدر الدين الحمومي: ١٥٧.
البدر القياتي: ١٥٢.
البرهان بن أبي شريف: ١٥٢.
البزار: ١٧٦.
البغوي: ١٧٦.

- ت -

التاودي بن سودة: ١٥٧.
التهامي بن المدني كنون: ١٤٧ ـ ١٥٤.

- ج -

جعفر الكتاني: ١٤٧ ـ ١٤٨.
جمال الدين القاسمي: ١٨٤ ١٨٥.

- ح -

الحسن بن الشريف: ١٤٣ ـ ١٤٥.
حسين الحبشي: ١٥٣.

- س -

السخاوي: ١٨١.

- ص -

صالح بن محمد الفلاني: ١٥١.

- ع -

عباس الدوري: ١٨٣.
عبدالرحمٰن بن زيدان: ١٥٩.
عبدالرحمٰن الكزبري: ١٥٢.
عبدالسلام الأزمي: ١٥٧.
عبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة: ١٦٠.
عبدالسلام بن محمد الهواري: ١٤٨.
عبدالسلام بن مشيشي: ١٤٤.
عبدالغني الدهلوي: ١٥٨.
عبدالغني الهندي: ١٥٠.
عبدالقادر بن أحمد العرائشي: ١٦١.
عبدالقادر بن شقرون: ١٥٧.
عبدالكبير الكتاني: ١٥٠.
عبدالكريم اليازغي: ١٥٧.
عبدالملك بن أعين: ١٨٥.
عبدالملك بن محمد العلوي: ١٤٦.
عبدالهادي الصقلي: ١٤٨.
عبدالوهاب الشعراني: ١٥٢.
علي بن ظاهر الوتري: ١٥٢ ـ ١٥٥.
علي بن المديني: ١٨٣.
علي منون المكناسي: ١٥١.
عمران بن حطان: ١٨٦.

- ف -

الفضيل بن الفاطمي: ١٤٣ ـ ١٤٥.

- ق -

القاضي عياض: ١٥١.

- م -

مالك ـ الإمام: ١٥١ ـ ١٦٠ ـ ١٩٦.
محمد بن أحمد العلوي: ١٤١ ـ ١٥٣ ـ ١٥٥ ـ ١٥٩.
محمد بن إسماعيل البخاري: ١٥١ ـ ١٧١.
محمد بن التهامي الوزاني: ١٤٦.
محمد بن جعفر الكتاني: ١٥٥.
محمد بن سنة: ١٥١.
محمد بن شاذبخت: ١٥١.
محمد بن عبدالرحمٰن الحجرتي: ١٥٧.
محمد بن عبدالرحمٰن الفاسي: ١٥١.
محمد بن عبدالله الطاوسي: ١٥١.
محمد بن عبدالسلام الناصري: ١٥١.
محمد بن عبدالواحد الإدريسي: ١٤٥.
محمد بن عبدالواحد النسب: ١٤٣.
محمد بن علي العلوي: ١٥٢.
محمد بن قاسم القادري: ١٤٧.
محمد عابد السندي: ١٥١ ـ ١٥٨.
محمد العرائشي: ١٦٢.
محمد عليش: ١٥٠.
محمد الخامس ـ ملك المغرب ـ: ١٤٤.
محمد الرهوني: ١٥٧.
محمد كنون: ١٤٨ ـ ١٥٧.
المدني بن الحسني: ١٥٩.
مسلم ـ الإمام ـ: ١٧٢.
المكي البطاوي: ١٥٩.

- ن -

نور الدين الهيثمي: ١٧٥.

- و -

الونشريسي: ١٥١.

- ي -

يحيى بن عمار الختلاني: ١٥١



فهرس الأماكن

- ب -

البلقاء: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

- ت -

تادلة: ١٤٤.

تطوان: ١٤٤.

- ج -

الجامع الكبير: ١٦٠.

جامع المنصور: ١٨١.

- ح -

الحجاز: ١٤٤.

الحوز: ١٤٤.

- خ -

الخزانة الكتانية: ١٧٥.

الخليل: ٢٢٥.

- د -

دمشق: ٢٢٧.

- ر -

الرياض: ١٦٠.

- ز -

الزاوية الإدريسية: ١٤٢.

الزاوية الزرهونية: ١٥٥.

زرهون: ١٤٥ ـ ١٦٠.



الشام: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
الشاوية: ١٤٤.
شفشاون: ١٤٤.



الضريح الإدريسي: ١٤١ ـ ١٥٥.



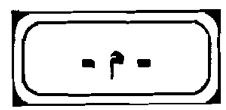
طنجة: ١٤٤.



فاس: ١٤٦ ـ ١٦٠ ـ ١٦١.



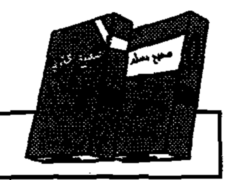
قبة الضريح الإسماعيلي: ١٦٢.
القصر الكبير: ١٤٤.



المدينة المنورة: ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٥ ـ ١٥٨.
مسجد الخليل: ٢٢٥.
مصر: ١٥٠.
مكناس: ١٤٣ ـ ١٦٠.



وزان: ١٤٤ ـ ١٦٠.



المصادر والمراجع

١ ـ **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**: لعبدالرحمٰن بن زيدان، ط١، المطبعة الوطنية، الرباط ١٣٥٢هـ.

٢ ـ **الإتحاف الوجيز ـ تاريخ العدوتين**: لمحمد بن علي الدكالي، تحقيق: مصطفى أبو شعراء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ١٤٠٦هـ.

٣ ـ **أزهار البستان في طبقة الأعيان**: لابن عجيبة، مخطوط الخزانة العامة، الرباط (٥٢٨٦).

٤ ـ **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا**: لأحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري.

٥ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: لابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦ ـ **الأعلام**: لخير الدين الزركلي، طبع بمصر، سنة ١٩٥٤م.

٧ ـ **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**: لابن ماكولا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨ ـ **الأنباء المنشودة**: للعابد بن سودة، مخطوط، (خزانة محمد المنوني).

٩ ـ **التتبع لما في الصحيحين (مع الإلزامات)** أبو الحسن الدارقطني: تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

١٠ ـ **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**: للمزي، ط٢، المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

١١ ـ **التعريف بالتاودي بن سودة**: لحمدون بن الحاج، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، تحقيق: جعفر بن الحاج السلمي.

١٢ ـ **التقاط الدرر**: لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٣ ـ **التميهد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: لابن عبدالبر، ط١، وزارة الأوقاف، المغرب.
١٤ ـ **توجيه النظر إلى أصول الأثر**: طاهر الجزائري، عناية الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
١٥ ـ **جامع الترمذي (مع شرحه تحفة الأحوذي)**: ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ.
١٦ ـ **الجامع الصحيح للإمام البخاري**: (مطبوع مع الفتح) بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
١٧ ـ **جامع القرويين**: للدكتور عبدالهادي التازي، ط١، سنة ١٩٧٢م.
١٨ ـ **حلية الأولياء**: أبو نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة بمصر ١٣٥١هـ.
١٩ ـ **خلاصة تهذيب الكمال**: لصفي الدين الخزرجي، تحقيق: الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب الموضوعات الإسلامية بحلب.
٢٠ ـ **الدرر البهية**: للفضيلي، طبعة وزارة الأوقاف، المغرب.
٢١ ـ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**: لعبدالسلام بن سودة، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٦٥م.
٢٢ ـ **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**: لمحمد بن جعفر الكتاني، ط. دار البشائر الإسلامية.
٢٣ ـ **سلوة الأنفاس**: لمحمد بن جعفر الكتاني، طبعة حجرية.
٢٤ ـ **سنن أبي داود**: ط. دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٢هـ.
٢٥ ـ **سنن ابن ماجه**: تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتاب المصري.
٢٦ ـ **السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن**: لابن رشيد السبتي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر.
٢٧ ـ **سنن النسائي**: تحقيق: مكتب التراث الإسلامي، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤١١هـ.
٢٨ ـ **سير أعلام النبلاء**: للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ.
٢٩ ـ **شرح صحيح مسلم**: للنووي، المطبعة المصرية.
٣٠ ـ **شرح علل الترمذي**: لابن رجب الحنبلي، ط٢، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ.

٣١ - **شروط الأئمة الخمسة**: للحازمي، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

٣٢ - **صحيح ابن حبان**: (ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي)، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة المعارف، القاهرة ١٣٧٦هـ.

٣٣ - **صحيح ابن خزيمة**: تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٤ - **صحيح مسلم**: تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتاب المصري.

٣٥ - **صفوة من انتشر للإفراني**: طبعة حجرية.

٣٦ - **الفردوس بمأثور الخطاب**: للديلمي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦م.

٣٧ - **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**: لمحمد بن الحسن الحجوي، خرج أحاديثه وعلق عليه: عبدالعزيز عبدالفتاح القارىء، طبع على نفقة المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٧هـ.

٣٨ - **فهرس الفهارس لعبدالحي الكتاني**: تحقيق: الدكتور إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي.

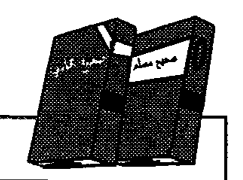
٣٩ - **القاموس المحيط**: للفيروزآبادي، دار الفكر، ١٩٩٥م.

٤٠ - **مستدرك الحاكم**: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

٤١ - **من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر**: لعبدالرحمٰن الكتاني، تحقيق: الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني، ط١، دار البيارق الأردن، ١٤٢١هـ.







فهرس الموضوعات

الدفاع عن الصحيحين

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
القسم الأول: حياة العلّامة الحجوي	**١٧**
المبحث الأول: ترجمته لنفسه	**١٩**
١ ـ نسبه	٢٢
٢ ـ مولده ونشأته	٢٣
أ ـ عناية جدَّته ووالدته بتربيته	٢٣
ب ـ عناية والده بتعليمه	٢٥
٣ ـ دراسته بالمكْتَب	٢٩
٤ ـ دراسته بجامع القرويين بفاس	٣٠
٥ ـ شيوخه الذين لازمهم بالقرويين	٣٢
ـ أبو عبدالله محمد بن التهامي الوزَّاني (ت١٣١١هـ)	٣٣
ـ أبو العباس أحمد بن الطالب السودي (ت١٣٢١هـ)	٣٥
ـ أبو سالم عبدالله الكامل الأمراني الحسني (ت١٣٢١هـ)	٣٧
ـ أبو محمد جعفر بن إدريس الكتاني (ت١٣٢٣هـ)	٣٨
ـ أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالسلام كنون (ت١٣٢٦هـ)	٣٩
ـ أبو محمد عبدالسلام بن محمد بن الطاهر الهواري (ت١٣٢٨هـ)	٤٢
ـ أبو عبدالله محمد بن قاسم القادري (ت١٣٣١هـ)	٤٢
ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن الخياط (ت١٣٤٣هـ)	٤٤

الموضوع	الصفحة

- أبو العباس أحمد بن الجيلاني الأمغاري (ت١٣٥٢هـ) ٤٦

٦ ـ وظائفه ٤٧

أ ـ تدريسه بالقرويين ٤٧

ب ـ اشتغاله بالتجارة ٤٧

ج ـ اشتغاله بالسياسة ٤٨

د ـ اشتغاله بالدروس العلمية بالرباط ومراكش وفاس ٥٢

٧ ـ وصيته للشبيبة المغربية ٥٣

٨ ـ مؤلفاته ٥٦

٩ ـ ثناء العلماء عليه ٦٥

أولاً: ثناء علماء بلاد الشام ٦٥

- محمد كُرد علي ٦٥

- عبدالقادر المغربي الدمشقي ٦٥

- عبدالفتاح أبو غدة ٦٦

ثانياً: ثناء علماء مصر ٦٦

- أحمد رافع الحُسيني القاسمي الطهطاوي ٦٦

ثالثاً: ثناء علماء تونس ٦٦

- الطاهر بن عاشور ٦٦

- محمد بن يوسف المفتي الحنفي ٦٧

- محمد بن خوجة ٦٧

رابعاً: ثناء علماء الجزائر ٦٧

- عبدالحميد بن باديس ٦٧

خامساً: ثناء علماء المغرب ٦٧

- عبدالحي الكتاني ٦٨

- إسماعيل الإدريسي الحسني ٦٨

- عبدالصمد بن التهامي كنون ٦٩

- محمد بن أحمد العبدي الكانوني ٦٩

- الصدِّيق الفاسي ٦٩

الموضوع	الصفحة

- الطاهر بن محمد الفاسي ٦٩
- محمد المغربي ٦٩
- أحمد بن محمد المدني السرغيني ٦٩
- عبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة ٧٠
- عبدالله الجراري ٧٠
- عبدالله القباج ٧٠
- أحمد سكيرج ٧١

سادساً: ثناء علماء أوربا ٧١

- محمد توفيق أوكيج (رئيس علماء البوسنة) ٧١

المبحث الثاني: أسانيد الحجوي في الصحيحين ٧٢

أولاً: أسانيده في صحيح البخاري ٧٢

١ ـ سنده من طريق الوزاني ٧٢

٢ ـ سنده من طريق ابن سودة ٧٧

٣ ـ سنده من طريق كنون ٨١

٤ ـ روايته لصحيح البخاري من طريق آخر عن كنون ٨٣

ثانياً: سنده في صحيح مسلم ٨٤

المبحث الثالث: انتقاده لشيخه أبي شعيب الدكالي في أسانيد الحديث ٨٦

١ ـ انتقاده له في سند المسلسل بالأولية ٨٦

٢ ـ انقتاده له في سنده العالي في صحيح البخاري ٩٣

٣ ـ انتقاده له في سنده في صحيح مسلم ٩٥

٤ ـ اعتذار لشيخه أبي شعيب الدكالي ٩٧

القسم الثاني: نص الدفاع عن الصحيحين ٩٩

- نموذج من صور المخطوط بخط الحجوي ١٠١
- **الحديث الأول**: في سحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ ١٠٣
- نقل بعض الناس عن الشيخ محمد عبده إنكاره للحديث ١٠٤
- وأنه من وضع الزنادقة ١٠٤
- وباطل بدليل القرآن ١٠٤

الموضوع	الصفحة

- مضطرب ١٠٤
- ردُّ العلاَّمة الحجوي عليه ١٠٥
- **الحديث الثاني**: في سم اليهودية له ﷺ ١١٤
- ردّ الحجوي على من طعن في هذا الحديث ١١٥
- **الحديث الثالث**: الطعن في حديث مسلم: **«لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»** ١٢٢
- ردُّ الحجوي على الطاعن في هذا الحديث ١٢٣
- **الحديث الرابع**: طعن في حديث البخاري: **«والله لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله»** ١٢٤
- رد الحجوي على الطاعن في هذا الحديث ١٢٥
- **الحديث الخامس**: طعن في حديث صك موسى لملك الموت ١٢٦
- حلف الطاعن فيه بالطلاق الثلاث بأنه مكذوب ١٢٦
- رد الحجوي على الطاعن في الحديث ١٢٦
- **الحديث السادس**: طعن في حديث نزول عيسى بن مريم حكماً عدلاً آخر الزمان ١٢٧
- رد الحجوي على الطاعن في الحديث ١٢٨
- **الحديث السابع**: طعن في حديث الشفاعة ١٢٨
- رد الحجوي على الطاعن في الحديث ١٢٩
- ردُّ الحجوي على من أباح السفور وأن انتقاب المرأة بدعة وأن السُّنَّة هي كشف الحجاب ١٢٩

تَوضِيحُ طُرُقِ الرَّشَادِ

١ ـ ترجمة: **محمد بن أحمد العلوي** ١٤١
- نسبه ولادته ونشأته ١٤١
- طلبه للعلم ورحلته للعاصمة العلمية ١٤١
- إنهاء دراسته والرجوع إلى مسقط رأسه ١٤٢
- تعاطيه للفتوى ١٤٣

الموضوع	الصفحة
ـ رحلاته بالمغرب	١٤٤
ـ رحلته إلى الحجاز	١٤٤
ـ شيوخه	١٤٥
ـ الشيوخ الذين أجازوه	١٤٨
١ ـ إجازة جعفر الكتاني	١٤٩
٢ ـ إجازة عبدالكبير الكتاني	١٥٠
٣ ـ إجازة حُسين الحبشي	١٥٣
٤ ـ إجازة التهامي كنون	١٥٤
٥ ـ إجازة محمد بن جعفر الكتاني	١٥٥
ـ مروياته:	١٥٦
١ ـ مروياته لكتب الحديث وغيرها	١٥٦
٢ ـ مروياته للأذكار والدعوات	١٥٧
٣ ـ أسانيده	١٥٧
ـ مؤلفاته	١٥٨
ـ وظائفه	١٥٩
ـ مجالسه العلمية	١٦٠
ـ ثناء العلماء عليه	١٦٠
ـ وفاته	١٦٢
٢ ـ نص توضيح طُرق الرشاد	١٦٧
ـ بيان موضوع الكتاب والسبب الداعي للكتب فيه وأن الإلحاد في حديث الموضوع قديم	١٦٧
ـ بيان أنه لم يستوف أحد من شراح حديث الموضوع على كثرتهم واتساع عارضتهم ما يتم به دفع إشكاله	١٦٨
ـ بيان أنه لا يعلم أن أحداً ممن تقدم أفرد حديث الموضوع بتصنيف ...	١٦٨
ـ بيان أن بعض ملحدي القرن التاسع زعم أن حديث الموضوع لا يمكن جواب صحيح عنه	١٦٨
ـ زعم السندي أن حديث الموضوع من المتشابه الذي لا يوقف معناه ..	١٦٨

الموضوع	الصفحة

- اعتراف بعض رؤساء العلماء في الوقت الحالي بأن حديث الموضوع هو في الصحيحين وزعمه مع ذلك أنه لا يصح عنه ﷺ وحلفه على ذلك بالأَيْمَان المغلَّظَة ١٦٩
- بيان ما كان عزم عليه المؤلف وشرع فيه بالفعل من بسط سائر أوجه الشرح المتعلقة بحديث الموضوع وما عرض له أثناء ذلك مما أحوجه إلى الاقتصار على اللازم في بيان المراد ودفع الإشكال ١٦٩
- بيان اسم الكتاب ١٧٠
- تمهيد وتأسيس سيقت فيه ألفاظ حديث الموضوع ورواياته وطرقه ١٧١
- إفادة تُريح الناظر هنا عن طلب الزيادة ١٧٧
- تلخيص ما تقدم في التأسيس من المخرجين لحديث الموضوع إذا ثبتت رواية الحديث عن أحد أئمته فإنه لا يقدح فيها عدم وجود ذلك الحديث في كتاب ذلك الإمام ١٧٨
- تنكيت على صاحب كتاب تيسير الوصول في عدم ذكره لحديث الموضوع مع كونه لازماً له بمقتضى شرطه ١٧٩
- تمحيص بيّن فيه انحصار رواية حديث الموضوع في أبي هريرة وأنه لا قدح بذلك في الحديث ولا في أبي هريرة ١٧٩
- رد زعم بعض متأخري الحنفية أن ما رواه أبو هريرة مخالفاً للقياس لا يقبل ١٨٠
- كان أبو هريرة مساوياً لأبي بكر وعثمان في درجة الفتوى ١٨١
- انتقام الله تعالى في الدنيا لزاعم عدم قبول رواية أبي هريرة فيما خالف القياس ١٨١
- إذا تعارض رفع الحديث ووقفه أو وصله وإرساله فإن الأول يقدم فيهما على الأصح، فإن وجدت قرينة فبالاتفاق وذلك هو الواقع في حديث الموضوع ١٨٢
- تحقيق ترجمة عبدالرزاق راوي الحديث، وكون حديث الموضوع لا طعن فيه بسببه ١٨٣
- بيان أن كل من سمع من عبدالرزاق قبل تمام المئتين فسماعه منه صحيح دون من سمع منه بعد ذلك ١٨٣

الموضوع	الصفحة

- بيان أن ممن سمع من عبدالرزاق بعد المئتين أحمد بن شبوية وإسحاق الديري وطائفة من شيوخ أبي عوانة والطبراني ١٨٣
- طعن العنبري في عبدالرزاق مردود أو مؤول ١٨٤
- لا يتوقف ثبوت فضل شخص على اتفاق الألسن عليه ١٨٤
- كثير من الرواة الذين رموا ببعض البدع لم يوجدوا في كتب أهل تلك البدعة وهو دليل براءتهم منها ١٨٤
- التشيع الذي نسب لعبدالرزاق هو على فرض ثبوته لم يمس صدقه ولا أمانته ١٨٥
- تحقيق قبول رواية غير الرافضة من أهل الابتداع وأن صاحبي الصحيحين اعتمدا رواية الدعاة منهم ١٨٥
- بيان وهم بعض من كان ظهر فضل علمه من العصريين المصريين في زعمه أنه وقع في صحيح مسلم حديث من رواية بعض المختلطين بعد وقوع الاختلاط لهم ١٨٧
- تحقيق أنه ليس في الصحيحين ولا في سنن النسائي ولا في مسند أحمد حديث من رواية المختلطين بعد وقوع الاختلاط لهم ١٨٨
- الشروع في شرح حديث الموضوع ١٩٢
- بيان أن ملك الموت لم يثبت في حديث مرفوع صحيح تسميته عزرائيل ١٩٢
- بيان أهل لا يقبض الأرواح إلا ملك الموت، وهل يحتاج دائماً إلى المجيء لقبضها ١٩٣
- جُويبر المفسر المحدث ضعيف جداً متروك ١٩٤
- تعدد ملك الموت لم يثبت ١٩٤
- من الأموات من يتولى الله تعالى قبض أرواحهم ١٩٤
- المعهود عند مجيء الملك للبشر أن يأتيه في صورة بشرية ١٩٥
- بيان أن كون الذي فقأه موسى هو عين للصورة البشرية التي جاء فيها ملك الموت يدفع إشكال وصول موسى لذلك الفقء لقبول الصورة البشرية له ١٩٥

الموضوع	الصفحة

- بيان المحل الذي رجع فيه ملك الموت إلى ربه ١٩٦
- تحقيق اعتقاد صفات العلو في جانب الله على مراده تعالى منها وأنه هو مذهب السلف الذي هو عند المعتبرين لباب اللباب ١٩٦
- شأن كل رسالة لا تلائم الطبائع أن يلقى الرسول فيها شدة ١٩٦
- الإشارة إلى معظم إشكالات حديث الموضوع ١٩٧
- بيان انحلال الإشكالات المشار إليها ١٩٧
- معظم الإشكال إنما نشأ من توهم أن موسى علم في أول الأمر أن جاءيه مَلَك وهو دليل عليه ١٩٨
- آيات القرآن ناطقة بكون الملائكة جاؤوا إلى الأنبياء والرسل ولم يعرفوهم إلا في آخر الأمر ١٩٨
- وجه ما فعله موسى من فقء عين جَاءِيه ١٩٩
- بيان وجه كون ملك الموت جاء لقبض روح موسى قبل تمام أجله ... ١٩٩
- بيان أن العلم البشري قاصر عن وسع العلم الإلَهي ٢٠٠
- لله تعالى أن يمتحن أكابر خلقه وغيرهم بما شاء ٢٠٠
- بيان بعض امتحانات أكابر الخلق من الله تعالى المنصوصة كتاباً وسنَّة ٢٠٠
- إشكال حديث الموضوع إنما جاء من فساد في الإدراك ومن فساد في العقيدة، ومن عميق السبات عن وقائع الامتحانات الإلَهية الخاصة والعامة التي لا تزال.. إلخ ٢٠٢
- قد أفضى الجهل المركب بأناس في هذه القصة، قصة حديث الموضوع إلى توهم أنها من قبيل خبر الواحد الذي عارضه القطعي فأبطله وإن صح من طريق المحدثين ٢٠٢
- بطلان هذا التوهم وأنه انبنى على غير أساس ٢٠٢
- يرحم الله القائل: لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف ٢٠٣
- قول مَلَك الموت لربه أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت هو بحسب مبلغ علمه من ظاهر ما صنعه معه موسى والواقع خلافه ٢٠٣
- الإشارة إلى وجه رد ملك الموت لموسى من غير قصاص ٢٠٣

الموضوع	الصفحة

- بيان أن ما قاله ملك الموت في موسى هو نظير ما قاله الملائكة في أبي البشر آدم، وأن ما أجاب الله تعالى به الملائكة عنه هو جواب ملك الموت هنا في موسى ٢٠٣
- ينبغي أن يستحضر هنا كون التشاجر الشديد قد يقع بالتأويل بين أكابر الخاصة من عبيدالله ٢٠٤
- ليس المراد من الحياة التي خير فيها موسى في حديث الموضوع دوامها وإنما المراد طولها ٢٠٦
- هذا التخيير الذي في حديث الموضوع لموسى هو لسائر الأنبياء أيضاً . ٢٠٦
- خُيّر نبيُّنا ﷺ بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش ويأكل منها ما شاء وبين تعجيل لقاء ربه ٢٠٧
- لم يثبت في العربية الجمع بين حذف المنادي بالفتح وأداة النداء ٢١٢
- بيان المعنى الدافع للإشكال في قول موسى بعد أن خيّر ثم ماذا؟ أو ثم مه ٢١٤
- قبول ما ينفرد ابن لهيعة بروايته مختلف فيه ٢١٤
- الأرض المقدسة أرض الشام كلها وقد تخص بالبعض ٢١٥
- بيان أرض تيه بني إسرائيل، ومعنى التيه ٢١٥
- ما أخبر به نبينا ﷺ عن شرع ما قبله ولم يأت في شرعه ما يخالفه فهو محمل ما ذهب إليه المالكية ومن وافقهم من أن شرع من قبلنا شرع لنا، وبه سقط اعتراض المعترضين ٢١٧
- استحباب الدفن في الأماكن المشرفة عليه المالكية والشافعية والحنابلة . ٢١٧
- بيان محمل قول سلمان إن الأرض لا تقدس أحداً ٢١٧
- حديث من مات بأحد الحرمين بعث آمناً ٢١٨
- وجه طلب موسى القرب من الأرض المقدسة دون الوصول إليها ٢١٩
- خصوصية الأمة وظهور معجزة نبيها في عدم الافتتان بقبره المقطوع به ٢١٩
- بيان أن تقدير موسى للقرب من الأرض المقدسة لا يحصل به تعيين تلك المسافة في زمن نبيّنا ولا فيما بعده ٢٢٠

الموضوع	الصفحة
ـ حذف (قال) في الأسانيد يجوز خطأً ويختلف فيه لفظاً	٢٢١
ـ بيان أن قول آخر حديث الموضوع: «لو كنت ثمة لأريتكم قبره» هو مرتب على القصة المذكورة في أوله ومعين لكون قائل آخره هو قائل أوله فهو دليل رفع جميعهم وإن لم يصرح به	٢٢١
ـ لا مساغ في حديث الموضوع لكونه خبراً إسرائيلياً	٢٢١
ـ جنوح من شرد عن الجماعة إلى تكذيب صحابي أو بعض ثقات الرواة وخصوصاً في الصحيحين أو أحدهما إنما هو هدم لأسس الدين، وعنوان عظيم جهالة مرتكبه	٢٢٢
ـ لم يرد من قول حديث الموضوع إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر تعيين تام للقبر الموسوي وأنا أريد التنبيه على ما يقل معه الاحتمال	٢٢٤
ـ قد ترك ﷺ أصل البيان فيما عدى قبر موسى من أكابر الرسل	٢٢٤
ـ لم يثبت ثبوتاً قطعياً تعيين ما عدى قبر نبينا من الرسل	٢٢٤
ـ مطلق الثبوت حاصل في قبر الخليل ومن ذكر معه	٢٢٤
في محل قبر موسى أقوال	٢٢٦
تنقيح تلك الأقوال	٢٢٧
بيان كون ملك الموت كان يأتي الناس عياناً إلى أن صدر له من موسى ما تقدم	٢٢٨



الفهارس العامة
لكتاب الدفاع عن الصحيحين

فهرس الآيات الكريمة	٢٣٥
فهرس الأحاديث	٢٣٨
فهرس الأعلام	٢٤٠
فهرس الأماكن	٢٤٦

توضيح طرق الرشاد

فهرس الآيات الكريمة ٢٥١
فهرس الأحاديث ٢٥٥
فهرس الأعلام ٢٥٧
فهرس الأماكن ٢٦٠
فهرس المصادر والمراجع ٢٦٢
فهرس الموضوعات ٢٦٥

